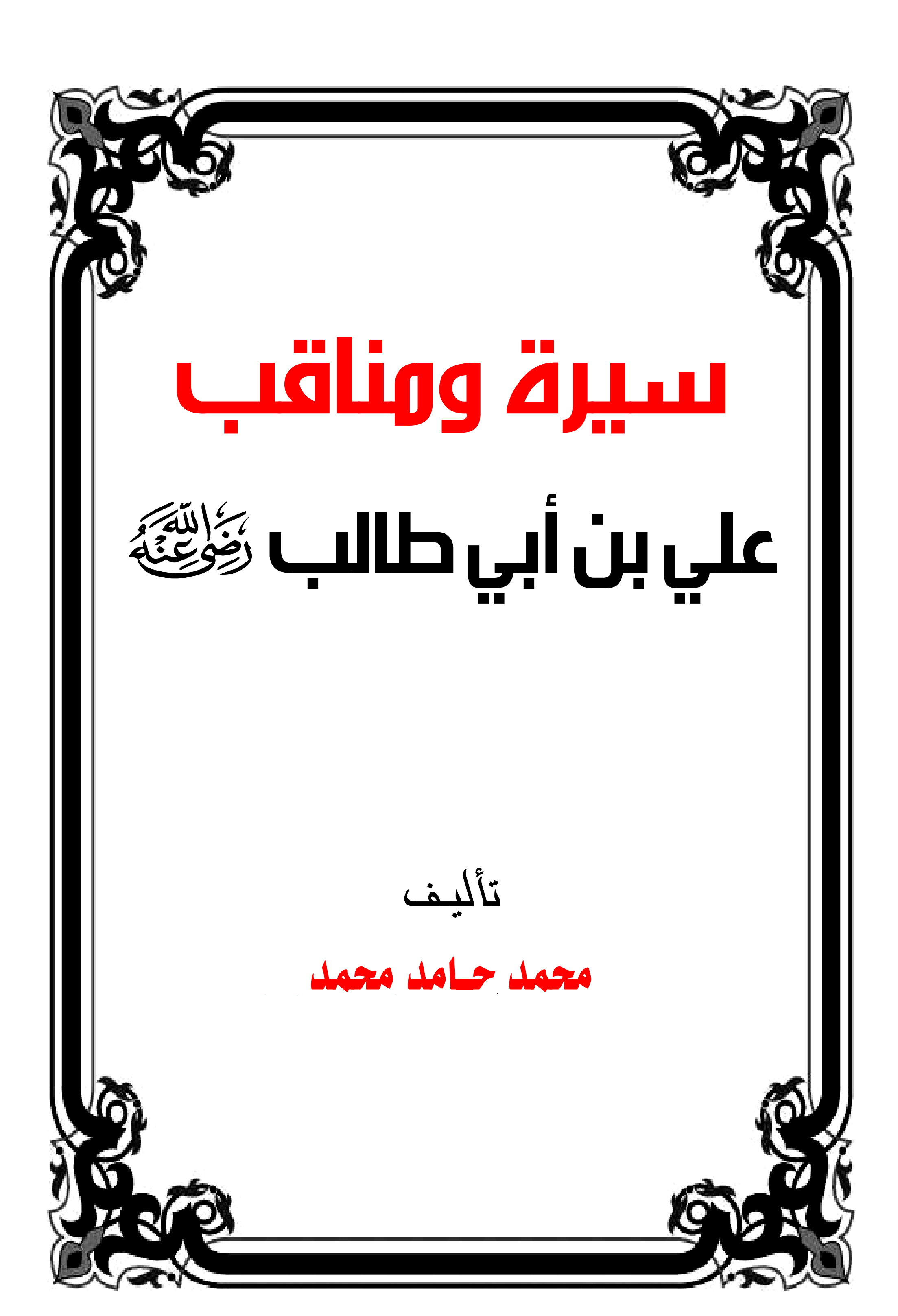


سيرة ومناقب

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

تأليف

محمد حامد محمد

مُقَـدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك الحمد حتىٰ ترضىٰ، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا.

أما بعد..

هذا الكتاب الرابع في دراسة عهد الخلافة الراشدة، فقد صدرت عدة كتب عن الصديق، والفاروق، وذي النورين، ويتحدث هذا الكتاب عن أمير المؤمنين علي من الميلاد حتىٰ الاستشهاد، وقد حرصت علىٰ تناول شخصية أمير المؤمنين علي من جوانبها المتنوعة، فحياته صفحة مشرقة في تاريخ الأمة، وهو من الأئمة الذين يتأسىٰ الناس بهديهم وأقوالهم وأفعالهم في هذه الحياة، فسيرته من أقوىٰ مصادر الإيمان، والعاطفة الإسلامية الصحيحة، والفهم السليم لهذا الدين، فنتعلم منه فقهه في التعامل مع السنن وحسن توجيهها، وكيف نعيش مع

القرآن الكريم ونهتدي بهديه ونقتدي برسول الله ﷺ، وأهمية الخوف من الله والإخلاص له وابتغاء ما عنده في نجاح العبد في الدارين، وأثر هذه المعاني في حياة الأمة الإسلامية ونهوضها وقيامها بدورها الحضاري المنشود، فلذلك اجتهدت في دراسة شخصيته وعصره حسب وسعي وطاقتي، غير مدع عصمة، ولا متبرئ من زلة، ووجه الله الكريم لا غيره قصدت، وثوابه أردت، وهو المسئول في المعونة عليه، والانتفاع به، إنه طيب الأسماء وسميع الدعاء.

وكتب

محمد حامد محمد

! +

التعريف بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب

▪ اسمه وكنيته ولقبه:

١- اسمه ونسبه:

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، بن هاشم بن عبد مناف بن قصىٰ ابن كلاب بن لؤىٰ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان(١)، فهو ابن عم رسول الله ﷺ ويلتقي معه في جده الأول عبد المطلب بن هاشم.

٢- كنيته:

أبو الحسن، نسبه إلىٰ أبنه الأكبر الحسن وهو من ولد فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ويكنىٰ أيضًا بأبي تراب، كنية كناه بها النبي ﷺ ، وكان يفرح إذا نودي بها، وسبب ذلك أن الرسول ﷺ جاء بيت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فلم يجد عليًا في البيت، فقال: أين ابن عمك؟ قالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يقل(٢) عندي، فقال ﷺ لإنسان: «**انظر أين هو؟**» فجاء فقال: يا رسول الله هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع وقد سقط رداءه عن شقه وأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول: «**قم أبا تراب**»(٣).

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٩)، صفة الصفوة (١/ ٣٠٨)، البداية والنهاية (٧/ ٣٣٣)، الإصابة (١/ ٥٠٧)، الاستيعاب (١٠٨٩١)، المنتظم (٥/ ٦٦)، المعجم الكبير للطبراني (١/ ٥٠).

(٢) **من قال يقيل، فالقيلولة**: الظهيرة، وتكون بمعنىٰ النوم في الظهيرة.

(٣) مسلم في صحيحه رقم (٢٤٠٩).

▪ مولده:

اختلفت الروايات وتعددت في تحديد سنة ولادته، فقد ذكر الحسن البصري أن ولادته قبل البعثة بخمس عشرة أو ست عشرة سنة(١)، وذكر ابن إسحاق أن ولادته قبل البعثة بعشر سنين(٢)، ورجح ابن حجر قوله(٣).

▪ إخوة عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

كان لأبي طالب أربعة أبناء، وهم: طالب، وهو الذي تكنىٰ به، وعقيل، وجعفر، وعلىٰ، وبنتان هما: أم هانئ، وجمانة، وكلهم من فاطمة بنت أسد، وكان بين كل واحد منهم وبين أخيه عشر سنوات، فطالب كان أكبر من عقيل بعشر سنوات، وكذلك الشأن مع جعفر وعلىٰ، فكان جعفر أكبر من علىٰ بعشر سنوات(٤)، وهذه نبذة مختصرة عن إخوة علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(أ) طالب بن أبي طالب: هلك طالب مشركًا بعد غزوة بدر، وقيل إنه ذهب فلم يرجع، ولم يدر له موضع ولا خبر، وهو أحد الذين تاهوا في الأرض، وكان محبًا لرسول الله ﷺ، وله فيه مدائح، وكان خرج إلىٰ بدر كرهًا، وجرت بينه وبين قريش حين خرجوا إلىٰ بدر محاورة فقالوا: والله يا بنىٰ هاشم لقد عرفنا- وإن خرجتم معنا- أن هواكم مع محمد، فرجع طالب إلىٰ مكة مع من رجع، وقال شعرًا وقصيدة ثناء علىٰ النبي ﷺ وبكىٰ فيها أصحاب قليب بدر(٥).

(ب) عقيل بن أبي طالب: فكان يكنىٰ أبا يزيد، تأخر إسلامه إلىٰ عام الفتح، وقيل أسلم بعد الحديبية، وهاجر في أول سنة ثمان، وكان أسر يوم بدر

(١) المعجم الكبير للطبراني (١/ ٥٤) رقم (١٦٣) بسند مرسل.
(٢) السيرة النبوية (١/ ٢٦٢).
(٣) الإصابة (٢/ ٥٠١).
(٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٢٣)
(٥) الجوهرة في نسب النبي وأصحابه من المرتضىٰ للندوىٰ: ص (٢٣).

ففداه عمه العباس، وقع ذكره في الصحيح في مواضع، وشهد غزوة مؤته، ولم يسمع له ذكر في الفتح وحنين، لأنه كان مريضًا، ومات في أول خلافة يزيد قبل الحرة، وعمره ست وتسعون سنة[١].

(ج) جعفر بن أبي طالب: فهو أحد السابقين إلىٰ الإسلام وكان يحب المساكين ويجلس إليهم ويخدمهم، ويحدثهم ويحدثونه، وهاجر إلىٰ الحبشة، فأسلم النجاشي ومن تبعه علىٰ يديه، واستشهد بمؤتة من أرض الشام مقبلًا غير مدبر[٢].

(د) أم هانئ بنت أبي طالب: ابنه عم النبي ﷺ، قيل: اسمها فاختة، وقيل اسمها فاطمة وقيل: هند، والأول أشهر، وكانت زوج هبيرة بن عمرو بن عائذ المخزومي، وكان له منها عمرو، وبه كان يكنىٰ، وفي فتح مكة أجارت أم هانئ رجلين من بنىٰ مخزوم، وقال لها رسول الله ﷺ: «**أجرنا من أجرت يا أم هانئ**». وروت أم هانئ عن النبي ﷺ في الكتب الستة وغيرها، قال الترمذي وغيره: عاشت بعد علىٰ رضي الله عنه[٣].

(هـ) جمانة بنت أبي طالب: هي أم عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، ذكرها ابن سعد في ترجمة أمها فاطمة بنت أسد، وأفردها في باب بنات عم النبي ﷺ، وقال: ولدت لأبي سفيان بن الحارث ابنه جعفر بن أبي سفيان، وأطعمها رسول الله من خيبر ثلاثين وسقا[٤].

▪ أزواجه وأولاده:

ولد له من فاطمة بنت رسول الله ﷺ: الحسن والحسين وزينب الكبرىٰ

---

(١) المرتضىٰ للندوىٰ: ص (٢٤).

(٢) السابق ص (٢٥).

(٣) السابق ص (٢٧).

(٤) الإصابة (٤/ ٢٥٩، ٢٦٠)، المرتضىٰ: ص (٢٧).

وأم كلثوم الكبرىٰ، وولد له من خولة بنت جعفر ابن قيس بن مسلمة، محمد الأكبر (محمد ابن الحنفية)، وُولد له من ليلىٰ بنت مسعود بن خالد من بنىٰ تميم، عبيد الله وأبو بكر، وولد له من أم البنين بنت حزام بن خالد بن جعفر بن ربيعة: العباس الأكبر، وعثمان، وجعفر الأكبر، وبعد الله، وولد له من أسماء بنت عميس الخثعمية: يحيىٰ وعون، وولد له من الصهباء، عمر الأكبر ورقية، وولد له من أمامة بنت العاص بن الربيع، محمد الأوسط، وولد له من أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي، أم الحسن، ورملة الكبرىٰ، وولد له من أمهات أولاد، محمد الأصغر، وأم هانئ وميمونة، وزينب الصغرىٰ، ورملة الصغرىٰ، وأم كلثوم الصغرىٰ، وفاطمة، وأمامة، وخديجة، وأم الكرام، وأم سلمة، وأم جعفر، جمانة ونفيسة، وولد له من محياة بنت أمرئ القيس، ابنة هلكت وهي جارية. قال ابن سعد: لم يصح لنا من ولد علي رضي الله عنه غير هؤلاء، وجميع ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه لصلبه أربعة عشر ذكرًا، وتسع عشرة امرأة، وقيل: سبع عشرة امرأة، وكان النسل من ولده لخمسة، الحسن والحسين، ومحمد ابن الحنفية، والعباس ابن الكلابية، وعمر ابن التغلبية[1].

▪ صفاته الخَلقية:

يقول ابن عبد البر رحمه الله: وأحسن ما رأيت في صفة علىٰ رضي الله عنه أنه كان ربعة من الرجال إلىٰ القصر ما هو، أدعج العينين، حسن الوجه، كأنه القمر ليلة البدر حسنًا، ضخم البطن، عريض المنكبين، شئن الكفين (عَتَدًا)[2] أغيد، كان عنقه إبريق فضة، أصلع ليس في رأسه شعر إلا من خلفه، كبير اللحية، لمنكبه مشاش كمشاش السبع الضارىٰ، لا يتبين عضده من ساعده، قد أدمجت دمجًا، إذا مسك بذراع رجل أمسك بنفسه فلم يستطع أن يتنفس، وهو إلىٰ السمن ما هو،

---

(١) الطبقات (٣/ ١٩، ٢٠)، البداية والنهاية (٧/ ٣٣١ – ٣٣٣)

(٢) **العتد**: الشديد التام الخلق.

شديد الساعد واليد وإذا مشىٰ للحرب هرول، ثابت الجنان، قوىٰ شجاع[(١)].

▪ فضائله وأهم صفاته:

قال الإمام أحمد، وإسماعيل القاضي، والنسائىٰ، وأبو علىٰ النيسابورىٰ: لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في علىٰ[(٢)]، وقال الحافظ ابن حجر: وكان السبب في ذلك أنه تأخر، أي آخر الخلفاء الراشدين، ووقع الاختلاف في زمانه وخرج من خرج عليه، فكان ذلك سببًا لانتشار مناقبه من كثرة من كان يبينها من الصحابة ردًا علىٰ من خالفه، فاحتاج أهل السنة إلىٰ بث فضائله، فكثر الناقل لذلك، وإلا فالذين في نفس الأمر أن لكل من الأربعة من الفضائل، إذا حرر بميزان العدل لا يخرج عن قول أهل السنة والجماعة أصلًا، وقال ابن كثير: من فضائله أنه أقرب العشرة المشهود لهم بالجنة إلىٰ رسول الله ﷺ نسبًا[(٣)]، وقد ذكرت كثيرًا من فضائله فيما مضىٰ من البحث كل في موضعه، وإتمامًا للفائدة نشير إلىٰ مزيد من الفضائل لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منها:

* عن زر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال علي: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليَّ: «**أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق**»[(٤)].

* عن أبي إسحاق: سأل رجل البراء وأنا أسمع قال: أشهد علىٰ بدرًا؟ قال: بارز وظاهر[(٥)].

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان علىٰ حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة فقال رسول الله ﷺ: «**اهدأ**

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١١٢٣).

(٢) فتح البارىٰ (٧/ ٧١).

(٣) البداية والنهاية (١١/ ٢٩).

(٤) الصحيح المسند في فضائل الصحابة، ص (١١١).

(٥) **ظاهر**: أي لبس درعًا علىٰ درع، الصحيح المسند، ص (١١٢).

فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»[(١)].

* قال سعيد بن زيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، ولو شئت أن أسمي العاشر**»[(٢)].

* قالت أم سلمة رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سب عليًا فقد سبني**»[(٣)].

* جاء رجل إلىٰ ابن عمر فسأله عن عثمان، فذكر محاسن عمله، قال: لعلَّ ذلك يسوؤك؟ قال: نعم.. قال: فأرغم الله بأنفك، ثم سأله عن علىٰ فذكر محاسن عمله قال: هو ذاك، بيته أوسط بيوت النبي ﷺ ثم قال: لعلَّ ذاك يسوؤك؟ قال: أجل! قال: فأرغم الله بأنفك، انطلق فاجهد علىٰ جهدك[(٤)].

هذه بعض الفضائل الثابتة لعلي رضي الله عنه، وأما صفاته رضي الله عنه، فقد كان له صفات القائد الرباني المضحىٰ في سبيل الله وكتابه وسنة نبيه، ونجملها في أمور ونركز علىٰ بعضها بالتفصيل، فمن أهم هذه الصفات، سلامة المعتقد، والعلم الشرعي، والثقة بالله، والقدوة، والصدق، والكفاءة والشجاعة، والمروءة، والزهد، وحب التضحية، وحسن اختياره لمعاونيه، والتواضع والحلم والصبر، وعلو الهمة والحزم والإرادة القوية، والعدل، والقدرة علىٰ التعليم وإعداد القادة، وغير ذلك من الصفات التي ظهرت للباحث في الفترة المكية في صحبته للنبي ﷺ وفي العهد المدني في غزواته مع رسول الله ﷺ وحياته في المجتمع، وظهر

---

(١) الصحيح المسند في فضائل الصحابة، ص (١١٧).
(٢) الصحيح المسند في فضائل الصحابة، ص (١١٧).
(٣) الصحيح المسند، ص (١٢١).
(٤) المصدر السابق، ص (١٤٠).

البعض الآخر لما تسلم قيادة الدولة الراشدية وأصبح أمير المؤمنين رضي الله عنه، ومن أهم هذه الصفات:

أولًا: العلم والفقه في الدين:

كان أمير المؤمنين علىٰ رضي الله عنه من علماء الصحابة الكبار، وقد تميز رضي الله عنه بجده في التحصيل، والتحرىٰ في قبول العلم، والسؤال في طلبه، واستخدام وسائل ضبط العلوم في زمنه، من كتابة، وتعهد، ولزوم النبي ﷺ، حيث يقول رضي الله عنه في جمعه للقرآن الكريم: آليت بيمين ألا أرتدىٰ بردائىٰ إلا إلىٰ الصلاة حتىٰ أجمع القرآن[1]، وقال: ما دخل نوم عيني، ولا غمض رأسي علىٰ عهد رسول الله ﷺ حتىٰ علمت ذلك اليوم ما نزل به جبريل، عليه السلام، من حلال أو سنة، أو كتاب، أو أمر، أو نهي، وفيمن نزل[2]، وكان رضي الله عنه يتلقىٰ النص من رسول الله ﷺ مباشرة، ولكن عندما يبلغه الحديث من غيره فإنه شديد التحري في قبوله، خشية أن يَنسب لرسول الله ﷺ قولًا لم يقله، ومما يدل علىٰ هذا المنهج قوله رضي الله عنه: كنت رجلًا إذا سمعت من رسول الله حديثًا نفعنىٰ الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثنىٰ أحد من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدقته، قال: وحدثني أبو بكر- وصدق أبو بكر- رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد يذنب ذنبًا فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلىٰ ركعتين، ثم يستغفر الله إلا غفر الله له**» ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾ [آل عمران:١٣٥] إلىٰ آخر الآية[3]، نعم، علي بن أبي طالب رضي الله عنه يستحلف أصحاب رسول الله ﷺ وهم الثقات العدول، وما هذا إلا دليل علىٰ شدة تحريه في تلقي الحديث الذي يلقاه من غير رسول الله[4]، وكان رضي الله عنه

(١) الطبقات (٢/ ٣٣٨).
(٢) مسند الإمام زيد، ص (٣٤٣)
(٣) صحيح سنن الترمذي (١/ ١٢٨)
(٤) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة، ص (٥٢).

صاحب لسان سئول وقلب عقول، فقد قال:.. إن ربي وهب لي قلبًا عقولًا ولسانًا سئولًا[(١)]، وعلل رضي الله عنه كثرة علمه بطلبه إياه من رسول الله ﷺ بالسؤال، بقوله: كنت إذا سألت أعطيت، وإذا سكت ابتديت[(٢)]، وعندما يكون عائق الحياء بينه وبين رسول الله ﷺ يتغلب عليه يطلب من أحد الصحابة بسؤال رسول الله، فعن محمد ابن الحنفية قال: قال علىٰ: كنت رجلًا مذاءً، فاستحييت أن أسأل رسول الله ﷺ، فأمرت المقداد بن الأسود فسأله فقال: فيه الوضوء[(٣)]، وكان رضي الله عنه يحذر الناس من ترك العلم بسبب الحياء، فقد قال: ولا يستحيٰ أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم[(٤)]، ولا يستحي جاهل أن يسأل عما لا يعلم، وكان أمير المؤمنين علىٰ رضي الله عنه من بين القلة من المسلمين الذين كانوا يعرفون الكتابة في صدر الإسلام، وفوق هذا فقد كان من كتاب الوحىٰ لرسول الله ﷺ، وقد ساعدته هذه المهارة في القراءة والكتابة علىٰ التبحر في العلوم الشرعية، وكان رضي الله عنه يرىٰ أن تكون كتابة النصوص بخط بَيِّن مع التفريج بين السطور، والتقريب بين الحروف، فعن أبي عثمان عمرو بن بحر بن الجاحظ، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: الخط علامة، فكلما كان أبين كان أحسن[(٥)]، وقد أمر كاتبه عبيد الله بن أبي رافع بقوله: ألف دواتك وأطل سن قلمك، وأفرج بين السطور، وقرمط[(٦)] بين الحروف[(٧)].

وعن أبي حكيمة العبدي قال: كنا نكتب المصاحف بالكوفة، فيمر علينا

---

(١) الطبقات (٢/ ٣٣٨)، الحلية (١/ ٦٧).

(٢) فضائل الصحابة (٢/ ٦٤٧).

(٣) مسلم (١/ ٢٤٧).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٣/ ٢٨٤).

(٥) الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٢٦٢).

(٦) أي: قرب بينها.

(٧) الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٢٦٢).

علىٰ ونحن نكتب فيقول: أَجِلَّ قلمك[(١)]، قال: فقططت منه، ثم كتبت فقال: هكذا نوروا ما نور الله[(٢)]، وكان رضي الله عنه يتعهد ما تعلمه بالعمل وتطبيقه، وكان من أحرص الناس علىٰ تطبيق ما سمعه من رسول الله ﷺ، ولو كان ذلك في أصعب الظروف، كما مر معنا في تعليم رسول الله له وللسيدة فاطمة الله عنهما الأذكار، فقد قال أمير المؤمنين: ما تركته منذ سمعته من النبي ﷺ، قيل له: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين[(٣)]، وقد أشار أمير المؤمنين علىٰ رضي الله عنه إلىٰ ضبط النص بالعمل به بقوله: تعلموا العلم تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله[(٤)]، وكان يرىٰ أن العالم لا يسمىٰ عالمًا إلا إذا كان عاملًا بعلمه، لذا يقول مخاطبًا حملة العلم: يا حملة العلم، اعملوا به فإن العالم من عمل بما علم ووافق علمه عَمَله[(٥)]، وقال رضي الله عنه: هتف العلم بالعمل فإن أجاب وإلا ارتحل[(٦)]، وكان علىٰ رضي الله عنه من المكثرين من الفتيا في أصحاب رسول الله، قال ابن القيم: الذين حفظت عنهم الفتوىٰ، من أصحاب رسول الله مائة ونيف وثلاثون نفسًا، ما بين رجل وامرأة، وكان المكثرون منهم سبعة: عمر ابن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعائشة أم المؤمنين، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وقد عد ابن حزم عليًا رضي الله عنه في المرتبة الثالثة من بين الصحابة رضي الله عنهم، في كثرة الفتيا، وسيأتي الحديث بإذن الله تعالىٰ عن المسائل القضائية، وكثير من اجتهاداته الفقهية، عند حديثنا عن المؤسسة القضائية، وكان رضي الله عنه يحث علىٰ التزاور والمدارسة، حيث يقول: تزاوروا وتدارسوا

---

(١) أي: عظم قلمك، وهو كناية عن تكبير الخط.
(٢) الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٢٦٠)..
(٣) مسلم (٤/ ٢٠٩١، ٢٠٩٢).
(٤) البداية والنهاية (٨/ ٦).
(٥) بيان العلم وفضله، ص (٢٨٥).
(٦) منهج علي بن أبي طالب، ص (٦٣).

الحديث، ولا تتركوه يدرس[١]، وفي رواية: تزاوروا وتحدثوا، فإن لم تفعلوا فإنه يدرس[٢]، وكان أمير المؤمنين علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحث علىٰ لزوم الشيخ، والحرص علىٰ الأخذ منه، ويقول: ولا تشبع من طول صحبته، فإنما هو كالنخلة تنتظر متىٰ يسقط عليك منها شيء[٣]، وقد تهيأ لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ملازمة رسول الله ﷺ صغيرًا حين تربي في حجره، وكبيرًا حينما كان صهره ووالد سبطيه، فكان بذلك قريبًا من رسول الله، يأخذ عنه ويتعلم منه، وقد شهدت السيدة عائشة لعلي بلزومه لرسول الله ﷺ، فعن المقدام بن شريح، عن أبيه قال: سألت عائشة فقلت: أخبريني برجل من أصحاب النبي ﷺ أسأله عن المسح علىٰ الخفين، فقالت: ائت عليًا فسله، فإنه كان يلزم النبي ﷺ، قال: فأتيت عليًا فسألته، فقال: أمرنا رسول الله ﷺ بالمسح علىٰ خفافنا إذا سافرنا[٤]، وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرىٰ الانتقاء في العلوم فقد قال: العلم أكثر من أن يحفظ، فخذوا من كل علم محاسنه[٥]، وقد وصل من العلم مرتبة جعلته يقول للناس وهو في العراق: سلوني، فعن سعيد بن المسيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما كان أحد من الناس يقول: سلوني غير علي بن أبي طالب[٦] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد وثق الناس بعلمه سواء الصحابة أو التابعون، فعن ابن عباس، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: إذا أتانا الثبت عن علىٰ لم نعدل به[٧]، وعنه أيضا قال: إذا حدثنا ثقة عن علىٰ بفتيا لا نعدوها[٨]، وعن سويد بن غفلة

---

(١) الجامع لأخلاق الراوىٰ (١/ ٢٣٦).

(٢) شرف أصحاب الحديث للبغدادي، ص (٩٣).

(٣) تذكرة السامع، ص (١٠٠).

(٤) أحمد (٢/ ١٩٥)

(٥) تاريخ اليعقوبي (٢/ ٥).

(٦) الاستيعاب، ص (١١٠٣).

(٧) المصدر السابق، ص (١١٠٤).

(٨) الطبقات (٢/ ٣٣٨).

أنه جاءه رجل يسأله عن فريضة رجل ترك ابنته وامرأته، قال: أنا أنبئك قضاء علىٰ قال: حسبىٰ قضاء علىٰ، قال: قضىٰ علىٰ لامرأته الثمن، ولابنته النصف، ثم رد البقية علىٰ ابنته[١]، وقد أثنىٰ الناس عليه في علمه، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أما إنه أعلم الناس بالسنة[٢]، وكان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكتب فيما ينزل به ليسأل له علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن ذلك، فلما بلغه قتله، قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب[٣]، وعن الحسن بن علىٰ، أنه خطب الناس بعد وفاة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: لقد فارقكم رجل أمس، ما سبقه الأولون بعلم، ولا أدركه الآخرون[٤]، وعن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة – وقد سئل عن علىٰ – فقال: كان لله والله ما شاء من ضرس قاطع السطة[٥] في النسب، وقرابته من رسول الله ومصاهرته، والسابقة في الإسلام، والعلم بالقرآن والفقه بالسنة، والنجدة في الحرب، والجود في الماعون[٦]، وعن مسروق قال: انتهىٰ علم أصحاب رسول الله إلىٰ عمر، وعلىٰ، وابن مسعود، وعبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[٧] وقد ترك أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نصائح وإرشادات لطلاب العلم والعلماء والفقهاء تستحق أن تحفظ ويعمل بها، ومن هذه النصائح:

١– الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم علىٰ سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق: روىٰ الحافظ أبو نعيم عن كميل بن زياد قال: أخذ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بيدي فأخرجني إلىٰ ناحية الجبَّان – يعنىٰ الصحراء– فلما أصحرنا جلس

(١) سنن الدارمىٰ (٢/ ٣٧٥).
(٢) الاستيعاب، ص (١١٠٤)..
(٣) المصدر السابق، ص (١١٠٨).
(٤) فضائل الصحابة (٢/ ٥٩٥).
(٥) **السطة**: التوسط، والوسط في النسب هو أكرمه وأشرفه.
(٦) ذخائر العقبىٰ للمحب الطبري، ص (٧٩).
(٧) تاريخ السيوطىٰ.. ص (١٩٦).

ثم تنفس ثم قال: يا كميل ابن زياد، القلوب أوعية فخيرها أوعاها للعلم، احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم علىٰ سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلىٰ ركن وثيق[(١)].

إن هذه الوصية البليغة قد اشتملت علىٰ درر المواعظ وغُرر الحكم، فقد قسم أمير المؤمنين علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الناس إلىٰ ثلاثة أقسام:

(أ) العلماء الربانيون: والمقصود بالعلماء علماء الدين، والربانيون الذين يجمعون بين الفقه والحكمة كما جاء في تفسير ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران:٧٩]، قال: حكماء فقهاء، أخرجه الإمام البخاري، وبذلك فسره عبد الله ابن مسعود، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٢)]، فالذين يجمعون بين الحكمة والفقه هم المؤهلون لتربية الأمة وتوجيهها، لأن الحكمة وضع الشيء في موضعه المناسب ومن ذلك التوفيق إلىٰ تطبيق الحكم الشرعي علىٰ واقع الناس، وذلك يقتضي فهما دقيقًا لواقع المجتمع الإسلامي، ومن الحكمة القيام بتربية الأمة بهذا الدين، وذلك يقتضي الجمع بين تعليم الدين والتربية علي التقوىٰ ومكارم الأخلاق، وأما الفقه فهو فهم الأحكام الدينية من مصادرها الشرعية، ولذلك كان العلماء الربانيون هم أفضل الأمة، لأنهم جمعوا بين فضيلتين هما: تلقىٰ العلم، والتعليم مع التربية، فهم المؤهلون لتربية الأمة وتوجيهها[(٣)]، وقد عرف أمير المؤمنين علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الربانيين بأنهم هم الذين يغذون الناس بالحكمة ويربونهم عليها[(٤)].

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٧٥)، صفة الصفوة (١/ ٣٢٩).

(٢) التاريخ الإسلامي للحميدي (١١، ١٢/ ٤٣٨).

(٣) التاريخ الإسلامي للحميدىٰ (١١، ١٢/ ٤٣٨).

(٤) الفتاوىٰ (١/ ٤٩).

(ب) طلاب العلم الذين أخلصوا نياتهم في طلب العلم: ليكون وسيلة إلىٰ نجاتهم من المسئولية أمام الله تعالىٰ، وقد عبر علىٰ رضي الله عنه عن هذا القسم بقوله: ومتعلم علىٰ سبيل نجاة، وهذا لا يختص بالدارسين الذين تفرغوا لطلب العلم، وإنما يشمل كل من حمل مسئولية تطبيق هذا الدين، وأهمه أمر نجاته في الآخرة، فاستفتىٰ في أمور دينه العلماء الربانيين، ليعبد الله علىٰ بصيرة، وليستقيم في معاملته مع الناس علىٰ منهج الله، فهذا يعتبر من المتعلمين علىٰ سبيل نجاة وإن لم يجلس في حلقات العلم[1].

إن أمير المؤمنين علىٰ رضي الله عنه يرينا أهمية إخلاص النية لله في طلب العلم، ويدعوهم لتقديم ما عند الله والدار الآخرة علىٰ حطام الدنيا وشهوات النفس والدعوة إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله ودين الحق والصبر علىٰ ذلك.

(ج) الذين هجروا العلم الديني ولم يكن لهم ارتباط بالعلماء الربانيين: في معرفة أمور دينهم، وقد عبر عنهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بقوله: وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم.

تحدث أمير المؤمنين عن صنف الهمج الرعاع أتباع كل ناعق، الذين يميلون مع كل ريح وليس لهم نور يستضيئون به، وحذر من هذا الصنف الإمعىٰ، وكأنه رضي الله عنه يدعو الناس بأن يكون همهم الحق والثبات عليه، وبأن يعمروا الدنيا والآخرة بطاعة الله وأن يستضيئوا بنور الله ويجعلوا الدنيا مطية للآخرة.

٢- المقارنة بين العلم والمال: وجاء في وصية أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لكميل بن زياد.. العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو مع العمل، والمال تنقصه النفقة، العلم حاكم، والمال محكوم عليه، وصنعة المال تزول بزواله ومحبة العالم دين يدان بها، العلم يكسب العالم

---

(١) التاريخ الإسلامي للحميدىٰ (١١، ١٢/ ٤٣٨).

الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد مماته، مات خزان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقىٰ الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة[(١)]، عقد أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مقارنة بين العلم والمال، باعتبار أن العلم الشرعي هو عماد أهل الآخرة ومعقد عزهم وشرفهم في الدنيا والآخرة، والمقصود بالمال هنا الذي يجمعه صاحبه لذاته ولا يتوجه فيه بالطاعات وفق شرع ربه، وقد سوغ هذا الحكم بعدة أمور:

(أ) أن العلم يحرس صاحبه بينما صاحب المال هو الذي يحرسه: فأما حراسة العلم صاحبه فإن العلم الإلهي يقىٰ صاحبه من المهالك في الدنيا والآخرة، فأما أمر الآخرة فظاهر معلوم، حيث إن هذا العلم يقود صاحبه إلىٰ رضوان الله تعالىٰ والجنة ويجنبه طريق النار، وما أعظمها من مطالب وما أبلغها من مكاسب، وأما الوقاية من مهالك الدنيا فإن السعادة الروحية الحقة لا تكون إلا باليقين الذي تتضاءل أمامة الحياة الدنيا، فتصبح جميع مآسيها ونكباتها بردًا وسلامًا علىٰ أصحاب اليقين، لأنهم لا يلقون لها بالًا، ولا يعيرونها اهتمامًا، بينما تتحول هذه المآسي والنكبات إلىٰ حياة جحيمية علىٰ أهل الدنيا الذين يعتبرون الحياة الدنيا هي رأس المال والمكسب، وأما حراسة صاحب المال ماله فأمرها ظاهر، فكم تملك أصحابها من الهم والخوف عليها تململ المريض، وباتوا يحرسون أموالهم بالهم والقلق والحزن المنهك[(٢)]. والعلم ينور بصيرة صاحبه في الاختيار الأفضل وفي استخلاص العبر من الأمم الماضية والعيش بها في الحياة، والعلم يفتح آفاقًا واسعة في فقه الخلاف، ومعرفة المصالح والمفاسد، والمقاصد، وترتيب الأولويات فيسير صاحبه بنور بين الناس.

(ب) أن العلم ينمو ويترسخ بالعمل: لأن العمل تطبيق للعلم، فهو بذلك

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٧٥)، صفة الصفوة (١/ ٣٢٩).

(٢) التاريخ الإسلامي للحميدي (١٢/ ٤٤٢).

يزيده عمقًا في الذاكرة، بخلاف المال فإن الإنفاق منه ينقصه، ولا يغيبنَّ عن البال أن المقصود هنا أموال أهل الدنيا التي ينفقون منها من أجل الدنيا، أما أموال أهل الآخرة فإنها محكومة بالعمل الشرعي، فالإنفاق منها يزيدها نموًا كما جاء في قول الرسول ﷺ: «**ما نقص مال عبد من صدقة**»[(١)].

(ج) أن العلم الشرعي حاكم لأنه تنتظم به شئون الحياة: وعلىٰ منهاجه يجب أن تقرر جميع الأنظمة التي تحكم الناس، فهو الحاكم الحقيقي، أما المال فإنه محكوم عليه لأن إصداره وإيراده يخضع للأنظمة الحاكمة سواء كانت شرعية أو غير شرعية[(٢)].

(د) أن العلاقات الاجتماعية التي تقوم على المصالح المالية المشتركة تزول بزوال المال: لأنه هو الذي عقد تلك العلاقات بناء علىٰ تبادل المصلحة بوجوده، فإذا زال زالت تلك المصالح، أما العلاقات الأخوية التي تقوم علىٰ تبادل العلم الشرعي بين العالم ومحبيه فإنها باقية خالدة في الدنيا والآخرة، قال تعالىٰ: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧﴾ [الزخرف:٦٧].

(هـ) أن العلم الشرعي يكسب ولاء المسلمين وطاعتهم لأهله اختيارًا منهم: من غير أن تفرض عليهم هذه الطاعة، وذلك علىٰ امتداد حياتهم، كما يكسبهم الذكر الحسن بعد مماتهم إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها، حيث لا يفقد الناس إلا صورهم وأشكالهم.

وإننا لو استعرضنا التاريخ إلىٰ عصرنا هذا لوجدنا العلماء من عهد الصحابة، رضي الله عنهم، تتردد أسماؤهم ويذكر التاريخ حياتهم في الكتب والخطب والدروس العلمية، بينما اندرست أسماء كبار أهل الدنيا بانقضاء حياتهم،

---

(١) المصدر نفسه (١٢/ ٤٤٢).

(٢) التاريخ الإسلامي (١٢/ ٤٤٢).

وأحيانًا يشاهدون انطفاء سمعهم وهم أحياء[(١)].

٣- أن الفقيه كل الفقه الذي لا يقنط الناس من رحمة الله: ولا يؤمنهم من عذاب الله، ولا يرخص لهم في معاصي الله، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلىٰ غيره، ولا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها[(٢)].

في هذا النص يبين أمير المؤمنين علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن من الفقه في الدين التزام صفة الاتزان والاعتدال في عرض أمور الدنيا ومحاولة إصلاح الناس، وذلك بأن يسير الداعية في خط وسط بين مقامي الخوف والرجاء، فلا ينطلق في تخويف الناس إلىٰ الحد الذي يجعلهم يقنطون من رحمة الله، ولا ينطلق في ترغيب الناس إلىٰ الحد الذي يجعلهم يأمنون من عذاب الله تعالىٰ، ونجد عليًا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في هذا النص يبين أن من مظاهر الفقه في الدين ألا يهون العالم من شأن المعاصي فيجرئ الناس علىٰ ارتكابها، وأن يحافظ علىٰ مستوىٰ الإيمان والتقوىٰ لدىٰ الناس مع محاولة رفعهم نحو الكمال في ذلك، كما أن من الفقه أن يحاول العالم ربط المسلمين بكتاب الله تعالىٰ، وهنا يبين علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أهمية القرآن الكريم وتفضيله المطلق علىٰ كل ما سواه، وفيه تبيين أو تعليم للطريقة التي نتعامل بها مع القرآن الكريم، وألا نتجاوزه إلىٰ غيره رغبة عنه لأنه مصدر الهداية الأول، ومن المعلوم أن السنة النبوية بيان تفصيلي للقرآن الكريم، فالتوجيه إلىٰ القرآن يعتبر توجيهًا إلىٰ السنة، ثم يبين أن من أهم شروط العبادة الشرعية المقبولة أن تكون صادرة عن علم بالكتاب والسنة وأن العلم لا يكون نافعًا إلا إذا رافقه الفهم الصحيح.

---

(١) المصدر نفسه (١٢/ ٤٤٣).

(٢) حلية الأولياء (١/ ٧٧)، صفة الصفوة (١/ ٣٢٥).

ويختم وصيته النافعة ببيان أهمية تدبر معاني كتاب الله تعالىٰ حال التلاوة لأن الخير كل الخير في فهم مقاصد القرآن الكريم للعمل بأحكامه، والتوجه الكامل لله بالقلب والعقل والروح والجوارح عند قراءتنا لكتابة، وبذل كل ما نستطيع لفهم مراد الله والعمل بأوامره واجتناب نواهيه، والتخلص من كل العوائق التي تحول بيننا وبين كتاب الله، فهذا يدعونا للتجرد لله بالكلية وإخلاص الدين له، وتحرىٰ مراد الله ورسوله ودين الحق، ولو أدىٰ إلىٰ مفارقة الأهل والمال والولد والوجاهة الدنيوية، فإن ما عند الله خير وأبقىٰ والاتعاظ بمواعظه وتنمية الإيمان بتذكر معاني هذا الكتاب العظيم[(١)].

٤- ما أبردها علىٰ الكبد: عن الشعبي عن علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه خرج عليهم وهو يقول: ما أبردها علىٰ الكبد فقيل له: وما ذلك؟ قال: أن تقول للشيء لا تعلمه: الله أعلم.[(٢)]

٥- أهل العلم وتعليم الناس: قال أمير المؤمنين علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما أخذ الله العهد علىٰ أهل الجهل أن يتعلموا حتىٰ أخذ علىٰ أهل العلم أن يُعَلِّموا[(٣)].

٦- الخير في كثرة العلم لا المال والولد: قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله، ولا خير في الدنيا إلا أحد رجلين، رجل أذنب ذنبًا فهو تدارك ذلك بتوبة، أو رجل يسارع في الخيرات، ولا يقل عمل في تقوىٰ، وكيف يقل ما يتقبل؟[(٤)].

٧- العلم والجهل: قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كفىٰ بالعلم شرفًا أن يدعيه من لا يحسنه

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٢/ ٤٣١ - ٤٣٣).
(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٦٦).
(٣) فرائد الكلام، ص (٣٦١)
(٤) حلية الأولياء، ص (٧٥).

ويفرح به إذا نُسب إليه، وكفىٰ بالجهل ضعة أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب إذا نُسب إليه[١].

٨- سبب زهد الناس في العلم: قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنما زهد الناس في طلب العلم، لما يرون من قلة انتفاع من عَلِمَ بما عَلِم[٢]، وهذا فيه تحذير لعلماء السوء الذين يصدون عن سبيل الله، ودعوة للعلماء بالعمل بعلمهم ودعوة الناس إليه والصبر علىٰ أذاهم في سبيل الله تعالىٰ.

٩- من حقوق العلماء علىٰ أمتهم: قال أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من حق العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال، ولا تعنته بالجواب، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفشين له سرًا، ولا تغتابن عنده أحدًا، ولا تطلبن عثرته، وإن زل قبلت معذرته، وعليك أن توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ أمر الله، ولا تجلس أمامه، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلىٰ خدمته[٣].

١٠- مكانة العلماء العاملين عند الله: قال أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من علم وعمل دُعي في ملكوت السماوات عظيمًا[٤]، وهذه دعوة للعلم والعمل، وحث للسعي للمقامات العالية التي يكرم الله بها من علم وعمل ابتغاء مرضاته ـ .

١١- الاشتغال بالعلم أولىٰ من الاشتغال بالعبادات التطوعية: قال أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف مثله[٥]. وهذا التوجيه فيه دلالة علىٰ

---

(١) فرائد الكلام، ص (٣٦٦).
(٢) أدب الدين والدنيا، ص (٨٢، ٨٥).
(٣) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥١٩).
(٤) المصدر نفسه (١/ ٤٩٧).
(٥) المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح للدمياطي، ص (١٣).

فقه ترتيب الأولويات عند أمير المؤمنين علي، فهو يرىٰ العمل المتعدي لخير الناس، هو العلم الأولىٰ بالتقديم من العمل التعبدي الذي ترجع فائدته علىٰ الشخص نفسه.

هذه بعض التوجيهات النافعة والإرشادات الصالحة من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لطلاب العلم.

ثانيًا: زهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وورعه:

فهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من خلال معايشته للقرآن الكريم وملازمته للنبي الأمين ﷺ ، ومصاحبته للصحابة الكرام، ومن تفكره في هذه الحياة أن الدنيا دار اختبار وابتلاء، فقد تربىٰ أمير المؤمنين علي رضي الله عنه علىٰ كتاب الله، واستوعب الآيات التي تحدثت عن الدنيا، وأخبرتنا بخستها وقلتها وانقطاعها وسرعة فنائها، والآيات التي رغبت في الآخرة، وأخبرت بشرفها ودوامها كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف:٤٥، ٤٦]، وتربىٰ علىٰ يدي النبي ﷺ الذي كان أعرف الخلق بالدنيا ومقدارها، إذ هو القائل ﷺ : «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقىٰ كافرًا منها شربة ماء**»[1]، وقال ﷺ : «**ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بما ترجع**»[2]، وقال ﷺ : «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**»[3]، وقد تأثر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بالتربية القرآنية والنبوية، فكان من أصدق النماذج التي زكتها تربية النبي عليه السلام والتي قال الله فيها: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ

---

(١) سنن الترمذي رقم (٤١١٠).

(٢) مسلم رقم (٢٨٥٨).

(٣) مسلم رقم (٢٨٥٦).

﴿رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾ [البقرة:١٥١]، فقد ضرب لنا أروع الأمثلة في الزهد، وهذه بعض المواقف المدهشة في هذا الباب.

١- يا صفراء ويا بيضاء غُرِّىٰ غيري: عن علي بن ربيعة الوالبي أن علي بن أبي طالب جاءه ابن النباح فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء، فقال: الله أكبر، فقام متوكئًا علىٰ ابن النباح حتىٰ قام علىٰ بيت مال المسلمين فقال:

هـــذا جَنَـــاىَ خيـــاره فيـــه وكـــل جَـــانٍ يـــده إلـــى فيـــه

يا ابن النباح عليَّ بأشياع الكوفة، قال: فنودي في الناس، فأعطىٰ جميع ما في بيت مال المسلمين وهو يقول: يا صفراء، ويا بيضاء غرىٰ غيري، ها، ها، حتىٰ ما بقي منه دينار ولا درهم، ثم أمره بنضحه وصلىٰ فيه ركعتين، وفي رواية أخرىٰ لأبي نعيم من خبر مجمع التيمىٰ قال: كان علي يكنس بيت المال ويصلي فيه ويتخذه مسجدًا رجاء أن يشهد له يوم القيامة.

ففي هذا مثل بليغ في الترفع عن متاع الدنيا الزائل، فبيت المال قد امتلأ من الذهب والفضة، ولا ينظر إليه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه نظرة إعجاب وغرور، بل كان جوابه حينما أبلغه المسئول المالي عن ذلك أن قال: «الله أكبر»، فإذا كان بعض الناس يكبرون الدنيا ويعظمونها، فالله تعالىٰ أكبر منها ومن كل شيء، وما دام المسلم يشعر حقًا أن الله أكبر، فلماذا يجعل قلبه مستسلمًا لما هو أصغر؟! إنه فقه عظيم من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حينما تذكر هوان الدنيا وحقارتها، فكبر الله تعالىٰ، ولسان حاله يؤنب من انخدع بمتاع الدنيا الزائل ونسىٰ أن الله، جلا وعلا، أكبر من كل شيء، إنه لميزان دقيق يحسه المؤمن الذي نَوَّر الله، سبحانه بصيرته، فكلما كان الله تعالىٰ أعظم وأكبر من كل شيء في قلبه كانت الدنيا وما فيها أهون شيء عليه، وأصبح يسخر المال الحلال في طاعة الله جل وعلا، وكلما عظمت الدنيا في قلبه كان ذلك علىٰ حساب نقص تعظيمه لله

تعالىٰ، ونجد أمير المؤمنين عليًّا رضي الله عنه يحلق في آفاق العظمة وهو يخاطب الدنيا بقوله: يا صفراء ويا بيضاء غرىٰ غيرىٰ.. مما يدل علىٰ الوجدان الحىٰ والحس المرهف الذي يصور الدنيا كخصم يخاتل ويراوغ خصمه.. وهو بهذا يعلن انتصاره علىٰ جموح النفس وجنوح العواطف، ويحكم عقله الذي يعطي الدنيا حجمها المناسب لزمنها المحدود في شقائها ونعيمها، ويعطي الآخرة حجمها المناسب لخلودها وعظمة نعيمها وهول جحيمها، ونجده رضي الله عنه يصل إلىٰ قمة المعالي حينما صلىٰ في بيت المال ركعتين لتكونا شاهدتين له يوم القيامة بأنه عدل في حكمه واستقام في أمره، ولعل في اتخاذ بيت المال مسجدًا رمزًا لعلو الآخرة علىٰ الدنيا، وهو مُكمِّل للسلوك العالي الذي مارسه في تصريف ذلك المال في وجوهه المشروعة[(١)].

٢- والله ما أرزؤكم من مالكم شيئًا: ومن مواقف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في الزهد والورع ما رواه هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلت علىٰ علي بن أبي طالب بالخورنق[(٢)]، وهو يرعد تحت سمل قطيفة[(٣)]، فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع! فقال: والله ما أرزؤكم من مالكم شيئًا، وإنها لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي - أو قال من المدينة-[(٤)].

وهنا نتساءل فنقول: ما الذي حمل أمير المؤمنين عليًّا علىٰ أن يعيش عيشة الفقراء وأن يتحمل البرد القارس وهو قادر علىٰ أن يشتري أفخر ما يوجد في الأرض من الملابس وأكثرها دفئًا؟ إنه مثال للزهد الحقيقي حيث يرغب عن

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٢/ ٤٢٧) للحميدي.

(٢) موضع بالكوفة.

(٣) **سمل قطيفة**: يعنىٰ قطيفة قديمة.

(٤) حلية الأولياء (١/ ٨٢)، صفة الصفوة (١/ ٣١٦).

متاع الدنيا مع القدرة علىٰ تحصيله، إنه تلميذ المدرسة النبوية التي رُبي فيها علىٰ الزهد في متاع الدنيا الزائل، والتنافس علىٰ نعيم الآخرة الخالد، فلقد عاش رسول الله ﷺ عيشة الفقراء وهو يستطيع أن يكون كأفضل الأغنياء[(١)].

٣- باعني رضاي وأخذ رضاه: عن أبي مطر بن عبد الله الجهني قال: رأيت عليًا عليه السلام متزرًا بإزار، مرتديًا برداء ومعه الدرة، كأنه أعرابي بدوي، ثم ذكر دخوله إلىٰ السوق ومساومته أحد التجار في ثوب بثلاثة دراهم، وأن التاجر عرفه، قال: فلما عرفه لم يشتر منه شيئًا، فأتىٰ آخر فلما عرفه لم يشتر منه شيئًا، فأتىٰ غلامًا حدثًا فاشترىٰ منه قميصًا بثلاثة دراهم، ثم جاء أبو الغلام فأخبره، فأخذ أبوه درهمًا ثم جاء به فقال: هذا الدرهم يا أمير المؤمنين، قال: ما شأن هذا الدرهم؟ قال: كان ثمن القميص درهمين، فقال باعني رضاي وأخذ رضاه[(٢)].

فهذا مثل في الزهد من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فلقد كان مظهره في لباسه يوحىٰ بأنه رجل أعرابي لخشونة ملابسه، وحينما اشترىٰ له ثوبًا اختار نوعًا متواضعًا رخيص الثمن مع أنه كان آنذاك أعلىٰ مسئول في العالم، حيث كان خليفة المسلمين، وهذا يدل علىٰ تواضعه وزهده في الدنيا، علمًا أن له حقه من الفيء ومن بيت المال وغيرهما من مصادر الدولة لشخص مفرغ، كخليفة وحاكم، لمراعاة مصالح المسلمين.

ومثل آخر في الورع والاحتياط للدين حينما امتنع من الشراء ممن يعرفونه حتىٰ لا يراعوه في الثمن لمنصبه، فهو لا يريد أن يستثمر منصبه الكبير لمصالحه الخاصة، وهذا فهم دقيق لمجالات الورع والتقوىٰ، فالخلافة عنده وعند أمثاله عمل صالح، والخليفة إذا صاحبه العدل كان أول السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة، فهو لا يريد أن يدنس هذا العمل الصالح بمصالح دنيوية،

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٢/ ٤٢٨).

(٢) الزهد، ص (١٣٠).

فيتحول العمل إلىٰ مجلبة للوزر بدلًا من الأجر، فكان بهذا السلوك العالي قدوة حسنة لمن أتوا بعده[١].

٤- يخشع القلب ويقتدي به المؤمن: قال عمر بن قيس: قيل لعلي رضي الله عنه: لم ترقع قميصك؟ قال: يخشع القلب ويقتدي به المؤمن[٢]، فهذا من زهده رضي الله عنه وحرصه علىٰ تربية المسلمين علىٰ حياة الزهد والتقشف، فقد لاحظ في لبس الثوب المرقوع ملحظين: الأول أنه وسيلة إلىٰ خشوع القلب وتواضع النفس والبعد عن أسباب العجب والكبرياء، والثاني أنه يعتبر بذلك قدوة للمسلمين، فإذا رآه الناس- وهو في أعلىٰ منصب - يلبس الثوب المرقع فإن نفوسهم تتواضع ويبتعدون عن التنافس في شراء الملابس الغالية الثمن، ويتقوىٰ بذلك الزاهدون الذين يتعرضون لملامة الناس علىٰ سلوكهم حياة الزهد[٣].

٥- لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان: عن عبد الله زُرَير الغافقي قال: دخلت علىٰ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقرب إلينا خزيرة[٤]، فقلت: أصلحك الله لو قربت إلينا من هذا البط - يعني الأوز- فإن الله عز وجل قد أكثر الخير، فقال: يا ابن زرير إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان، قصعة يأكلها هو وأهله، وقصعة يضعها بين يدىٰ الناس**»[٥]، فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يضرب مثلًا عاليًا في الورع والزهد في متاع الدنيا الزائل من طعام وشراب، فلقد كان بإمكانه أن يأخذ من بيت المال ما شاء من الأموال مما لا يلفت النظر إليه، حيث يؤمن له معيشة مساوية لأغنياء

(١) التاريخ الإسلامي (١٢/ ٤٢٩) للحميدي.
(٢) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص (٦٤٧) للذهبي.
(٣) التاريخ الإسلامي (١٢/ ٤٣٠) للحميدى.
(٤) **الخزيرة**: لحم يقطع ويطبخ بالماء ويذر عليه الدقيق.
(٥) أحمد (١/ ٧٨).

المسلمين، ولكنه رضي بخشونة العيش إيثارًا للآجلة عن العاجلة، واحتياطًا لأمر دينه، وإبرازًا للقدوة الصالحة، لأنه إذا كان أعلىٰ رجل في الدولة يعيش في هذا المستوىٰ من العيش فإن في ذلك عزاء للفقراء ليصبروا ويرضوا بقضاء الله تعالىٰ وقدره، ووعظًا للأغنياء ليشكروا الله تعالىٰ، فيخففوا من اندفاعهم نحو الترف والإسراف[(١)].

٦- لا أحب أن يدخل بطني إلا ما أعلم: كان أمير المؤمنين رضي الله عنه يختم علىٰ الجراب الذي فيه دقيق الشعير الذي يأكل من ويقول: لا أحب أن يدخل بطني إلا ما أعلم[(٢)]، وقال سفيان: إن عليًا لم يبن آجرة علىٰ آجرة ولا لبنة علىٰ لبنة، ولا قصبة علىٰ قصبة، وإن كان ليؤتىٰ بحبوبه من المدينة في جراب[(٣)].

٧- إنك لطيب الريح، حسن اللون، طيب الطعم: يروي عدي بن ثابت، وحبة بن جوين أنه أتىٰ بطستخوان فالوذج[(٤)] إلىٰ علي فلم يأكل، وقال علي: إنك لطيب الريح، حسن اللون، طيب الطعم، لكن أكره أن أعوِّد نفسي ما لم تعتده[(٥)].

٨- أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب: قال الحسن بن صالح بن حي: تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز، فقال: أزهد الناس في الدنيا علي ابن أبي طالب[(٦)]، وقد ذكر الذهبي أن عليًا ركب حمارًا ودلىٰ برجليه إلىٰ موضع

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٢/ ٤٣١).

(٢) الكامل في التاريخ (٢/ ٤٤٣).

(٣) الكامل في التاريخ (٢/ ٤٤٣).

(٤) **الطستخوان**: عبارة عن طست كبير يوضع وسط المائدة.

والفالوذج: حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل.

(٥) الحلية (١/ ٨١)،

(٦) تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين، ص (٦٤٥).

واحد ثم قال: أنا الذي أهنت الدنيا (وفعله هنا من باب التربية العملية على الزهد والتقوى والترفع على الدنيا وليس على سبيل الخبلاء)[1]، وأخرج أبو عبيد في الأموال عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أعطى العطاء في سنة ثلاث مرات، ثم أتاه مال من أصبهان، فقال: اغدوا إلى عطاء رابع، إني لست بخازنكم، فأخذها قوم وردها قوم[2]، وخطب على الناس فقال: أيها الناس، والله الذي لا إله إلا هو، ما رزأت من مالكم قليلًا ولا كثيرًا إلا هذه، وأخرج قارورة من كم قميصه فيها طيب، فقال أهدى إلي دهقان، وقال: ثم أتى بيت المال وقال: خذوا، وأنشا يقول:

أفلح من كانت له قوصرة[3] ... يأكل منها كل يوم تمرة[4]

لقد كان الزهد من الصفات البارزة في شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان زهده مع توافر أسباب الرخاء والثراء، وثقة الناس وتوقيرهم وإجلالهم له الذي يمنع من النقد والحسبة والمؤاخذة[5]، ولم يكن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع زهده وورعه وتصلبه في دينه، على شيء من الفظاظة والخشونة والعبوس والكلح، ولم يكن ثقيل الظل، بل كان ودودًا بشوشًا فيه دعابة ملحوظة، وقد جاء في وصفه: كان حسن الوجه، ضحوك السن، خفيف المشي على الأرض[6] وقد عرَّف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الزهادة فقال: أيها الناس الزهادة، قصر الأمل، والشكر عند النعم والتورع عن المحارم[7].

---

(١) تاريخ الإسلام، للذهبي ص، (٦٤٥).
(٢) كنز العمال (٢/ ٣٢٠).
(٣) **القوصرة**: وعاء من قصب يجعل فيه التمر ونحوه.
(٤) المرتضى للندوى، ص (٢١٢).
(٥) المصدر نفسه، ص (٢١٠).
(٦) المرتضى للندوى، ص (٢١٣).
(٧) علي بن أبي طالب، محمد رشيد رضا، ص (٣٠٤).

وقصر الأمل ضد طول الأمل الذي ينسىٰ الإنسان الآخرة، وإما قصره فيجعله يجمع بين الدنيا والآخرة ابتغاء مرضاة الله، وأما الشكر عند النعم فهي صفات المسلم الرباني الذي يستشعر نعم الله عليه المادية والمعنوية، ما ظهر منها وما بطن، ويقابلها بالشكر للعزيز الوهاب، فتعريف أمير المؤمنين يبين حقيقة الزهد، ولا شك أن زهد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قد أثر في من حوله، وأصبح مدرسة مؤثرة في تاريخ الأمة، وقد ربط أبو الحسن الندوىٰ بين الزهد والتجديد في المجتمع الإسلامي فقال: ولقد رأينا الزهد والتجديد مترافقين في تاريخ الإسلام، فلا نعرف أحدًا ممن قلب التيار، وغير مجرىٰ التاريخ، ونفخ روحًا جديدة في المجتمع الإسلامي، أو فتح عهدًا جديدًا في تاريخ الإسلام، وخلف تراثًا خالدًا في العلم والفكر والدين، وظل قرونًا يؤثر في الأفكار والآراء ويسيطر علىٰ العلم والأدب، إلا وله نزعة في الزهد، وتغلب علىٰ الشهوات، وسيطرة علىٰ المادة ورجالها، ولعل السر في ذلك أن الزهد يكسب الإنسان قوة المقاومة، والاعتداد بالشخصية والعقيدة، والاستهانة برجال المادة، وصرعىٰ الشهوات، وأسرىٰ المعدة[١].

ثالثًا: تواضع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

من الأخلاق القرآنية التي تجسدت في شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه خلق التواضع، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الإسراء:٣٧]، وقول تعالىٰ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان:١٨، ١٩].

وفي آية الإسراء دعوة واضحة إلىٰ التحلي بمكارم الأخلاق من التواضع واللين، ومعرفة قدر النفس، والنهي الصريح عن رعونات النفس من الكبر

---

(١) رجال الفكر والدعوة في حديثه عن الإمام أحمد (١/ ١٠٥).

والبطر والأشر والاحتقار للناس، والأمر بضده وهو التواضع والقصد من الأمور صراحة بعد أن علم بالمفهوم من النهي السابق، وذيَّل الله تعالىٰ النهي والأمر بما ذيل به النهي السابق من عدم رضاه وشدة سخطه علىٰ من اتصف بتلك الصفات، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨﴾ [لقمان:١٨]، فعدم محبته لمن كان كذلك، يعنىٰ بغضه له، كما دلت عليه الآية السابقة، وفي هذا من الحث علىٰ التواضع ما فيه الكفاية للمؤمن[١]، غير أن القرآن الكريم لم يقتصر علىٰ ذلك، بل نوه بالمتواضع أيما تنويه حيث قال الله جل ذكره: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾ [الفرقان:٦٣].

وهذا تنويه عظيم بالمتواضعين حيث وصفهم بالعبودية له، وذلك أعظم تشريف لهم، لأن العبودية له، سبحانه، هي أشرف الأوصاف، ومن أعلىٰ مراتب المحبين، وبذلك يتفاخرون ولذلك يقول الشاعر:

ومما زادني شرفًا وتيهًا … وكدت بأخمصى أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي … وأن صيرت أحمد لي نبيًا[٢]

وكان نبينا محمد ﷺ في ذروة الذرا من هذا الخلق العظيم في كل صوره وأشكاله، ولا غرابة في ذلك فهو الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه، وكان مما أدبه الله تعالىٰ به في هذا الخلق قوله ـ : ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الحجر:٨٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾ [الشعراء:٢١٥]. وخفض الجناح كناية عن التواضع لهم والرفق بهم[٣]، وقد قام النبي ﷺ بذلك حق القيام، وظهر أثر

(١) أخلاق النبي في القرآن والسنة، أحمد الحداد (١/ ٤٥٤).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٤٥٥).
(٣) روح المعاني للألوسىٰ (٥/ ٨٠).

التواضع في كل أحواله الذاتية والاجتماعية والأسرية، وفي كل زمان ومكان بحيث لا يخلو حال من أحواله ٥ عن التواضع لله تعالىٰ والمؤمنين[١]، وقد تأثر أمير المؤمنين علي ﷺ بالتربية القرآنية الكريمة، والتربية النبوية الرشيدة، فكانت هذه الصفة متجسدة في شخصيته الفذة، وإليك بعض المواقف:

(أ) أنا الذي أهنت الدنيا: عن صالح بن أبي الأسود عمن حدثه أنه رأىٰ عليًا قد ركب حمارًا ودلىٰ رجليه إلىٰ موضع واحد ثم قال: أنا الذي أهنت الدنيا[٢]، وهكذا يشعر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بالفرح لانتصاره علىٰ نفسه، وظهوره بمظهرالتواضع أمام الناس وهو خليفة المسلمين، إن مناصب الدنيا خداعة غرارة، وإن فتنة الجاه بها أعظم من فتنة المال، فلطالما رئىٰ أناس مسئولون كانوا متواضعين قبل أن يلوا، فلما تولوا مناصب كبيرة بدأ التعاظم في نفوسهم شيئًا فشيئًا، حتىٰ يكون من الصعب في آخر الأمر مخاطبتهم، واللقاء معهم، لكن أولياء الله المتقين كلما ازدادوا رفعة في المناصب الدنيوية زادوا تواضعًا للناس، وشعروا بالسرور وهم يقومون بمظاهر التواضع التي تنفي عنهم صفة التجبر والكبرياء[٣].

(ب) أبو العيال أحق أن يحمل: روىٰ عن علي ﷺ أنه أشترىٰ تمرًا بدرهم فحمله في ملحفة، فقالوا: نحمل عنك يا أمير المؤمنين، قال: لا، أبو العيال أحق أن يحمل[٤]، فهذا مثل من تواضعه حيث حمل متاعه بنفسه مع كونه أمير المؤمنين ومع كبر سنة، فلم ير في ذلك مسوغًا لقبول خدمة الناس له، وهو بهذا يجعل من نفسه قدوة حسنة للمسلمين في التواضع، فلو نازعت أحد الكبراء

---

(١) أخلاق النبي في القرآن والسنة (١/ ٤٥٩).

(٢) البداية والنهاية (٨/ ٥).

(٣) التاريخ الإسلامي (١٧/ ٦٣) للحميدىٰ.

(٤) الزهد للإمام أحمد، ص (١٣).

نفسه في تصور العيب من حمل المتاع فإنه بتذكره لموقف أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يزول ما في نفسه من ذلك، ولو اعترض علىٰ أحد المتواضعين معترض فإن له من الاقتداء بأكبر أمير علىٰ وجه الأرض ما يرد هذا الاعتراض[(١)].

(ج) معاملته لعمه العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عن صهيب مولىٰ العباس، قال: رأيت عليا يقبل يد العباس ورجله ويقول: يا عم، ارض عني[(٢)]. ولنتأمل ما ورد في وصف ضرار الطائىٰ لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث يقول: يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له[(٣)].

ومن أقوال أمير المؤمنين في التواضع: «تواضع المرء يكرمه»[(٤)]، إن العبد كلما رسخ في العلم بالكتاب والسنة وعمل بهما، وعرف حقيقة نفسه ازداد تواضعًا لله ولخلقه، كما إن علة من أعجب بنفسه من بعض دعاة اليوم إنما هي من قلة العلم والفهم، إضافة إلىٰ انصراف نظر الداعي إلىٰ كثرة من حوله من الأتباع، وغفلته عن النظر إلىٰ ما عند الله، ثم إلىٰ من فوقه من العلماء الربانيين، وهذا من مداخل الشيطان الخفية علىٰ طلاب العلم والمحسوبين علىٰ حقل الدعوة، وقد قيل في منشور الحكم: «إذا علمت فلا تفكر في كثرة من دونك من الجهال، ولكن انظر إلىٰ من فوقك من العلماء»[(٥)].

ونختم هذه الصفة بقول أمير المؤمنين علي: «ما أحسن تواضع الغنىٰ للفقير رغبة في ثواب الله، وأحسن منه تيه الفقير علىٰ الغني ثقة بالله عَزَّ وَجَلَّ»[(٦)]، والتيه

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٧/ ٦٤).

(٢) أصحاب الرسول (١/ ٢٢٤)،

(٣) الاستيعاب (٣/ ١١٠٨).

(٤) منهج أمير المؤمنين علىٰ في الدعوة، ص (٥٢٣).

(٥) هداية المرشدين، ص (١٠٥) علىٰ محفوظ.

(٦) موعظة المؤمنين (٢/ ٣٤٤)

المقصود به: الاستغناء بالله عما في أيدىٰ الأغنياء ولا يعني أبدًا التكبر والغرور.

رابعًا: كرمه وجوده:

من الأخلاق القرآنية الكريمة التي تجسدت في شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه خلق الكرم والجود، وقد كان تنويه القرآن الكريم بأهل الكرم عظيمًا، وقد كان هذا التنويه من أول القرآن الكريم حيث يقول سبحانه في مستهل ثاني سورة بعد البسملة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة:١- ٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ۝٢٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤﴾ [الرعد:٢٢- ٢٤]، وقد كان رسول الله ﷺ قد بلغ مبلغ الكمال والعظمة في كافة الأخلاق، ولا سيما خلق الكرم، وقد وصفته خديجة، رضي الله عنها، بقولها: «إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرىٰ الضيف، وتعين علىٰ نوائب الحق»[(١)]، فهي تصفه بهذه الصفات البالغة العظمة والقدر، والتي كان عليها قبل بعثته ورسالته، ولم يكن قد تحمل أعباء أمته، ولقد أضفت عليه النبوة زيادة كمال وعظمة، فكيف به بعد ذلك كله؟ لا جرم أن كرمه ﷺ بعد ذلك سيكون بالغًا ذروة الذرَا في كرم الأنبياء وسائر البشر، وهو ما دلت عليه الدلائل النقلية الكثيرة[(٢)]، وقد تأثر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالتربية القرآنية والنبوية، وترك لنا آثارًا بارزة دالة علىٰ تأصل خلق الجود والكرم في شخصيته العظيمة، فقد ذكر الحافظ ابن كثير من خبر الأصبغ بن نباته: أن رجلًا

(١) السيرة النبوية (١/ ١١٦).

(٢) أخلاق النبي.

جاء علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة فرفعتها إلىٰ الله تعالىٰ قبل أن أرفعها إليك، فإن قضيتها حمدت الله وشكرتك، وإن لم تقضها حمدت الله وعذرتك، فقال علىٰ: اكتب حاجتك علىٰ الأرض فإني أكره أن أرىٰ ذل السؤال في وجهك، فكتب: إني محتاج، فقال لي: عليَّ بحُلة، فأتىٰ بها، فأخذها الرجل فلبسها، ثم أنشأ يقول:

كسوتني حُلة تبلي محاسنها ... فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا

إن نلت حسن ثنائي نلت مكرمة ... ولست أبغي بما قد قلته بدلا

إن الثنا ليحيي ذكر صاحبه ... كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا

لا تزهد الدهر في خير تواقعه ... فكل عبد سيجزي بالذي عملا

فقال علي: عليَّ بالدنانير، فأُتىٰ بمائة دينار فدفعها إليه، فقال الأصبغ: يا أمير المؤمنين، حلة ومائة دينار قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أنزلوا الناس منازلهم**» وهذه منزلة هذا الرجل عندي[1]، فهذا موقف جليل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الوقوف عند حاجات المحتاجين والاهتمام بأمورهم ورعاية مشاعرهم، وإن أروع ما في هذا الخبر قوله: «اكتب حاجتك علىٰ الأرض فإني أكره أن أرىٰ ذل السؤال في وجهك» فكم يعاني المحتاجون من الذل بين يدي من يعرضون عليهم حوائجهم، وقدم يتلعثمون فلا يستطيعون النطق، ولقد كانت مشاعر ذلك المحتاج عظيمة حينما واجهه أمير المؤمنين عليَّ بهذه المعاملة السامية، ولقد صاغ هذه المشاعر بالأبيات المذكورة[2]، وقد كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يفرح بقدوم الضيف، ويكرم إخوانه في الله ويتفقدهم، فعن أمير المؤمنين علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لم يأتنىٰ ضيف منذ سبعة أيام،

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ٩).

(٢) التاريخ الإسلامي للحميدىٰ (١٧/ ١٢٧).

أخاف أن يكون الله قد أهانني[(١)].

وقال: لعشرون درهمًا أعطيها أخي في الله أحب إليَّ من أن أتصدق بمائة درهم علىٰ المساكين[(٢)]، وعندما سُئل عن السخاء، قال: «ما كان منه ابتداء، فأما ما كان من مسألة فحياء وتكرم»[(٣)] وقد جعل في حياته أوقافًا لله تعالىٰ، حيث جعل أرضه بينبع وقفًا، وكتب فيها كتابًا: «هذا ما أمر به علي بن أبي طالب، وقضىٰ في ماله: إني تصدقت بينبع ووادي القرىٰ والأذينة وراعة في سبيل الله وذىٰ الرحم القريب والبعيد، ولا يوهب ولا يورث، حيًا أنا أو ميتًا»[(٤)]، وقد قال عن صدقته: «لقد رأيتنىٰ وإني لأربط الحجر علىٰ بطني من الجوع، وإن صدقتي لتبلغ اليوم أربعة آلاف دينار»[(٥)]، ولم يرد بقوله أربعة آلاف دينار زكاة ماله، وإنما أراد الأوقاف التي جعلها صدقة، وكان الحاصل من دخلها صدقة هذا العدد، فإن أمير المؤمنين علىٰ رضي الله عنه لم يدخر مالًا، ودليل ذلك[(٦)] ما قاله ابنه الحسن بعد مقتله: لقد فارقكم رجل ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم، بقيت من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادمًا، يعنىٰ عليًا[(٧)]، رضي الله عنه.

وكان يحث الناس علىٰ إكرام العشيرة فيقول: «أكرم عشيرتك، فإنهم جناحك الذي به تطير، وإنك بهم تصول، وبهم تطول، وهم العدة عند الشدة، أكرم كريمهم، وعُدْ سقيمهم، وأشركهم في أمورك، ويسَّر عن معسرهم»[(٨)].

---

(١) فرائد الكلام، ص (٤٠٢)

(٢) موعظة المؤمنين (١/ ١٣٩).

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطىٰ، ص (٢٠٤).

(٤) تراث الخلفاء الراشدين، ص (٥١٧).

(٥) أسد الغابة (٤/ ٧).

(٦) صحيح التوثيق، (٧٧).

(٧) الطبقات (٣/ ٣٨).

(٨) فرائد الكلام، ص (٣٤٨).

خامسًا: الحياء من الله تعالى:

الحياء من أجل مكارم الأخلاق، لأنه يدل علىٰ طهارة النفس، وحياة الضمير، ويقظة الوازع الديني ومراقبة الله تعالىٰ، إذ من لم يكن ذا حياء لم يقر الضيف، ولم يف بالوعد، ولم يؤد الأمانة، ولم يقض لأحد حاجة، ولا تحرىٰ الجميل فآثره، والقبيح فتجنبه، ولا ستر عورة، ولا امتنع من فاحشة، وكثير من الناس لولا الحياء الذي فيه لم يؤد شيئًا من الأمور المفترضة عليه، ولم يرع لمخلوق حقًا، ولم يصل له رحمًا، ولا بر له والدًا فإن الباعث علىٰ هذه الأفعال إما ديني- وهو رجاء عاقبتها الحميدة - وإما دنيوىٰ علوي وهو حياء فاعلها من الخلق، وقد تبين أنه لولا الحياء- إما من الخالق، وإما من الخلائق - لم يفعلها صاحبها[(١)]، وعلىٰ حسب حياة القلب تكون قوة خلق الحياء، فكلما كان القلب أحيا كان الحياء أتم، وقلة الحياء من موت القلب والروح[(٢)]، وهو من شعب الإيمان، لأنه يكون باعثًا علىٰ أفعال البر، ومانعًا من المعاصي[(٣)]، ولهذا كان من الأخلاق العليا التي كان للقرآن الكريم بها عناية عظيمة[(٤)]، فقد تحدث القرآن الكريم عن الحياء في الجانب النبوي في قوله تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ [الأحزاب:٥٣]، فترىٰ كيف حمله الحياء علىٰ عدم مواجهة أصحابه بما كان يرغب فيه من خروجهم، ولم يستطع مشافهتهم بما يراه منهم[(٥)]،

---

(١) مفتاح الدار السعادة (١/ ٣٧٧).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٢٥٩).

(٣) شرح مسلم للنووي (٣/ ٥).

(٤) أخلاق النبي في القرآن الكريم (١/ ٤٧٨).

(٥) أخلاق النبي في القرآن والسنة (١/ ٤٧٨)..

لأنه ﷺ كان أشد حياء من العذراء في خدرها[(١)]، وقد قال ﷺ: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»[(٢)]، وقد تجسد هذا الخلق في شخص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وقد حدثنا عن هذا الخلق فقال: إني لأستحي من الله أن يكون ذنب أعظم من عفوي، أو جهل أعظم من حلمي، أو عورة لا يواريها ستري، أو خلة لا يسدها جودي[(٣)]. فهذه أربع صفات من النقص قابلها أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه بأربع صفات من الكمال، فالحياء من الله عز وجل يقتضي من الإنسان أن يتصف بالعفو عند المقدرة، وذلك فيما إذا لم يكن الذنب فيه حد من حدود الله تعالىٰ، وأن يتصف بالعلم الذي يحتوي جهل الجاهلين، وأن يكون ستارًا لعيوب الناس، وأن يتسع كرمه لسد حاجة من احتاج إليه، ومما أعطىٰ هذه الحكم وزنها الراجح أن أمير المؤمنين عليًا رضي الله عنه ربطها بالحياء من الله تعالىٰ، فهذه الصفات الأربع تعتبر من صفات الكمال عند العقلاء، وكان كثير من العقلاء يتصف بها لكسب السمعة الدنيوية وسياسة الأمور بكسب الناس ورضاهم، أما أمير لمؤمنين عليّ رضي الله عنه فإنه ربطها بالحياء من الله تعالىٰ لأن هدفه الأعلىٰ ابتغاء مرضاة الله جلا وعلا، ولا شك أن من هذا هدفه سيكون تمثيله لهذه الصفات أقوىٰ بكثير ممن كان هدفه دنيويًا[(٤)].

سادسًا: شدة عبوديته وصبره وإخلاصه لله تعالى:

مارس علىٰ رضي الله عنه مفهوم العبادة الشامل في حياته، وتميز بقيامه الليل، وأصبح من أهل التهجد الذين قال الله فيهم ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة:١٦]، وقال تعالىٰ فيهم: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَـٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟

---

(١) مسلم رقم (٢٣٢٠).

(٢) مسلم رقم (٣٧).

(٣) تاريخ دمشق (٤٢/ ٥١٧)،

(٤) التاريخ الإسلامي للحميدىٰ (٢٠/ ٢٧٥).

قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات:١٦- ١٨]، وقال تعالىٰ فيهم: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان:٦٣،٦٤].

وهذا ضرار بن ضميرة الكناني يصف علي بن أبي طالب لمعاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كان يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، وأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخىٰ الليل سدوله، وغارت نجومه يتململ في محرابه، قابضًا لحيته، يتململ تململ السليم(١)، ويبكي بكاء الحزين، فكأني أسمعه الآن وهو يقول: يا ربنا، يا ربنا، يتضرع إليه، ثم يقول للدنيا: أبي تغررت أم إليَّ تشوفت، هيهات هيهات، غُرِّي غيرىٰ، قد بتتك(٢) ثلاثًا، فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك يسير(٣)، آه من قلة الزاد، وبعد السفر ووحشة الطريق، فوكفت(٤) دموع معاوية علىٰ لحيته، ما يملكها وجعل ينشفها بكمه، وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال: كذا كان أبو الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ، كيف وجدك عليه يا ضرار؟ قال: وجد من ذُبح واحُدها في حجرها، لا يرقأ دمعها، ولا يسكن حزنها، ثم قام فخرج(٥).

ودخل الأشتر النخعي علىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو قائم يصلي بالليل، فقال له: يا أمير المؤمنين، صوم بالنهار وسهر بالليل، وتعب فيما بين، فلما فرغ «علىٰ» من صلاته قال له: سفر الآخرة طويل، فيحتاج إلىٰ قطعه

---

(١) **السليم**: الملدوغ.

(٢) **بتتك**: أي طلقتك.

(٣) **خطر بمعنىٰ**: القدر والمنزلة.

(٤) **فوكفت**: أي سالت.

(٥) حلية الأولياء (١/ ٨٤، ٨٥)، الرقة والبكاء، ص (١٩٨).

بسير الليل[١]، وكان أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحث الناس علىٰ تقوىٰ الله ومراقبته، وخشيته، فقد قال: أيها الناس، اتقوا الذي إن قلتم سمع، وإن أضمرتم علم، وبادروا الموت الذي إن هربتم أدرككم، وإن أقمتم أخذكم[٢]، وكان يقول: يا أيها الناس خذوا عني هذه الكلمات، فلو ركبتم المطي حتىٰ تنضوها- يعني تهزلوها- ما أصبتم مثلها: لا يرجونَّ عبد إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحي- إذا لم يعلم- أن يتعلم، ولا يستحي - إذا سئل عما لا يعلم- أن يقول: لا أعلم، واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا خير في جسد لا رأس له[٣].

ففي هذه الوصية الجمع بين تصحيح التوحيد، والإرشادات إلىٰ آداب العلم، حيث يوصي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بتصحيح الاتجاه في مقامي الخوف والرجاء، فالمؤمن الحق لا يرجو إلا الله لأنه وحده المنعم بسائر النعم، والذين تجري علىٰ أيديهم النعم من المخلوقين إنما هم وسائط وأسباب في وصول تلك النعم، أما منشئ النعم وموجدها فهو الله ـ ، والمؤمن الحق لا يخاف من الله تعالىٰ لأنه هو الذي يملك ضره ونفعه، والمخلوقات الذين يتوهم الناس أنهم مصدر خوف إنما هم وجميع الخلق في قبضة الله تعالىٰ، وإذا كان الله تعالىٰ وحده هو الرزاق، وهو الخالق وحده، وهو المالك وحده، القادر علىٰ كل شيء، فلِمَ يرجو المؤمن سواه أو يخاف من غيره؟ ولقد عبر أمير المؤمنين عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الخوف من الله تعالىٰ بالخوف من الذنوب لأن المراد هو الخوف من عاقبتها وهو عذاب الله تعالىٰ، فهو إرشاد لأهم السبل الموصلة إلىٰ تحقيق مقام الخوف من الله تعالىٰ، ثم بَيَّن شيئًا من آداب التعلم لأن أمور الدين إنما تؤخذ بالعلم،

---

(١) التحمس لقيام الليل، محمد صالح، ص (٩٣).

(٢) أدب الدنيا والدين، ص (١٢٣)، فرائد الكلام، ص (٣٦٩).

(٣) حلية الأولياء (١/ ٧٥)، صفة الصفوة (١/ ٣٢٦).

فيذكر من آداب المتعلم أن لا يمنعه الحياء من التعلم حتىٰ لو كان كبير السن، أو القدر، ويذكر من آداب المعلم أن لا يمنعه الحياء من أن يقول لا أعلم فهي- «لا أعلم» - أحفظ لدينه ودين من سأله.

ثم يختم وصيته النافعة ببيان أصل من أصول الإيمان، ألا وهو الصبر حيث يعتبره من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وذلك أن نجاح الأمور كلها يقوم علىٰ الصبر سواء في أمور الدنيا أو الآخرة[(١)]، وقد مارس أمير المؤمنين علىٰ رضي الله عنه مقام الصبر في حياته منذ نعومة أظافره، وإسلامه سرًا مع رسول الله ﷺ مرورًا بما لاقاه في المغازي والسرايا، وعهد الخلفاء الراشدين وما صحبها من أحداث جسام، ومن ثم ما واجهه من صنوف الفتن في خلافته، إلىٰ أن انتهىٰ الأمر بقتلهن كل هذه المراحل في حياته فيها الدروس البليغة لدعاة اليوم، والتنبيه لهم لما تحتاجه الدعوة إلىٰ الله، - ، من الصبر والتحمل ودفع الثمن[(٢)] ابتغاء مرضاة الله تعالىٰ، وكان رضي الله عنه يحث أصحابه علىٰ مقام الصبر، فقد قال رضي الله عنه للأشعث بن قيس: «إنك إن صبرت جرىٰ عليك القلم وأنت مأجور، وإن جزعت جرىٰ عليك القلم وأنت مأزور»[(٣)]، وقال رضي الله عنه: «ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس بار الجسم»، ثم رفع صوته فقال: «ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له»[(٤)]، وقال: «الصبر مطية لا تكبو»، والصبر له مكانته المعروفة في دين الله، فقد ذكر الله تعالىٰ الصبر في آيات كثيرة منها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾ [الزمر: ١٠]، وقد جاء ذكر فضائله في أحاديث كثيرة، والصبر له ثلاثة أقسام وهي الصبر علىٰ طاعة الله، والصبر عن

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٢/ ٤٤٣).

(٢) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلىٰ الله، ص (٥٢٥).

(٣) أدب الدنيا والدين، ص (٢٧٨)، فرائد الكلام، ص (٣٧١).

(٤) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم، ص (١٥٣).

معصية الله، والصبر علىٰ البلاء.

وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حريصًا علىٰ أن تكون أعماله خالصة لوجه الله تعالىٰ، عاملًا بقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأعراف:٢٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [غافر:١٤]، فقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قد تعلم من رسول الله ﷺ أن الأعمال لا تقبل إلا إذا خلصت النية، فمعنىٰ ذلك أن الإخلاص ركن أساسي في العبادة، وأن العبادة التي فقد منها الإخلاص ترد علىٰ صاحبها كما جاء في الحديث القدسي: «**أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه غيري تركته وشركه**»[(١)]، فقد كان علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ محاربًا للشرك، بجميع أشكاله وأنواعه سواء شرك الربوبية أو شرك الألوهية، وكان حريصًا في سكناته وحركاته أن تكون أعماله خالصة لوجه الله تعالىٰ، وكان يحث الناس خصوصًا طلاب العلم علىٰ البعد عن الرياء، فقد قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا حملة العلم، اعملوا به، فإنما العالم من عمل بما علم، ووافق عمله علمه، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف عملهم علمهم، يجلسون حلقًا، فيباهي بعضهم بعضًا، حتىٰ إن أحدهم ليغضب علىٰ جليسه حين يجلس علىٰ غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ[(٢)].

وقد أشار أمير المؤمنين علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ أحد الأمراض الخطيرة عند بعض من يجلس للتعليم للمباهاة والسمعة، ويغضب علىٰ طلابه لو تركوه وذهبوا

---

(١) مسلم. ك الزهد رقم (٥٩٨٥).

(٢) سنن الدارمىٰ في المقدمة (١/ ١٠٦)، الجامع لأخلاق الراوىٰ (١/ ٩٠).

لغيره، لو كان هذا الذهاب فيه مصلحة لهم، فليست مصلحة طلابه عنده هي المهمة، بل المهم عنده مكانته وسمعته، وإن لم يقل ذلك بلسان المقال، فإنه يتبين من حكاية الحال[1]، لأن من إخلاص الداعي إلىٰ الله أن يكون همه أن يتبع الناس الحق ولو خالفوا رأيه، وهذه حال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد قال: اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف حتىٰ يكون الناس جماعة، أو أموت كما مات أصحابي[2]، وكان ذلك في رأي رآه في عدم جواز بيع أم الولد، وكان عمر يرىٰ رأيه هذا، ثم رجع علىٰ عن رأيه الأول فرأىٰ أنهن يبعن[3]، وهذا تعليم للدعاة وطلاب العلم أن الخلاف في الرأي المشروع أمر طبيعي يجب ألا تضيق به الصدور ولا يؤثر علىٰ وحدة الصف، إن دعاة اليوم في أشد الحاجة أن يراجعوا أنفسهم في هذا الخلق، وأين هم منه، وأن يتضرعوا إلىٰ الله ليمدهم بهذه الصفة الجميلة حتىٰ ينالوا ثواب الله بعد مماتهم. وتثمر دعوتهم إلىٰ الله في دنياهم.

لقد كانت عبادة علي رضي الله عنه قائمة علىٰ كمال الإخلاص لله تعالىٰ، واتباع هدي النبي ﷺ، فالله هو المستحق للعبادة وحده، فقد كانت حياته كلها عبادة، يتنقل فيها من نوع إلىٰ نوع، ومن حال إلىٰ حال، يمتثل قول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣]، لقد كانت العبادة عاملًا مهمًا في تزكية الأخلاق والاستقامة علىٰ شرع الله تعالىٰ، ولذلك عرف أمير المؤمنين الاستقامة في تفسيره لمعنىٰ «استقاموا» فقالوا: أدوا الفرائض[4].

---

(١) منهج علي بن أبي طالب، ص (٥١٣).

(٢) البخاري. ك فضائل الصحابة (٣/ ٢٣).

(٣) فتح الباري (٧/ ٧٣).

(٤) زاد المسير (٧/ ٢٥٤).

سابعًا: شكره لله:

والشكر هو صرف العبد كل ما أنعم به عليه إلىٰ ما خلق لأجله(١)، يعنىٰ من نعمه الظاهرة والباطنة في النفس والمال فيصرف ذلك كله إلىٰ عبادة ربه بما يليق بكل جارحة علىٰ الوجه الأكمل، وإذا ما فعل ذلك كان قد أظهر نعم الله عليه، وأدىٰ واجب شكرها(٢)، ويعتبر الشكر من أجل الأخلاق السلوكية الإيمانية التي علىٰ المؤمن أن يتحلىٰ بها في كل أحواله لما فيه من الاعتراف بالنعم لمسديها، وقد دل علىٰ عظم مكانته انضواء جل الأخلاق الإيمانية تحته من محبة ورضا وتوكل، لأن الشكر لا يتم إلا بعد التحلي بها، ولا يكون إلا عند استشعارها(٣)، ولقد كانت عناية القرآن الكريم بهذا الخلق عظيمة كعظم مكانته في الأخلاق، فقد ورد ذكره في نحو من سبعين آية، أمرًا به، وحثًا عليه، وثناء علىٰ أهله، ووعدًا لهم بحسن بجزائه، ونهيًا عن ضده مما يدل علىٰ أمر هذا الخلق عظيم الشأن(٤)، فقد قرن الله سبحانه في كتابه الذكر بالشكر، فقال تعالىٰ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة:١٥٢]، وقرن سبحانه العبادة بالشكر، قال تعالىٰ: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت:١٧]، مما يدل علىٰ تلازم العبودية بالشكر تلازمًا وثيقًا(٥). وكان رسول الله ﷺ صاحب القدح المعلىٰ في كل الأخلاق الحميدة، ومنها هذا الخلق، وربىٰ أصحابه ومنهم علي بن أبي طالب علىٰ هذا الخلق، فكان لا يشعر بنعمة إلا شكر الله عليها، وكان إذا خرج من الخلاء مسح بطنه بيده، وقال: يا لها من

(١) التوفيق علىٰ مهمات التعاريف، ص (٤٣٥).
(٢) أخلاق النبي.
(٣) مدارج السالكين (٢/ ٢٤٩).
(٤) أخلاق النبي في القرآن والسنة (١/ ١٨٦).
(٥) المصدر نفسه (١/ ١٨٧).

نعمة لو يعلم العباد شكرها[١]، وعن أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه أنه قال لرجل من أهل همدان: إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر متعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله عز وجل حتىٰ ينقطع الشكر من العبد[٢]، وكان رضي الله عنه يرىٰ أن من شكر النعمة العفو عن الخصم، فقد قال رضي الله عنه: إذا قدرت علىٰ عدوك فاجعل العفو عنه شكرًا للمقدرة عليه[٣].

ثامنًا: الدعاء لله:

فالدعاء باب عظيم، فإذا فتح للعبد تتابعت عليه الخيرات وانهالت عليه البركات ولذلك حرص أمير المؤمنين علىٰ حسن الصلة بالله وكثرة الدعاء، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر:٦٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦]، وقد لازم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه رسول الله ﷺ، ورأىٰ كيف كان رسول الله ﷺ يستغيث بالله ويستنصره ويطلب المدد منه، وقد حرص أمير المؤمنين علىٰ أن يتعلم هذه العبادة من رسول الله ﷺ وأن يكون دعاؤه وتسبيحه علىٰ الصيغة التي يأمر بها رسول الله ﷺ ويرتضيها، إذ ليس للمسلم أن يفضل علىٰ الصيغة المأثورة في الدعاء والتسبيح والصلاة علىٰ النبي صيغًا أخرىٰ مهما كانت في ظاهرها حسنة اللفظ، جيدة المعنىٰ، لأن رسول الله ﷺ هو معلم الخير والهادي إلىٰ الصراط المستقيم، وهو أعرف بالأفضل والأكمل. وقد نسب أقوام من الدعاء والذكر المبتدع لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كذبًا وزورًا وبهتانًا، فمن كان محبًا

---

(١) عدة الصابرين، ص (١٢٢)، علو الهمة (٥/ ٤٨١).

(٢) علو الهمة (٥/ ٤٨١).

(٣) الإعجاز والإيجاز للثعالبي، ص (٣٠).

لأمير المؤمنين علىٰ ﵁، فعليه أن يتبع هديه ومنهجه، فقد أرشدنا لمتابعة النبي ﷺ في الأقوال والأفعال، وكان أمير المؤمنين علىٰ ﵁ صاحب دعوة مستجابة، فعن زاذان أبي عمر أن رجلًا حدث عليًا بحديث فقال: ما أراك إلا قد كذبتني، قال: لم أفعل، قال: أدعو عليك إن كنت كذبت، قال: ادع، فدعا فما برح حتىٰ عمي[1]، وكان ﵁ يقول عندما يُثنىٰ عليه: اللهم اغفر لي مالا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيرًا مما يظنون[2].

ويروىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليرد عليه من حوله: يرحمك الله، وليرد عليه يهديكم الله ويصلح بالكم**»[3]، وفي هذا الفعل من حسن الخلق والتأدب مع الله - بحمده والثناء عليه في مناسبة أمر فيها العبد بذلك. قال الحليمي: العطاس يدفع الأذىٰ من الدماغ، الذي فيه قوة الفكر، ومنه منشأ الأعصاب، التي هي معدن الحس وبسلامته تسلم الأعضاء، فيظهر بذلك أنها نعمة جليلة، فناسب أن تقابل بالحمد لله، لما فيه من الإقرار لله بالخلق والقدرة، وإضافة الخلق إليه لا إلىٰ الطبائع[4].

وبيّن أمير المؤمنين علي ﵁ أدبًا من آداب المسافر فيما يرويه عن رسول الله ﷺ بقوله: كان النبي ﷺ إذا أراد سفرًا قال: «**بك اللهم أصول، وبك أجول، وبك أسير**»[5]. وبيَّن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁ أدبًا آخر من آداب المسافر، وذلك لما أراد سفرًا ووضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما

(١) البداية والنهاية (٨/ ٦).
(٢) فرائد الكلام، موعظة المؤمنين (٢/ ٢٢٨).
(٣) سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٢٤)،
(٤) فتح البارئ (١٠/ ٦٠٢).
(٥) أحمد (٢/ ٨٣).

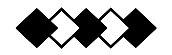
استوىٰ قال: الحمد لله، ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلىٰ ربنا لمنقلبون، ثم حمد الله ثلاثًا، وكبر ثلاثًا، ثم قال: اللهم لا إله إلا أنت، ظلمت نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك، قال: فقيل: ما يضحكك يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت النبي ﷺ فعل مثل ما فعلت، وقال مثل ما قلت، ثم ضحك، فقلنا: ما يضحكك يا نبي الله قال: «**عجبت للعبد، إذا قال: لا إله إلا أنت، ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، يعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا هو**»(١).

وعن ابن أعبد قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا ابن أعبد، هل تدري ما حق الطعام؟ قال: قلت: وما حقه يا ابن أبي طالب؟ قال: تقول: بسم الله، اللهم بارك لنا فيما رزقتنا، قال: وتدري ما شكره إذا فرغت، قال: قلت: وما شكره؟ قال يقول: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا(٢)، وكان رضي الله عنه إذا رأىٰ الهلال قال: اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وفتحه ونصره وبركته ورزقه ونوره وطهوره وهداه، وأعوذ بك من شره وشر ما فيه وشر ما بعده(٣)، وكان يقول في السجود: رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي(٤)، وكان يقول بين السجدتين: اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني وارزقني(٥)، وكان يُعلِّم من دخل السوق هذا الدعاء فيقول: إذا دخلت السوق فقل: بسم الله الرحمن الرحيم، توكلت علىٰ الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أعوذ بك من يمين فاجرة، وصفقة خاسرة، ومن شر ما أحاطت به هذه السوق(٦)، وكان يقول: ما من كلمات أحب إلىٰ الله من أن

---

(١) أحمد (٢/ ١٨٣).
(٢) أحمد (٢/ ٣٢٩).
(٣) فقه علي بن أبي طالب، قلعجىٰ، ص (٢٥١).
(٤) السابق نفسه.
(٥) السابق نفسه.
(٦) السابق نفسه.

يقول العبد: اللهم لا إله إلا أنت، اللهم لا أعبد إلا إياك، اللهم لا أشرك بك شيئًا، اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت[(١)]، وكان يقول: اللهم ثبتنا علىٰ كلمة العدل بالرضا والصواب، وقوام الكتاب، هادين مهديين، راضين مرضيين، غير ضالين، ولا مضلين[(٢)].



(١) مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ١٤٩).

(٢) فقه علي بن أبي طالب، ص (٢٥٢).

@ +

علي بن أبي طالب والإسلام

▪ إسلامه:

كان من نعمة الله عز وجل علىٰ عليّ بن أبي طالب وما صنع الله له وأراد به من الخير أن قريشًا أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه - وكان من أيسر بنىٰ هاشم-: يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد ترىٰ ما أصاب الناس من هذه الأزمة، فانطلق بنا فلنخفف عنه عياله، آخذ من بيته واحدًا وتأخذ واحدًا، فنكفيهما عنه، فقال العباس: نعم.. فانطلق حتىٰ أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتىٰ ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما: إن تركتما لي عقيلًا فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله ﷺ عليًا فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرًا رضي الله عنه فضمه إليه، فلم يزل علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ حتىٰ بعثه الله نبيًا، فاتبعه عليّ، فأقر به وصدقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتىٰ أسلم واستغنىٰ عنه(١).

▪ كيف أسلم علي؟

روىٰ ابن إسحاق أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاء إلىٰ النبي ﷺ بعد إسلام خديجة رضي الله عنها، فوجدهما يصليان، فقال علي: ما هذا يا محمد؟ فقال النبي ﷺ: «**دين الله الذي اصطفاه لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلىٰ الله وحد وإلىٰ عبادته، وتكفر باللات والعزىٰ**» فقال له علىٰ: هذا أمر لم أسمع به من قبل اليوم،

(١) السيرة النبوية (١/ ٢٤٦) لابن هشام.

فلست بقاض أمرًا حتىٰ أحدث أبا طالب، فكره رسول الله ﷺ أن يفشىٰ عليه سره، قبل أن يستعلن أمره، فقال له: «**يا عليّ إذا لم تسلم فاكتم**»، فمكث عليّ تلك الليلة، ثم إن الله أوقع في قلب عليّ الإسلام، فأصبح غاديًا إلىٰ رسول الله ﷺ، حتىٰ جاءه فقال: ما عرضت عليَّ يا محمد؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزىٰ، وتبرأ من الأنداد**»، ففعل عليّ وأسلم، ومكث عليّ يأتيه علىٰ خوف من أبي طالب، وكتم عليّ إسلامه ولم يظهر به[١].

■ هجرته:

لما أصبح علي، رضي الله عنه، قام عن فراشه، فعرفه القوم وتأكدوا من نجاة رسول الله ﷺ، فقالوا لعلىٰ: أين صاحبك؟ قال: لا أدري، أو رقيبًا كنت عليه؟ أمرتموه بالخروج فخرج. وضاق القوم بتلك الإجابة الجريئة وغاظهم خروج رسول الله من بين أظهرهم، وقد عموا عنه فلم يروه، فانتهروا عليًا وضربوه، وأخذوه إلىٰ المسجد فحبسوه هناك ساعة، ثم تركوه، وتحمل علىٰ ما نزل به في سبيل الله، وكان فرحه بنجاة رسول الله أعظم عنده من كل أذىٰ نزل به، ولم يضعف ولم يخبر عن مكان رسول الله ﷺ، وانطلق علىٰ في مكة يجوب شوارعها باحثًا عن أصحاب الودائع التي خلفه رسول الله من أجلها، وردها إلىٰ أصحابها، وظل يرد هذه الأمانات حتىٰ برئت منها ذمة رسول الله ﷺ، وهناك تأهب للخروج ليلحق برسول الله ﷺ بعد ثلاث ليال قضاهن في مكة.

وكان علىٰ في أثناء هجرته يكمن بالنهار فإذا جن عليه الليل سار حتىٰ قدم المدينة، وقد تفطرت قدماه، وهكذا يكون علىٰ رضي الله عنه، قد لاقىٰ في هجرته من الشدة ما لاقىٰ، فلم تكن له راحلة يمتطيها، ولم يستطع السير في النهار لشدة حرارة الشمس وفي مشي الليل ما فيه من الظلمة المفجعة والوحدة المفزعة،

(١) البداية والنهاية (٣/ ٤).

ولو أضفنا إلىٰ ذلك أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد قطع الطريق علىٰ قدميه دون أن يكون معه رفيق يؤنسه، لعلمنا مقدار ما تحمله من قسوة الطريق ووعثاء السفر ابتغاء مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ وأنه في نهاية المطاف سيلحق برسول الله ﷺ، ويستمتع بجواره أمنًا مطمئنًا في المدينة، ولم يكد عليّ يقطع الطريق ويصل إلىٰ المدينة حتىٰ نزل في بنىٰ عمرو بن عوف علىٰ كلثوم بن الهدم، حيث كان ينزل رسول الله ﷺ، وهكذا كانت هجرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تضحية وفداء وتحملًا وشجاعة وإقدامًا.

وقد لاحظ سيدنا علىٰ مدة إقامته بقباء امرأة مسلمة لا زوج لها، ورأىٰ إنسانًا يأتيها من جوف الليل، فيضرب عليها بابها، فتخرج إليه، فيعطيها شيئًا معه، فتأخذه، ولنستمع إليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يحدثنا بالقصة حيث قال: فاسترىبت بشأنه، فقلت لها: يا أمة الله، من هذا الذي يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه، فيعطيك شيئًا لا أدري ما هو؟ وأنت امرأة مسلمة، لا زوج لك؟ قالت: هذا سهل بن حنيف بن وهب، قد عرف أني امرأة لا أحد لي، فإذا أمسىٰ عدا علىٰ أوثان قومه فكسرها، ثم جاءني بها فقال: احتطبي بهذا، فكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يؤثر ذلك من أمر سهل بن حنيف حتىٰ هلك عنده بالعراق(١).

■ ما بين الهجرة والأحزاب:

شرع رسول الله ﷺ بعد استقراره بالمدينة في تثبيت دعائم الدولة الإسلامية، فآخي بين المهاجرين والأنصار، ثم أقام المسجد، وأبرم المعاهدة مع اليهود وبدأت حركة السرايا، واهتم بالبناء الاقتصادي والتعليمي والتربوي في المجتمع الجديد، وكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ملازمًا له في كل أحواله، منفذًا لأوامره، متتلمذًا علىٰ هدية.

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٣٨٢)، البداية والنهاية (٧/ ٣٣٥)، الكامل (٢/ ١٠٦)، الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٢)، السيرة لابن هشام (٢/ ١٢٩).

أولًا: المؤاخاة في المدينة:

آخىٰ رسول الله ﷺ بين علي بن أبي طالب وسهل بن حنيف، وقد تحدث بعض العلماء عن وجود مؤاخاة كانت في مكة بين المهاجرين، فقد أشار البلاذُري إلىٰ أن النبي ﷺ آخىٰ بين المسلمين في مكة قبل الهجرة، علىٰ الحق والمواساة، فآخىٰ بين حمزة وزيد بن حارثة، وبين أبي بكر وعمر، وبين عثمان ابن عفان وعبدالرحمن بن عوف، وبين الزبير بن العوام وعبدالله بن مسعود، وبين عبيدة بن الحارث وبلال الحبشي، وبين مصعب ابن عمير وسعد بن أبي وقاص، وبين أبي عبيدة بن الجراح وسالم مولىٰ أبي حذيفة، وبين سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل وطلحة بن عُبيد الله، وبينه وبين علي بن أبي طالب[(١)].

وقد أنكر ابن تيمية المؤاخاة بين المهاجرين بعضهم مع بعض، وكذب الأحاديث التي وردت في ذلك، ومنها حديث المؤاخاة بين النبي ﷺ وعلي[(٢)].

إن التآخي الذي تم بين المهاجرين والأنصار في الفترة الدنية كان مسبوقًا بعقيدة تم اللقاء عليها، والإيمان بها، وكانت هي العمود الفقري للمؤاخاة التي حدثت؛ لأن تلك العقيدة تضع الناس كلهم في مصاف العبودية الخالصة لله دون الاعتبار لأي فارق إلا فارق التقوىٰ والعمل الصالح؛ إذ ليس من المتوقع أن يسود الإخاء والتعاون والإيثار بين أناس فرقتهم العقائد والأفكار المختلفة، فأصبح كل منهم ملكًا لأنانيته وأثرته وأهوائه[(٣)].

وتعتبر سياسة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، نوع من السبق السياسي الذي اتبعه الرسول ﷺ في تأهيل المودة، وتمكينها في مشاعر المهاجرين والأنصار الذين سهروا جميعًا علىٰ رعاية هذه المودة، وذلك الإخاء، بل كانوا

---

(١) أنساب الأشراف (١/ ٢٧٠)

(٢) منهاج السنة (٥/ ٧١) (٧/ ٣٦١).

(٣) فقه السيرة، للبوطي ص (١٤٨).

يتسابقون في تنفيذ بنوده، ولاسيما الأنصار الذين لا يجد الكتاب والباحثون مهما تساموا إلىٰ ذروة البيان خيرًا من حديث الله عنهم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر:٩].

ثانيًا: حركة السرايا:

بمجرد الاستقرار الذي حصل للمسلمين بقيادة الرسول ﷺ في المدينة بدأت حركة السرايا التي استهدفت بسط هيبة الدولة في الداخل والخارج، وكسب بعض القبائل وتحجيم دور الأعراب، وتربية الصحابة علىٰ الإعداد القتالي للغزوات الكبرىٰ، وحركة الفتوحات ميدان لصناعة القادة عمليًا، وقد شارك في هذه السرايا أمير المؤمنين علىٰ رضي الله عنه التي حدثت قبل بدر وما بعدها، وأما التي شارك فيها قبل غزوة بدر الكبرىٰ فمنها:

١- غزوة العشيرة: وفيها غزا ﷺ قريشًا، واستعمل علىٰ المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، وسميت هذه الغزوة بغزوة العشيرة، فأقام بها جمادي الأولىٰ وليالي من جمادي الآخرة، وادع فيها بنىٰ مدلج وحلفاءهم من بنىٰ ضمرة، ثم رجع إلىٰ المدينة، ولم يلق كيدًا، وذلك أن العير التي خرج لها قد مضت ذلك بأيام ذاهبة إلىٰ الشام، فساحلت علىٰ البحر، وبلغ قريشًا خبرها فخرجوا يمنعونها، فلقوا رسول الله ﷺ ووقعت عزوة بدر الكبرىٰ(١)، وقد حدثنا عمار ابن ياسر عن مشاركته وعلىٰ رضي الله عنهما في تلك الغزوة، فعن عمار ابن ياسر قال: كنت أنا وعلىٰ رفيقين في غزوة ذىٰ العشيرة، فلما نزلها رسول الله ﷺ وأقام بها رأينا ناسًا من بنىٰ مدلج يعملون في عين لهم في نخل، فقال لي علىٰ: يا أبا اليقظان هل لك أن تأتي هؤلاء فتنظر كيف يعملون؟ فجئناهم، فنظرنا إلىٰ

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ١٠).

عملهم ساعة، ثم غشينا النوم، فانطلقت أنا وعلي، فاضطجعنا في صور من النخل، في دقعاء[(١)] من التراب فنمنا، فوالله ما أهبنّا إلا رسول الله ﷺ يحركنا برجله، وقد تتربنا من تلك الدقعاء، فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعلي: يا أبا تراب، لما رأى عليه التراب قال: «**ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين؟**» فقلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا عليّ على هذه** [يعني: قرنه] **حتى تُبَل منه هذه** [يعني: لحيته]»[(٢)]،وقد تكرر نداء رسول الله لعلي بأبي تراب.

٢- **غزوة بدر الأولى:** سببها: أن كرز بن جابر الفهري، قد أغار على سَرْح[(٣)] المدينة ونهب بعض الإبل والمواشي، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه، حتى بلغ واديًا يقال له «سفوان» من ناحية بدر، وفاته كرز بن جابر، فلم يدركه، فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة[(٤)]، وقد أعطى الحبيب المصطفى أمير المؤمنين عليًا رضي الله عنه لواءه الأبيض[(٥)]. وتعتبر حركة السرايا بداية الجهاد القتالي ضد أعداء الدعوة، مع حركة السرايا والبعوث والغزوات التي خاضها رسول الله ﷺ ضد المشركين ظهرت جليًا سنة التدافع التي تعامل معها النبي ﷺ وأصحابه ومن بينهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وهذه السنة متعلقة تعلقًا وطيدًا بالتمكين لهذا الدين، وقد أشار الله تعالى إليها في كتابه العزيز وجاء التنصيص عليها في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٥١﴾ [البقرة:٢٥١]، وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ

---

(١) **الدقعاء**: الأرض التي لانبات فيها

(٢) فضائل الصحابة (٢/ ٨٥٥)

(٣) **السرح**: الإبل والمواشي التي تسرح للرعي بالغداة.

(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٠١).

(٥) تاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ٤٨)،

﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج:٤٠].

ثالثًا: غزوة بدر:

١- قال النووي رحمه الله: وأجمع أهل التواريخ علىٰ شهوده بدرًا، وسائر المشاهد غير تبوك، قالوا: وأعطاه النبي ﷺ اللواء في مواطن كثيرة[(١)].

كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه أحد المجاهدين الذين شاركوا في غزوة بدر، ولنتركه يقص علينا خبر هذه الغزوة، فعن حارثة بن مضرب بن علىٰ أبي طالب رضي الله عنه قال: وكان النبي ﷺ يتخبَّر عن بدر، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا، سار رسول الله ﷺ إلىٰ بدر، وبدر بئر، فسبقنا المشركين إليها، فوجدنا فيها رجلين منهم، رجلًا من قريش ومولىٰ لعقبة بن أبي معيط، فأما القرشي فانقلب، وأما مولىٰ عقبة فأخذناه، فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم، فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه حتىٰ انتهوا به إلىٰ النبي ﷺ ، فقال له: كم القوم؟ قال: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم، فجهد النبي ﷺ أن يخبره كم هم، فأبىٰ، ثم إن النبي ﷺ سأله: «**كم ينحرون من الجزر**»، فقال: عشرًا كل يوم، فقال رسول الله ﷺ : «**القوم ألف، كل جزور لمئة وتبعها**»، ثم إنه أصابنا من الليل طش من مطر، فأنطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها، من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه عز وجل يقول: «اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة لا تعبد»، قال: فلما طلع نادىٰ: الصلاة عباد الله، فجاء الناس، من تحت الشجرة والحجف، فصلىٰ بنا رسول الله ﷺ ، وحرض علىٰ القتال، ثم قال: إن جمع قريش تحت هذه الضِّلع الحمراء من الجبل. فلما دنا القوم منا وصافناهم، إذا رجل منهم علىٰ جمل له أحمر يسير في القوم، فقال رسول الله ﷺ : يا علىٰ ناد حمزة.

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٤٥).

وكان أقربهم من المشركين: من صاحب الجمل الأحمر، وماذا يقول لهم، ثم قال رسول الله ﷺ: «**إن يكن في القوم أحد يأمر بخير، فعسىٰ أن يكون صاحب الجمل الأحمر**»، فجاء حمزة فقال: هو عتبة بن ربيعة، وهو ينهي عن القتال، ويقول لهم: يا قوم إني أرىٰ قومًا مستميتين لا تصلون إليهم وفيكم خير، يا قوم اعصبوها اليوم برأسي، وقولوا: جَبُن عتبة بن ربيعة، وقد علمتم أني لست بأجبنكم، قال، فسمع ذلك أبو جهل، فقال: أنت تقول هذا؟ والله لو غيرك يقول هذا لأعضضته، قد ملئت رئتك وجوفك رعبًا. قال عتبة: إياىٰ تُعيّر يا مُصفَّر إسته؟ ستعلم اليوم أينا الجبان. قال: فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد حمية، فقالوا: من يبارز؟ فخرج فتية من الأنصار ستة، فقال عتبة: لا نريد هؤلاء، ولكن يبارزنا من بنىٰ عمنا، من بنىٰ عبد المطلب، فقال رسول الله ﷺ: «**قم يا عليّ، قم يا حمزة، وقم يا عبيدة بن الحارث بن المطلب**». فقتل الله تعالىٰ عتبة وشيبة ابنىٰ ربيعة، والوليد بن عتبة، وجرح عبيدة، فقتلنا منهم سبعين، وأسرنا سبعين، فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيرًا، فقال العباس: يا رسول الله، إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلح، من أحسن الناس وجهًا، علىٰ فرس أبلق، ما أراه في القوم. فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله. فقال: اسكت فقد أيدك الله تعالىٰ بملك كريم. فقال علىٰ: فأسرنا من بنىٰ عبد المطلب: العباس وعقيلًا، ونوفل بن الحارث.[١]

رابعًا: علي رضي الله عنه في غزوة أحد:

في غزوة أحد بدأ القتال بمبارزة بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وطلحة ابن عثمان، وكان بيده لواء المشركين، وطلب المبارزة مرارًا، فخرج إليه علي ابن أبي طالب رضي الله عنه فقال له علي: والذي نفسي بيده لا أفارقك حتىٰ يعجلك الله بسيفي إلىٰ النار أو يعجلني بسيفك إلىٰ الجنة، فضربه علي، فقطع رجله

(١) البداية والنهاية (٧/ ٣٧٩).

فوقع علىٰ الأرض فانكشفت عورته فقال: يا ابن عمي أنشدك الله والرحم! فرجع عنه ولم يجهز عليه، فكبر رسول الله وقال لعلي بعض أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ قال: إن ابن عمي ناشدني الرحم حين انكشفت عورته فاستحييت منه[(١)]. وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد الالتحام في ميمنة الجيش، وأخذ الراية بعد مقتل مصعب بن عمير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

في هذه المعركة قتل من المشركين خلقًا كثيرًا، رغم ما أصاب المسلمين من الشدة في هذه الغزوة، إضافة إلىٰ بلائه في الدفاع عن رسول الله ﷺ[(٢)]، وكان علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هو الذي أخذ بيد رسول الله ﷺ حينما وقع في الحفرة يوم أحد[(٣)]، لقد استشهد في تلك الغزوة عدد كبير من خيرة المهاجرين والأنصار، وتركت حزنًا عميقًا في نفس الرسول ﷺ، كما أصاب العدو من الرسول الكريم، فأدموا وجهه الشريف، فقامت ابنته فاطمة وزوجها علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بمداواة جراحه، وإيقاف الدم الذي كان ينزف علىٰ وجهه ولحيته عليه الصلاة والسلام[(٤)].

وظهرت شجاعة علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في تلك المعركة، فعندما أشيع أن الرسول ﷺ قتل، وافتقده عليّ، رأىٰ أن الحياة لا خير فيها بعده، فكسر جفن سيفه، وحمل علىٰ القوم حتىٰ أفرجوا له، فإذا برسول الله ﷺ[(٥)]، فثبت معه ودافع عنه دفاع الأبطال، وقد أصابته ست عشرة ضربة في ذلك اليوم[(٦)].

وبعد انسحاب جيش المشركين من أرض المعركة أرسل رسول الله ﷺ

---

(١) السيرة الحلبية (٢/ ٤٩٧،٤٩٨).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٢٤).
(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٨٩).
(٤) البخاري رقم (٤٠٧٥).
(٥) مسلم شرح النووي (١٢/ ١٤٨).
(٦) مسند أبي يعلي (١/ ٤١٥، ٤١٦) إسناده حسن

علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد الغزوة مباشرة، وذلك لمعرفة اتجاه العدو، فقال له: «اخرج في آثار القوم وانظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده إن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم»، قال علي: فخرجت في أثرهم أنظر ماذا يصنعون، فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلىٰ مكة، فخرج علي رضي الله عنه، وأخبر رسول الله ﷺ بخبر القوم[١].

خامسًا: علي رضي الله عنه في غزوة بني النضير:

يرىٰ المحققون من المؤرخين أن غزوة بنىٰ النضير كانت بعد أحد في ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة، وقد رد ابن القيم علىٰ من زعم أن غزوة بني النضير بعد بدر بستة أشهر بقوله: وزعم محمد بن شهاب الزهري: أن غزوة بني النضير كانت بعد بدر بستة أشهر، وهذا وهم منه أو غلط عليه، بل الذي لا شك فيه أنها بعد أحد، والتي كانت بعد بدر بستة أشهر هي غزوة بني قينقاع، وقريظة بعد الخندق، وخيبر بعد الحديبية[٢]، ففي هذه الغزوة فقد الصحابة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذات ليلة، فقال النبي ﷺ: «**إنه في بعض شأنكم**»، فعن قليل جاء برأس عَزْوَكَ، وقد كمن له حتىٰ خرج في نفر من اليهود يطلب غرة من المسلمين، وكان شجاعًا راميًا، فشد عليه علىٰ رضي الله عنه فقتله، وفر اليهود[٣].

سادسًا: على رضي الله عنه في غزوة حمراء الأسد:

تعتبر هذه الغزوة مكملة لغزوة أحد، فقد عاد المسلمون من أحد مساء السبت الخامس عشر من شوال من السنة الثالثة للهجرة، وما أن أصبح الصباح وخرج الناس من صلاة الفجر إلا وأذنَّ مؤذن رسول الله ﷺ بالتهيؤ علىٰ جناح

(١) البداية والنهاية (٤/ ٤١).
(٢) زاد المعاد (٣/ ٢٤٩).
(٣) إمتاع الأسماع للمقريزي (١/ ١٨٠).

السرعة لمطاردة العدو، وألا يخرج من الناس إلا من شهد أُحُدًا، فاستجاب الناس لنداء رسول الله ﷺ مع ما بهم من جراحات وتعب، وكان في مقدمتهم رسول الله ﷺ، ولم يسمح لعبد الله بن أبيّ بالخروج معه، ولا لأحد لم يشهد أحُدًا إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الذي استشهد أبوه في أُحُد، وكان قد منعه من الاشتراك في بدر وأحد ليبقىٰ عند أخواته البنات، وخرج الجيش وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ، ويحمل اللواء، لواء أحد نفسه عليّ بن أبي طالب، وصل المسلمون بقيادة رسولهم الكريم ﷺ إلىٰ حمراء الأسد التي تبعد عن المدينة ثلاثة عشر ميلًا، حيث حطُّوا الرحال فيها، وقد أدهشت هذه الحركة اليهود والمنافقين لما فيها من جرأة وشجاعة، وأيقنوا أن الروح المعنوية عالية، وأنهم لو هُزموا لما عملوا علىٰ مطاردة قريش[1]، كما أن في خروج النبي ﷺ إلىٰ حمراء الأسد إشارة نبوية إلىٰ أهمية استعمال الحرب النفسية للتأثير علىٰ معنويات الخصوم، فخرج ﷺ بجنوده إلىٰ حمراء الأسد ومكث فيها ثلاثة أيام، وأمر بإيقاد النيران، فكانت تشاهد من مكان بعيد وملأت الأرجاء بأنوارها حتىٰ خيل لقريش أن جيش المسلمين ذو عدد كبير لا طاقة لهم به، فانصرفوا وقد ملأ الرعب أفئدتهم[2].

قال ابن سعد: ومضىٰ رسول الله ﷺ بأصحابه حتىٰ عسكروا بحمراء الأسد، وكان المسلمون يوقدون تلك الليالي خمسمائة نار حتىٰ ترىٰ من المكان البعيد، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه فكبت الله تعالىٰ بذلك عدوهم[3]، وقد أشار القرآن الكريم إلىٰ هذه الحرب الباردة وسجلها المولىٰ ﷻ في كتابه في معرض الثناء علىٰ الصحابة: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ

---

(١) علي بن أبي طالب، أحمد السيد الرفاعي ص (١-١٠).

(٢) غزوة أحد لأبي فارس: ص (٥١).

(٣) الطبقات لابن سعد (٢/ ٤٩).

﴿وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾

[آل عمران: ١٧٢-١٧٥].

■ ما بين الأحزاب إلى وفاة النبي ﷺ:

أولًا: علي رضي الله عنه في غزوة الأحزاب:

كان موقف أمير المؤمنين علىٰ رضي الله عنه في الأحزاب بطوليًّا رائعًا ينم عن مدىٰ رسوخ العقيدة في قلوب أصحاب النبي ﷺ، والدعوة إليها، والموت في سبيلها، والبراءة ممن خالفها، قال ابن إسحاق: وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين بعد أن اقتحمت خيل المشركين ثغرة في الخندق حتىٰ أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها خيلهم، وأقبلتن الفرسان تعدو نحوهم، وكان عمرو بن عبد وقد قاتل يوم بدر حتىٰ أثبتته الجراح، فلم يشهد يوم أُحد، فلما كان يوم الخندق خرج معلمًا لُيرَىٰ مكانه فلما وقف هو وخيله قال: من يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب فقال له: يا عمرو، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلىٰ أحد خلتين إلا أخذتها منه، قال له: أجل، قال له علىٰ: فإني أدعوك إلىٰ الله وإلىٰ رسوله وإلىٰ الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلىٰ النّزل، فقال له: لِمَ يا ابن أخي؟ فوالله ما أحب أن أقتلك، قال له علىٰ: لكني والله أحب أن أقتلك، فحمىٰ عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه، فعقرها، وضرب وجهه، ثم أقبل علىٰ عليٍّ، فتنازلا وتجاولا فقتله علىٰ رضي الله عنه، وخرجت خيلهم منهزمة، حتىٰ اقتحمت من الخندق هاربة(١).

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٣٤٨).

وألقىٰ عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو، فقال حسان بن ثابت:

فـــرّ وألقـــى لنـــا رمحـــه لعلَّـــكَ عَكْـــرمُ لـــم تفْعـــلِ

ووليـــت تعـــدو كعـــدو الظّلـــيم مـــا أن يحـــوّر عـــن المعـــدل

ولـــم تلـــوِ ظهـــرك مستأنـــسًا كـــان قفـــاك قفـــا فَرْعَـــل[١]

وبعد مقتل عمرو بن عبد ود بعث المشركون إلىٰ رسول الله ﷺ يشترون جيفته بعشرة آلاف، فقال: ادفعوا إليهم جيفتهم، فإنه خبيث الجيفة، خبيث الدية، فلم يقبل منهم شيئًا.

وقد حدث هذا والمسلمون في ضنك من العيش، ومع ذلك فالحلال حلال والحرام حرام، إنها مقاييس الإسلام في الحلال والحرام، فأين هذا من بعض المسلمين الذين يحاولون إيجاد المبررات لأكل الربا وما شابهه؟[٢].

ثانيًا: علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في غزوة بني قريظة:

وكان فيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حامل راية رسول الله ﷺ في المقدمة، إلىٰ أن حكم فيها سعد بن معاذ، وكان في بادئ الأمر لم ينزلوا علىٰ حكمه، قال ابن هشام: إن عليّ بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة: يا كتيبة الإيمان، وتقدم هو والزبير بن العوام، وقال: والله لأذوقن ما ذاق حمزة، أو لأقتحمن حصونهم، فقالوا: يا محمد ننزل علىٰ حكم سعد بن معاذ[٣]، وهكذا أنزل الله تعالىٰ الرعب والخوف في قلوب أعداء العقيدة والدين، علىٰ لسان ذاك التقىٰ النقي لما آتاه الله من حب الاستبسال والموت في سبيل عزة دين الله تعالىٰ، وقد نادىٰ كتيبته بأحب الأسماء التي ينادي بها الله تعالىٰ عباده ألا وهو نداء الإيمان الذي يتجلىٰ

---

(١) **الفرعل**: صغار الضباع.

(٢) معين السيرة للشامي: ص (٩٤).

(٣) البخاري رقم (١٤٢١)، السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٦٣).

فيه صدق الاعتقاد، وصلاح العمل، وحب الجهاد في سبيله تعالىٰ.

ولما حكم سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن تقتل مقاتلتهم، وأن تسبىٰ النساء والذرية، وأن تقسم الأموال، فكان من الذين يباشرون القتل علي بن أبي طالب والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[1].

ثالثًا: علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صلح الحديبية وبيعة الرضوان:

في غزوة الحديبية وقبل الصلح، خرج بعض العبيد (الأرقاء) من مكة إلىٰ رسول الله ﷺ، فكتب إليه مواليهم بإرجاعهم، فرفض رسول الله ﷺ أن يرجعهم وقال: «**يا معشر قريش لتنتهن أو ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف علىٰ الدين، قد امتحن الله قلبه علىٰ الإيمان**»، فسأله الصحابة بتلهف: من هو يا رسول الله؟ وكلهم يرجو أن يفوز هو بهذه الشهادة العظيمة من رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: هو خاصف النعل، وكان قد أعطىٰ عليًا بخصفها[2]، ولَّما تَم الصلح بين المسلمين ومشركي قريش، كتب علىٰ كتابًا بينهم قال: فكتب: محمد رسول الله، فقال المشركون: لا تكتب محمد رسول الله، لو كنت رسول الله لم نقاتلك. فقال لعلي: امحه قال: ما أنا بالذي أمحوه، فمحاه رسول الله ﷺ بيده فصالحهم علىٰ أن يدخل هو وأصحابه ثلاثة أيام، ولا يدخلها إلا بجلبَّان[3] السلاح، وقد امتنع علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن محو كلمة (رسول الله) بدافع محبته لرسول الله ﷺ وتعظيمه[4].

وقد طعن الروافض الغلاة في موقف الصحابة وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم في

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٦٣)، البخاري رقم (٤١٢١)، إمتاع الأسماع للمقريزي (١/ ٢٤٧).

(٢) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علىٰ ناصر: ص (٣٠).

(٣) **الجلبّان**: شبه جراب من الأدم يوضع فيه السيف المغمور.

(٤) مسلم (٣/ ١٤٠٩)، خصائص علىٰ للنسائي، تحقيق أحمد البلوشي: ص (٢٠٣).

الحديبية، وذكروا من مراجعة عمر للنبي ﷺ في أمر الصلح، وكذلك تأخر الصحابة في بداية الأمر عن النحر والحلق حتىٰ نحر رسول الله ﷺ وحلق، ولا مطعن في شيء من هذا في أصحاب رسول الله ﷺ لا عمر ولا غيره من الصحابة الذين شهدوا الحديبية، وبيان ذلك أن الرسول ﷺ كان قد رأىٰ في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة، فلما ساروا معه عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر هذا العام، فلما وقع أمر الصلح، وفيه أن يرجعوا عامهم هذا، ثم يعودوا العام القادم شق ذلك علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ[(١)]، فجعل عمر رضي الله عنه علىٰ ما عرف به من القوة في الحق والشدة فيه يسأل رسول ﷺ ويراجعه في الأمر، ولم تكن أسئلته التي سألها رسول الله لشك في صدق الرسول ﷺ، أو اعتراض عليه، لكن كان مستفصلًا عما كان متقررًا لديه، من إنهم سيدخلون مكة ويطوفون بالبيت، وأراد بذلك أن يحفز رسول الله ﷺ علىٰ دخول مكة، وعدم الرجوع إلىٰ المدينة، لما يرىٰ في ذلك من عز لدين الله وإرغام للمشركين[(٢)].

قال النووي: قال العلماء: لم يكن سؤال عمر رضي الله عنه وكلامه المذكور شكًا بل طلبًا لكشف ما خفي عليه، وحثًا علىٰ إذلال الكفار وظهور الإسلام، كما عرف من خلقه رضي الله عنه وقوته في نصر الدين وإذلال المبطلين[(٣)]، فعمر رضي الله عنه كان في هذا مجتهدًا حمله علىٰ هذا شدته في الحق، وقوته في نصرة الدين، والغيرة عليه، مع ما كان قد عودهم عليه رسول الله ﷺ من المشورة وإبداء الرأي امتثالًا لأمر الله تعالىٰ: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وقد كان كثيرًا ما يستشيرهم ويأخذ برأيهم، كما استشارهم يوم بدر في الذهاب

---

(١) البداية والنهاية (٤/ ١٧٠)، تاريخ الطبري (٢/ ٦٣٥).
(٢) الانتصار للصحب والآل: ص (٢٦٤).
(٣) شرح صحيح مسلم (١٢/ ١٤١).

إلىٰ العير، وأخذ بمشورتهم، وشاورهم يوم أحد في أن يقعد في المدينة، أو يخرج للعدو، فأشار جمهورهم بالخروج إليه فخرج إليهم، وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ فأبىٰ عليه السعدان (سعد ابن معاذ، وسعد بن عبادة) فترك ذلك، وشاورهم يوم الحديبية أن يميل علىٰ ذراري المشركين، فقال أبو بكر: إنا لم نجئ لقتال، وإنما جئنا معتمرين، فأجابه إلىٰ ما قال[١].

أما توقف الصحابة عن النحر والحلق حتىٰ نحر رسول الله ﷺ وحلق، فليس معصية لأمر رسول الله ﷺ ، وقد ذكر العلماء له عدة توجيهات، قال ابن حجر: قيل: كأنهم توقفوا لاحتمال أن يكون الأمر بذلك للندب، أو لرجاء نزول وحي بإبطال الصلح المذكور، أو تخصيصه بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام لإتمام نسكهم، وسوغ لهم ذلك لأنه كان زمان وقوع النسخ، ويحتمل أنهم ألهتهم صورة الحال فاستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الذل عند أنفسهم، مع ظهور قوتهم واقتدارهم في اعتقادهم علىٰ بلوغ غرضهم، وقضاء نسكهم بالقهر والغلبة، أو أخروا الأمتثال لاعتقادهم أن الأمر المطلق لا يقتضي الفور، ويحتمل مجموع هذه الأمور لمجموعهم[٢]، وجاء في بعض الروايات أن الرسول ﷺ لما رأىٰ عدم امتثالهم دخل علىٰ أم سلمة فذكر لها ذلك فقالت: يا رسول الله لا تكلمهم فإنهم دخلهم أمر عظيم مما أدخلت علىٰ نفسك من المشقة في أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح[٣]، فأشارت عليه كما جاء في رواية البخاري: أن أخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتىٰ تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج لم يكلم أحدًا منهم حتىٰ فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٢٠) عند تفسير قوله: «وشاورهم في الأمر».
(٢) فتح الباري (٥/ ٣٤٧).
(٣) السابق.

حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا[١]، قال ابن حجر: ويحتمل أنها فهمت عن الصحابة أنه احتمل عندهم أن يكون النبي ﷺ أمرهم بالتحلل أخذًا بالرخصة في حقهم، وأنه يستمر علىٰ الإحرام أخذًا بالعزيمة في حق نفسه، فأشارت عليه أن يتحلل لينتفىٰ عنهم هذا الاحتمال، وعرف النبي ﷺ صواب ما أشارت به ففعله..

ونظير هذا ما وقع لهم في غزوة الفتح من أمره لهم بالفطر في رمضان، فلما استمروا علىٰ الامتناع، تناول القدح فشرب، فلما رأوه شرب شربوا[٢].

وهذا الوجه حسن، وهو اللائق بمقام أصحاب النبي ﷺ ، فلما أمرهم النبي ﷺ بالتحلل ولم يفعل، ظنوا أن الذي حمله علىٰ هذا هو الشفقة عليهم، كما كانت سيرته معهم، فكأنهم رضي الله عنهم آثروا التأسىٰ به علىٰ ما رخص لهم فيه من التحلل، ثم لما رأوه قد تحلل أيقنوا أن هذا هو الأفضل في حقهم، فبادروا إليه، وهذا مثل ما حصل منهم في الحج مع النبي ﷺ لما بلغوا مكة وطافوا وسعوا أمرهم أن يحلوا، وأن يصيبوا النساء ويجعلوها عمرة، فكبر ذلك عليهم لتعظيمهم لنسكهم، وقالوا: نذهب إلىٰ عرفة ومذاكيرنا تقطر من المنىٰ، فلما علم بذلك الرسول ﷺ وكان لم يتحلل، قال لهم: «**أيها الناس أحلوا فلولا الهدي الذي معي فعلت كما فعلتم**» قال جابر رضي الله عنه راوىٰ الحديث: فحللنا وسمعنا وأطعنا[٣]، وهذا كله من حرص أصحاب رسول الله ﷺ علىٰ الخير والرغبة في التأسي برسول الله ﷺ التأسي الكامل[٤].

---

(١) السابق.

(٢) البخاري، ك الشروط ٢٧٣٢.

(٣) البخاري، ك الاعتصام رقم ٧٣٦٧.

(٤) الانتصار للصحب والآل: ص (٢٦٨)، وهو من أفضل الكتب في الرد علىٰ بعض شبهات الروافض.

إن موقف النبي ﷺ في سكوته علىٰ عمر رضي الله عنه عندما عارضه علىٰ الصلح يعطي قيمة كبرىٰ بأنه علىٰ القيادات الإسلامية من حكام وعلماء ودعاة أن يتحلوا بسعة الصدر وحسن الاستماع للرأي الآخر. وإعطاء المجال لكل ذي رأي أن يعبر عن رأيه بما يخدم المصلحة العامة، لا أن يفتح السجون ويكمم الأفواه.

رابعًا: عمرة القضاء ٧هـ وعليّ رضي الله عنه، وحضانة ابنة حمزة رضي الله عنهما:

لقد تغيرت النفوس والعقول بتأثير الإسلام تغيرًا عظيمًا، فعادت البنت- التي كان يتعير بها أشراف العرب، وجرت عادة وأدها في بعض القبائل فرارًا من العار، وزهدًا في البنات – حبيبة يتنافس في تربيتها المسلمون، وكانوا سواسية، ولا يرجح بعضهم علىٰ بعض إلا بفضل أو حق[1]، فلما أراد النبي ﷺ الخروج من مكة، تبعته ابنة حمزة تنادي: يا عم، فتناولها علىٰ، فأخذ بيدها وقال لفاطمة رضي الله عنها: دونك ابنة عمك، فاختصم فيها علىٰ وزيد وجعفر. قال علىٰ: أنا أخذتها وهي بنت عمي، وقال جعفر: هي ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي، فقضي بها النبي ﷺ لخالتها وقال: الخالة بمنزلة الأم، وقال لعلي: أنت مني وأنا منك، وقال لجعفر: أشبهت خلقي وخلقىٰ، وقال لزيد: أنت أخونا ومولانا، وقال علىٰ لرسول الله ﷺ: ألا تتزوج بنت حمزة. قال: إنها ابنة أخي من الرضاعة[2].

خامسًا: علي رضي الله عنه في غزوة خيبر ٧ هـ:

ذكر ابن إسحاق[3]، أنها كانت في المحرم من السنة السابعة للهجرة، وذكر الواقدي[4] أنها كانت في صفر أو ربيع الأول من السنة السابعة للهجرة، بعد

---

(١) السيرة النبوية للندوي: ص (٣٢١).
(٢) البخاري رقم (٤٢٥١).
(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٤٥٥).
(٤) المغازىٰ (٢/ ٦٣٤).

العودة من غزوة الحديبية، وذهب ابن سعد[١] إلىٰ أنها في جمادىٰ الأولىٰ سنة سبع، وقال الإمامان الزهري ومالك: إنها في محرم من السنة السادسة[٢] وقد رجح ابن حجر[٣] قول ابن إسحاق علىٰ قول الواقدي[٤]، وفي هذه الغزوة تجلت بطولة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومكانته عند الله وعند رسوله، وما قدر الله من فتح هذه المستعمرة اليهودية، ذات الأهمية العسكرية الاستراتيجية علىٰ يده في مظهر جلىٰ رائع[٥]، فقد كانت خيبر مستعمرة يهودية تتضمن قلاعًا حصينة، وقاعدة حربية لليهود، آخر معقل من معاقلهم في جزيرة العرب، وكانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر، ويتآمرون مع يهود المدينة وخارجها لغزو المدينة، فأراد رسول الله ﷺ أن يستريح منهم، ويأمن من جهتهم، وكانت في الشمال الشرقي للمدينة علىٰ بعد سبعين ميلًا منها[٦]، توجه رسول الله ﷺ بجيشه إلىٰ خيبر، وكانوا ألفًا وأربعمائة، ونازل حصون خيبر، وبدأ يفتحها حصنًا حصنًا، واستعصىٰ حصن القموص علىٰ المسلمين، وكان علي بن أبي طالب رمدًا[٧]، فقال رسول الله ﷺ: «**لأعطين هذه الراية غدًا رجلًا يفتح الله علىٰ يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**»، فبات الناس يدوكون[٨] ليلتهم أيهم يُعطاها؟ فلما أصبح الناس، غدوا علىٰ رسول الله ﷺ كلهم يرجون أن يعطاها، فقال: أين عليّ بن أبي طالب؟ فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه.

---

(١) الطبقات (٢/ ١٠٦).

(٢) تاريخ دمشق (١/ ٣٣).

(٣) الفتح (١٦/ ٤١) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: ص (٥٠٠).

(٤) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: ص (٥٠٠).

(٥) المرتضىٰ للندوي: ص (٥٢).

(٦) المرتضىٰ للندوي: (٥٢).

(٧) المصدر نفسه: ص (٥٣)..

(٨) أي: بات الناس في اختلاط واختلاف.

قال: فأرسلوا إليه، فأتىٰ به، فبصق رسول الله في عينيه، ودعا له فبرأ حتىٰ كأنه لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتىٰ يكونوا مثلنا. فقال: «**انفذ علىٰ رسلك حتىٰ تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلىٰ الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حُمْر النَّعَم**»(١) فانطلق حتىٰ فتح الله عليه خيبر، وكان من صور بطولته فيها أن خرج له مرحب ملكهم وهو يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاكي السلاح بطل مُجرب

إذا الحروب أقبلت تَلَهّبُ

فقال عليٰ:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة ... كليث غابات كريه المنظرة

أُوفيهم بالصاع كيل السندرة

فضرب رأس مرحب فقتله، ثم كان الفتح علىٰ يديه(٢).

سادسًا: علي رضي الله عنه في فتح مكة وغزوة حنين ٨ هـ:

نقضت قريش صلحها مع رسول الله ﷺ بمساندتها بنىٰ بكر علىٰ خزاعة حليف المسلمين، ودعمتهم بالخيل والسلاح والرجال، فقال رسول الله: «نصرت يا عمرو بن سالم، لا نصرني الله إن لم أنصر بني كعب» ولما عرض السحاب من السماء قال: «إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب»(٣) وقد جاء عمرو بن سالم إلىٰ المدينة وأنشد قصيدة بين يدي رسول الله ﷺ جاء فيها:

يا رب إني ناشد محمدًا ... حلف أبينا وأبيه الأتلدا

(١) مسلم رقم (٢٤٠٦).
(٢) مسلم (٣/ ١٤٤١) رقم (١٨٠٧).
(٣) البداية والنهاية (٤/ ٢٧٨).

قـد كنـتم ولـدًا، وكنـا ولـدًا ... ثُمـت أسـلمنا فلـم ننـزع يـدا
فانـصر هـداك الله نـصرًا أعتـدا ... وادع عبـاد الله يـأتوا مـددا
فـيهم رسـول الله قـد تجـردا ... إن سـيم خـسفا وجهـه تربـدا

إلىٰ أن قال:

وزعمـوا أن لـست أدعـو أحـدًا ... وهـم أذل وأقـل عـددا
هـم بيتونـا بـالوتير هجـدًا ... وقتلونـا رُكَّعـا وسـجدا

وبعثت قريش أبا سفيان إلىٰ المدينة لتمكين الصلح وإطالة أمده، وعندما وصل إلىٰ المدينة دخل علىٰ رسول الله ﷺ يعرض حاجته، أعرض عنه النبي ﷺ ولم يجبه، فاستعان بكبار الصحابة أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلىٰ حتىٰ يتوسطوا بينه وبين رسول الله ﷺ، فأبوا جميعًا، فعاد أبو سفيان إلىٰ مكة من غير أن يحظىٰ بأي اتفاق أو عهد[1]، وكانت لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في فتح مكة مواقف متعددة منها:

١- إحباط محاولة تجسس لصالح قريش: عن حسن بن محمد بن علىٰ بن عبيد الله ابن أبي رافع أنه سمع عليًا يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: «انطلقوا حتىٰ تأتوا روضة خاخ، فإنَّ بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها». فانطلقنا تَعَادىٰ بنا خيْلُنا حتىٰ أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي من كتاب. قلنا: لتُخرجنَّ الكتاب أو لنُلقينَّ الثياب قال: فأخرجت الكتاب من عقاصها، فأخذنا الكتاب، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلىٰ ناس من المشركين بمكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله: يا حاطب ما هذا؟ قال: لا تعجل عليَّ، إني كنت أمرأ مُلْصَقًا في قريش، ولم أكن من أنفُسها، وكان من كان

(١) التاريخ السياسي والعسكري د. علىٰ معطي: ص (٣٦٥).

معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة، فأحببت إذ فاتنىٰ ذلك من النسب فيهم أن أتَّخذ فيهم يدًا يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفرًا، ولا ارتدادًا عن ديني ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام فقال رسول الله: «**إنه قد صدقكم**» فقال عمر: دَعني أضرب عُنُق هذا المنافق. فقال: «**إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعلَّ الله قد اطَّلعَ إلىٰ أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم**»[(١)].

٢- أجَرْنا من أجرت يا أم هانئ: قالت أم هانئ بنت أبي طالب - أخت عليىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: لما نزل رسول الله ﷺ بأعلي مكة فر إليَّ رجلان من أحمائىٰ، من بني مخزوم، وكانت عند هُبيرة بن أبي وهب المخزومي، قالت: فدخل عليَّ علي بن أبي طالب أخي، فقال: والله لأقتلنهما، فأغلقت عليهما باب بيتي، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلىٰ مكة، فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه، فتوشح به، ثم صلىٰ ثماني ركعات من الضحىٰ، ثم انصرف إليَّ فقال: مرحبًا وأهلًا يا أم هانئ ما جاء بك؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر علىٰ، فقال: قد أجرنا من أجرت وأمَّنَّا من أمنت، فلا يقتلهما[(٢)]، وبناء علىٰ ما تقدم، فإن تأمين المسلم للكافر من أهل الحرب يجعله في أمان، ومن ثمّ فلا يجوز للمسلمين أن يتعرضوا له بشيء.. وحتىٰ يُصان حقُّ التأمين هذا من أي ضرر يمكن أن يلحق بالمسلمين من جرَّائه - فقد شرط الفقهاء لصحتَّه أن يتجرَّدَ مُعْطِي الأمان من التُّهمَة، ويَخْلُو ذلك الأمان الممنوح من أيَّة مفسدة[(٣)]، أو يرفع الأمر إلىٰ ولي الأمر ليرىٰ رأيه فيه.

٣- مقتل الحويرث بن نقيد بن وهب: في هذا الفتح العظيم، كان النبي ﷺ قد عهد إلىٰ أمرائه ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم، غير أنه أهدر دمَ نفر سمّاهم،

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٥)، ومسلم (٧/ ١٦٩) (٦٤٨٧)

(٢) صحيح السيرة: ص (٥٢٧).

(٣) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (٣/ ١٠٥١).

وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، منهم الحويرث بن نقيذ بن وهب، كان ممن يؤذي النبي ﷺ بمكة، ولما تحمل العباس بفاطمة وأم كلثوم، نخس[١] بهما الحويرث الجمل الذي هما عليه فسقطتا علىٰ الأرض، فلما أهدر دمه وظفر به عليّ قتله[٢].

٤- علي رضي الله عنه في مهمة إصلاحية: أرسله الرسول ﷺ إلىٰ بنىٰ جذيمة، ليتلافىٰ خطأ خالد بن الوليد في قتل بعضهم، وذلك أن الرسول ﷺ بعث خالدًا في السنة الثامنة للهجرة عقب فتح مكة، إلىٰ بنىٰ جذيمة يدعوهم إلىٰ الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، وقالوا: صبأنا، فأخذ خالد يقتل منهم ويأسر.. فلما بلغ رسول الله ﷺ ما صنع خالد، رفع يديه فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع، مرتين[٣]، فبعث الرسول ﷺ عليًا إليهم، لينظر في أمرهم وبعث معه بمال، فقام عليّ بمهمته خير قيام، فودىٰ قتيلهم وعوضهم عما أصيب في الدماء والأموال حتىٰ أنه ليدي ميلغة[٤] الكلب، ولما انتهىٰ من ذلك كله، سألهم: هل بقىٰ لكم بقية من دم أو مال لم يود إليكم؟ قالوا: لا، قال: فإني أعطيكم هذه البقية من هذا المال، إحتياطًا لرسول الله ﷺ مما لايعلم ولا تعلمون، ففعل، ولما رجع إلىٰ رسول الله ﷺ وأخبره بالخبر قال: «**أصبت وأحسنت**»[٥]. وبهذه المهمة الجليلة الموفقة، أزال عليّ رضي الله عنه همًّا وحملًا أثقل الرسول ﷺ، وبهذا الهدي النبوي الحكيم واسىٰ النبي ﷺ بني جذيمة، وأزال ما في نفوسهم من أسىٰ وحزن، وكان قتل خالد لبني جذيمة تأولًا منه واجتهادًا خاطئًا، وذلك

---

(١) **نخس الدابة**: هيجها.

(٢) فتح الباري (٨/ ١١)، السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٥٨، ٥٩).

(٣) البخاري رقم (٤٣٣٩).

(٤) **ميلغة**: اسم آلة، والفعل «يلغ» بمعنىٰ يشرب.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٧٢، ٧٣).

بدليل أن الرسول ﷺ لم يعاقبه علىٰ فعله[(١)]، ولم يعزله.

٥- عليٌّ رضي الله عنه في غزوة حنين: من أعماله الجهادية التي تتسم بالشجاعة وتدل علىٰ الخبرة في القتال ما كان في غزوة حنين في العام الثامن من الهجرة، فقد ثبت مع الرسول ﷺ ، مع من ثبت معه من المهاجرين والأنصار، وكان في جيش هوازن رجل علىٰ جمل أحمر بيده راية سوداء، إذا أدرك طعن برمحه، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه، فأدرك علىٰ بعبقريته الحربية، وتجربته الطويلة، أن لهذا الرجل عاملًا مؤثرًا في حماس هوازن وشدتها، فاتجه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ورجل من الأنصار نحوه واستطاعا إسقاطه من علىٰ جمله وقتله، فما كانت إلا ساعة حتىٰ انهزموا وولوا الأدبار وانتصر المسلمون[(٢)].

٦- سرية علي رضي الله عنه لهدم الصنم الفلس في بلاد طيء: بعد أن طهر النبي ﷺ البيت الحرام من الأوثان التي كانت فيه، كان لابد من هدم البيوت التي كانت معالم للجاهلية ردحًا طويلًا من الزمن، فكانت سرايا رسول الله ﷺ تترىٰ لتطهير الجزيرة منها، فكانت من نصيب عليّ رضي الله عنه صنم الفلس في بلاد طيء، ففي ربيع الآخر خرجت سرية علي بن أبي طالب إلىٰ الفلس - صنم لطيء - ليهدمه، وكان تعدادها خمسين ومائة رجل من الأنصار، علىٰ مائة بعير وخمسين فرسًا، ومع راية سوداء ولواء أبيض، فشنوا الغارة علىٰ محلة آل حاتم - حاتم الطائىٰ الذي ضرب المثل بجوده - مع الفجر فهدموا الفلس وخربوه، وملأوا أيديهم من السبي والنعم والشاء، وفي السبي أخت عدي بن حاتم، وهرب عدي إلىٰ الشام[(٣)].

---

(١) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: ص (٥٧٩).

(٢) مسند أبىٰ يعلىٰ (٣/ ٣٨٨).

(٣) معين السيرة: ص (٦٩٤).

سابعًا: استخلاف النبي ﷺ لعلي على المدينة في غزوة تبوك ٩ هـ:

كان في رجب سنة تسع من الهجرة غزوة تبوك، وكانت لها أهمية كبيرة في السيرة النبوية، وتحققت منها غايات كانت بعيدة الأثر في نفوس المسلمين والعرب، ومجرىٰ الحوادث في تاريخ الإسلام[(١)]، واستعمل رسول الله ﷺ علىٰ المدينة عليًا، فوجد المنافقون فرصة للتنفيس عما بداخلهم من حقد ونفاق، فأخذوا يتكلمون في علىٰ رضي الله عنه بما يسيء إليه، فمن ذلك قولهم: ما تركه إلا لثقله عليه، وهذا العمل والقول السيء منهم في حقه علامة بارزة واضحة علىٰ نفاقهم، ففي الحديث الصحيح أن عليًا رضي الله عنه قال: «والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي ﷺ أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»[(٢)]. عند ذلك أدرك علىٰ الجيش، وأراد الغزو معهم قائلًا: يا رسول الله أتخلفني في الصبيان والنساء، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ، غير أنه لا نبي بعدي**»[(٣)].

ثامنًا: علي رضي الله عنه ووفد نصاري نجران، وآية المباهلة ٩ هـ:

كتب رسول الله ﷺ إلىٰ نجران كتابًا قال فيه: «**أما بعد، فإني أدعوكم إلىٰ عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلىٰ ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية. فإن أبيتم آذنتكم بحرب. والسلام**»[(٤)] فلما أتىٰ الأسقف الكتاب، جمع الناس وقرأه عليهم، وسألهم عن الرأي فيه؟ فقرروا أن يرسلوا إليه وفدًا يتكون من أربعة عشر من أشرافهم، وقيل: ستين راكبًا، منهم ثلاثة نفر يؤول إليهم أمرهم: العاقب، وهو أميرهم وصاحب مشورتهم والذين يصدرون عن رأيه،

---

(١) المرتضىٰ للندوي: (٥٥).
(٢) مسلم رقم (٧٨).
(٣) البخاري رقم (٤٤٠٤).
(٤) البداية والنهاية (٥/ ٤٨).

والسيد وهو صاحب رحلتهم، وأبو الحارث أسقفهم وحبرهم وصاحب مدارسهم[(١)]، ولما جاء وفد نصاري نجران إلىٰ رسول الله ﷺ بالمدينة، وضعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا حللًا لهم يجرونها من الحبرة، وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا حتىٰ أتوا رسول الله ﷺ، فسلموا عليه، فلم يرد عليه السلام، وتصدوا لكلامه طويلًا، فلم يكلمهم، وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب، فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما وكانا علىٰ معرفة لهم، كانا يخرجان العير في الجاهلية إلىٰ نجران، فيشتري لهما من برها وثمرها وذرتها، فوجدوهما في ناس من الأنصار في مجلس، فقالوا: يا عثمان، ويا عبد الرحمن إن نبيكم كتب إلينا بكتاب، فأقبلنا مجيبين له، فسلمنا عليه، فلم يرد علينا سلامنا، وتصدينا لكلامه نهارًا طويلًا، فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأي منكما، أنعود؟

فقالا لعلي بن أبي طالب وهو في القوم: ما ترىٰ يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ قال: أرىٰ أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم، ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يأتوا إليه، ففعل الوفد ذلك، فوضعوا حللهم وخواتيمهم، ثم عادوا إلىٰ رسول الله ﷺ فسلموا عليه، فرد سلامهم، ثم سألهم وسألوه فلم تزل بهم وبه المسألة[(٢)].

وقالوا لرسول الله ﷺ: كنا مسلمين قبلكم، فقال النبي ﷺ: «**يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادتكم الصليب، وأكلكم الخنزير، وزعمكم أن لله ولدًا**»[(٣)] وكثر الجدال والحجاج بينه وبينهم، والنبي يتلو عليهم القرآن ويقرع باطلهم بالحجة، وكان مما قالوه لرسول الله ﷺ: ما لك تشتم صاحبنا وتقول: إنه عبد الله، فقال: «**أجل إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلىٰ مريم العذراء البتول**»،

(١) المصدر نفسه (٥/ ٤٨)، السيرة النبوية لأبىٰ شهبة (٢/ ٥٤٧).
(٢) زاد المعاد (٣/ ٦٢٩ - ٦٣٨).
(٣) المصدر نفسه (٣/ ٦٣٣).

فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنسانًا قط من غير أب، فإن كنت صادقًا فأرنا مثله؟ فأنزل الله في الرد عليهم قوله سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٦٠﴾ [آل عمران:٥٩، ٦٠]. فكانت حجة دامغة شبه فيها الغريب بما هو أغرب منه[(١)]، فلما لم تُجد معهم المجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة دعاهم إلىٰ المباهلة[(٢)]، امتثالًا لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٦١﴾ [آل عمران:٦١].

وخرج النبي ﷺ ومعه الحسن والحسين وفاطمة وقال: «**وإذا أنا دعوت فأمِّنوا**»[(٣)]. فائتمروا فيما بينهم، فخافوا الهلاك لعلمهم أنه نبىٰ حقًا، وأنه ما باهل قوم نبيًا إلا هلكوا، فأبوا أن يلاعنوه وقالوا: احكم علينا بما أحببت، فصالحهم علىٰ ألفي حلة، ألف في رجب وألف في صفر[(٤)].

عاشرًا: علي رضي الله عنه داعيًا وقاضيًا في اليمن ١٠ هـ:

بعد فتح مكة استجابت القبائل العربية بالجزيرة إلىٰ الإسلام، وكان رسول الله ﷺ يرسل الدعاة إلىٰ القبائل التي لم تستجب بعد، فأرسل عليًا رضي الله عنه إلىٰ همدان باليمن، وهذا البراء بن عازب رضي الله عنه يحدثنا عما حدث في ذهابه مع علىٰ رضي الله عنه لليمن فيقول:.. فلما انتهينا إلىٰ أوائل اليمن بلغ القوم الخبر، فجمعوا له، فصلىٰ علىٰ بنا الفجر، فلما فرغ، صفنا صفًا واحدًا ثم تقدم بين أيدينا، فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت همدان كلها في يوم

(١) المصدر نفسه (٣/ ٦٣٣).
(٢) السيرة النبوية لأبىٰ شهبة (٢/ ٥٤٧).
(٣) السيرة النبوية لأبىٰ شهبة (٢/ ٥٤٧).
(٤) السيرة النبوية لأبىٰ شهبة (٢/ ٥٤٧).

واحد، وكتب بذلك إلىٰ رسول الله ﷺ، فلما قرأ كتابه خر ساجدًا، وقال: «السلام علىٰ همدان، السلام علىٰ همدان»[(١)]، لقد كان رسول الله ﷺ حريصًا علىٰ الجبهة الجنوبية للدولة وأن تدخل قبائل اليمن في الإسلام، وظهر هذا الاهتمام في النتائج الباهرة التي حققتها الدعوة في كثرة عدد الوفود التي كانت تنساب من كل أطراف اليمن متجهة إلىٰ المدينة، مما يدل علىٰ أن نشاط المبعوثين إلىٰ اليمن كان متصلًا وبعيد المدىٰ، وكانت سرايا رسول الله ﷺ تساند هذا النشاط الدعوي السلمىٰ، حيث بعث خالد بن الوليد ثم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقد كان ﷺ يركز علىٰ مفاصل القوىٰ، ومراكز التأثير في المجتمعات وبناء الدول ومارس هذا الفقه العظيم في حياته[(٢)].

هذا وقد أمر رسول الله ﷺ عليًا بأن يقضي بين الناس في اليمن، وهذا علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحدثنا بنفسه حيث قال: بعثني رسول الله ﷺ إلىٰ اليمن، فقلت له: يا رسول الله تبعثني إلىٰ قوم أسن مني وأنا حدث لا أبصر القضاء، قال: فوضع يده علىٰ صدري، وقال: «**اللهم ثبت لسانه واهد قلبه، يا علي إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتىٰ تسمع الآخر، ما سمعت من الأول، فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء**»، قال: فما اختلف علىٰ قضاء بعد، أو ما أشكل علىٰ قضاء بعد[(٣)].

لقد احتاج اليمنيون بعد انتشار الإسلام في بلادهم من يفقههم في أمور دينهم، ويعلمهم ويقضي بينهم بحكم الله عَزَّ وَجَلَّ، فبعث رسول الله ﷺ عددًا من الصحابة إلىٰ أرجاء اليمن منهم معاذ وأبو موسىٰ الأشعري، وكان من أفضلهم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٦٢٢)

(٢) السيرة النبوية للصلابي (٣/ ٥٩٦).

(٣) فضائل الصحابة (٢/ ٨٧١)

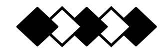
الحادي عشر: علي رضي الله عنه في حجة الوداع:

أدرك عليّ رضي الله عنه رسول الله ﷺ في حجة الوداع، ونحر رسول الله ثلاثًا وستين بدنة بيده، وكان عدد هذا الذي نحره عدد سنيَّ عمره، ثم أمسك، وأمر عليًا أن ينحر ما بقىٰ من المائة، ففعل وأكمل العدد، وقد وصف لنا علىٰ رضي الله عنه بعض المناسك في حجته مع رسول الله ﷺ، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ وقف بعرفة وهو مُردف أسامة بن زيد، فقال: «**هذا الموقف وكل عرفة موقف**»، ثم دفع يسير العَنَق، وجعل الناس يضربون يمينًا وشمالًا، وهو يلتفت ويقول: «**السكينة أيها الناس، السكينة أيها الناس**» حتىٰ جاء المزدلفة، وجمع بين الصلاتين، ثم وقف بالمزدلفة، فوقف علىٰ قُزَحَ، وأردف الفضل بن العباس، وقال: «**هذا الموقف، وكل المزدلفة موقف**» ثم دفع وجعل يسير العَنَق، والناس يضربون يمينًا وشمالًا، وهو يلتفت ويقول: «**السَّكينة، السَّكينة، أيها الناس**» حتىٰ جاء مُحسرًا فقرع راحلته فخبَّت، حتىٰ خرج، ثم عاد لسَيْره الأول، حتىٰ رمىٰ الجمرة، ثم جاء المنَحْر فقال: هذا المنحر، وكلُّ منىٰ منَحْر، ثم جاءت امرأة شابة من خَثعَمَ، فقالت، إن أبي شيخ كبير، وقد أفند، وأدركته فريضة الله في الحج، ولا يستطيع أداءها، فُيجزئ عنه أن أؤديها عنه؟ قال رسول الله ﷺ: «**نعم**»، وجعل يصرف وجه الفضل بن العباس عنها. ثم أتاه رجل آخر، فقال: إني رميت الجمرة وأفضت ولبستُ ولم أحلق. قال: فلا حرج، فاحلْق. ثم أتاه رجل آخر، فقال: إني رميت وحلقت ولبست ولم أنحر. فقال: لا حرج فانحر. ثم أفاض رسول الله ﷺ، فدعا بسَجْل من ماء زمزم، فشرب منه وتوضأ، ثم قال: انزعوا[1] يا بنىٰ عبد المطلب، فلولا أن تُغْلَبوا عليها لَنَزَعْتُ.

قال العباس: يا رسول الله، إني رأيتك تصرف وجه ابن أخيك؟ قال: إني

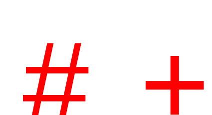
(١) **النزع**: استخراج الماء من زمزم لسقي الحجيج.

رأيت غلامًا شابًا، وجارية شابة فخشيت عليهما الشيطان[1]. وقد كان علىٰ رضي الله عنه يعلن علىٰ الناس ما أمره به النبي ﷺ، فعن عمرو بن سليم عن أمه قالت: بينما نحن بمنىٰ إذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن هذه أيام أكل وشرب، فلا يصومها أحد**»، واتّبع الناس علىٰ جمله يصرخ بذلك[2].



(١) أخرجه أحمد (١/ ٧٥)، وأبو داود (١٩٢٢، ١٩٣٥).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٧٦).



علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عهد الخلفاء الراشدين

▪ علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عهد الصديق

أولًا: مبايعة علي لأبي بكر بالخلافة رضي الله عنهما:

وردت أخبار كثيرة في شأن تأخر علي عن مبايعة الصديق، وكذا تأخر الزبير بن العوام، وجُلّ هذه الأخبار ليست بصحيحة، وقد جاءت روايات صحيحة السند تفيد بأن عليًا والزبير رضي الله عنهما بايعا الصديق في أول الأمر، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما توفى رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار.. فذكر بيعة السقيفة[(١)]، ثم قال: ثم انطلقوا فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير عليًا، فسأل عنه، فقام أناس من الأنصار، فأتوا به، فقال أبو بكر: ابن عم رسول الله ﷺ وختنه أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ، فبايعه، ثم لم ير الزبير بن العوام، فسأل عنه حتى جاءوا به، فقال: ابن عمّة رسول الله ﷺ وحواريه، أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال مثل قوله: لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعاه[(٢)].

علق على هذا الحديث ابن كثير رحمه الله فقال: هذا إسناد صحيح محفوظ، وفيه فائدة جليلة، وهي مبايعة علي بن أبي طالب، إما في أول يوم، أو في الثاني من الوفاة، وهذان حق، فإن علي بن أبي طالب لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع عن صلاة من الصلوات خلفه[(٣)].

---

(١) البداية والنهاية (٥/ ٢٨١).

(٢) المستدرك (٣/ ٧٦)، السنن الكبرى (٨/ ١٤٣).

(٣) البداية والنهاية (٥/ ٢٣٩).

وقد سأل عمرو بن حريث سعيد بن زيد رضي الله عنه، فقال له: متىٰ بويع أبو بكر؟ قال سعيد: يوم مات رسول الله ﷺ، كره المسلمون أن يبقوا بعض يوم، وليسوا في جماعة.

قال: هل خالف أحد أبا بكر؟ قال سعيد: لا. لم يخالف إلا مرتد، أو كاد أن يرتد، وقد أنقذ الله الأنصار، فجمعهم عليه وبايعوه. قال: هل قعد أحد من المهاجرين عن بيعته؟ قال سعيد: لا لقد تتابع المهاجرون علىٰ بيعته[(١)].

وكان مما قال عليّ رضي الله عنه لابن الكواء وقيس بن عباد حينما قدم البصرة وسألاه عن مسيره قال: «لو كان عندي من النبي ﷺ عند في ذلك ما تركت أخا بنىٰ تيم بن مرة وعمر بن الخطاب يقومان علىٰ منبره ولقاتلتهما ولو لم أجد إلا بردىٰ هذا، ولكن رسول الله ﷺ لم يقتل قتلًا ولم يمت فجأة، مكث في مرضه أيامًا وليالي يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة، فيأمر أبا بكر فيصلىٰ بالناس، وهو يرىٰ مكاني، ولقد أرادت امرأة من نسائه أن تصرفه عن أبي بكر فأبىٰ وغضب وقال: «**أنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس**» فلما قبض الله نبيه ونظرنا في أمورنا، فاخترنا لدنيانا من رضيه نبي الله، وكانت الصلاة أصل الإسلام، وهي أعظم الأمور وقوام الدين، فبايعنا أبو بكر، وكان لذلك أهلًا، ولم يختلف عليه منا اثنان، ولم يشهد بعضنا علىٰ بعض، ولم نقطع منه البراءة، فأديت إلىٰ أبي بكر حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده، وكنت آخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي[(٢)].

وكان مما قال في خطبته علىٰ منبر الكوفة في ثنائه علىٰ أبي بكر وعمر: «فأعطي المسلمون البيعة طائعين، فكان أول من سبق في ذلك من ولد عبد المطلب أنا»[(٣)].

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٢٠٧).

(٢) تاريخ الإسلام، عهد الخلافة الراشدة: ص (٣٨٩).

(٣) أسد الغابة (٤/ ١٦٦، ١٦٧).

إن عليًا رضي الله عنه لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات ولم ينقطع عنه في جماعة من الجماعات، وكان يشاركه في المشورة، وفي تدبير أمور المسلمين. ويرىٰ ابن كثير ومجموعة من أهل العلم أن عليًا جدد بيعته بعد ستة أشهر من البيعة الأولىٰ أي بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها، وجاءت في هذه البيعة روايات صحيحة. ولكن لما وقعت البيعة الثانية اعتقد بعض الرواة أن عليًا لم يبايع قبلها، فنفىٰ ذلك والمثبت مقدم علىٰ النافي[١].

ثانيًا: علي رضي الله عنه ومساندته لأبي بكر في حروب الردة:

كان علي رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه عيبة[٢] نصح له، مرجحًا لما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين علىٰ أي شيء آخر، ومن الدلائل الساطعة علىٰ إخلاصه لأبي بكر ونصحه للإسلام والمسلمين وحرصه علىٰ الاحتفاظ ببقاء الخلافة واجتماع شمل المسلمين ما جاء من موقفه من توجه أبي بكر رضي الله عنه بنفسه إلىٰ ذي القصة، وعزمه علىٰ محاربة المرتدين، وقيادته للتحركات العسكرية ضدهم بنفسه، وما كان في ذلك من مخاطرة وخطر علىٰ الوجود الإسلامي[٣]، فعن ابن عمر رضي الله عنه يقول: «أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أحد: لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك، وارجع إلىٰ المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدًا»، فرجع[٤] فلو كان عليّ رضي الله عنه - أعاذه الله من ذلك - لم ينشرح صدره لأبي بكر وقد بايعه علىٰ رغمًا من نفسه، فقد كانت هذه فرصة ذهبية ينتهزها علىٰ، فيترك أبا بكر وشأنه، لعله يحدث به حدث فيستريح منه ويصفو الجو له، وإذا كان فوق ذلك - حشاه الله - من كراهته له، وحرصه علىٰ التخلص منه، أغرىٰ به

---

(١) البداية والنهاية (٥/ ٤٩).

(٢) **العيبة**: وعاء من خوص ونحوه ينقل فيه الزرع المحصود إلىٰ الجرين، ووعاء من أدم ونحوه يكون فيه المتاع.

(٣) المرتضىٰ للندوي: ص (٩٧).

(٤) البداية والنهاية (٦/ ٣١٤، ٣١٥).

أحدًا يغتاله، كما يفعل الرجال السياسيون بمنافسيهم وأعدائهم[(١)]، وقد كان رأي علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مقاتلة المرتدين، وقال لأبي بكر لما قال لعلي: ما تقول يا أبا الحسن؟ قال: أقول: إنك إن تركت شيئًا مما كان أخذه منهم رسول الله فأنت علىٰ خلاف سنة الرسول، فقال: أما لئن قلت ذاك لأقاتلنهم وإن منعوني عقالًا[(٢)].

ثالثًا: تقديم عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأبي بكر:

تواترت الأخبار عن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تفضيله وتقديمه لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فمن ذلك:

١- عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول عثمان قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[(٣)].

٢- عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر. ثم قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكر: عمر[(٤)].

٣- عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: قيل لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ألا تستخلف علينا؟ قال: ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيرًا فسيجمعهم بعدي علىٰ خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم علىٰ خيرهم[(٥)].

٤- وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يفضلني أحد علىٰ أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترىٰ[(٦)].

---

(١) المرتضىٰ للندوىٰ: ص (٩٧).
(٢) الرياض النضرة: ص (٦٧٠).
(٣) في التفضيل.
(٤) معجم ابن الأعرابي (٥٧٩).
(٥) المستدرك (٣/ ٧٩).
(٦) فضائل الصحابة (١/ ٨٣).

رابعًا: اقتداء علي بالصديق في الصلوات وقبول الهدايا منه:

إن عليًا رضي الله عنه كان راضيًا بخلافة الصديق ومشاركًا له في معاملاته وقضاياه، قابلًا منه الهدايا رافعًا إليه الشكاوي، مصليًا خلفه، محبًا له، مبغضًا من بغضه، وشهد بذلك أكبر خصوم الخلفاء الراشدين، وأصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بهديهم، وسلك مسلكهم، ونهج منهجهم[1]، فهذا اليعقوبي الشيعي الغالي في تاريخه يذكر أيام خلافة الصديق فيقول: وأراد أبو بكر أن يغزو الروم فشاور جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، فقدموا وأخروا فاستشار علي بن أبي طالب فأشار أن يفعل، فقال: إن فعلت ظفرت؟ فقال: بشرت بخير، فقام أبو بكر في الناس خطيبًا، وأمرهم أن يتجهزوا إلىٰ الروم، وفي رواية: سأل الصديق عليًا كيف ومن أين تبشر؟ قال: من النبي ﷺ حيث سمعته يبشر بتلك البشارة، فقال أبو بكر: سررتني بما أسمعتني من رسول الله يا أبا الحسن، سرك الله[2].

ويقول اليعقوبي أيضًا: وكان ممن يؤخذ عنهم الفقه في أيام أبي بكر علي بن أبي طالب وعمر ابن الخطاب ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود[3]، فقدم عليًا علىٰ جميع أصحابه، وهذا دليل واضح علىٰ تعاملهم مع بعضهم وتقديمهم عليًا في المشورة[4] والقضاء، فعندما كتب خالد ابن الوليد إلىٰ أبي بكر بقوله له: أنه وجد رجلًا في بعض نواحي العرب ينكح كما تنكح المرأة، فجمع أبو بكر لذلك أصحاب رسول الله ﷺ منهم علىٰ، فقال علي: إن هذا ذنب لم يعمل به إلا أمة واحدة، ففعل الله بهم ما قد علمتم، أرىٰ أن تحرقه بالنار، فاجتمع رأي أصحاب رسول الله أن يحرق بالنار، فأمر به

---

(١) الشيعة وأهل البيت إحسان إلهي ظهير: ص (٦٩).
(٢) تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٣٢، ١٣٣).
(٣) المصدر السابق (٢/ ١٣٨)
(٤) الشيعة وأهل البيت: ص (٧٠).

أبو بكر أن يحرق بالنار[(١)] وكان علىٰ رضي الله عنه يمتثل أوامر الصديق؛ فعندما جاء وفد من الكفار إلىٰ المدينة، ورأوا بالمسلمين ضعفًا وقلة لذهابهم إلىٰ الجهات المختلفة للجهاد واستئصال شأفة المرتدين والبغاة الطغاة، وأحس منهم الصديق خطرًا علىٰ عاصمة الإسلام والمسلمين، أمر الصديق بحراسة المدينة وجعل الحرس علىٰ أنقابها يبيتون بالجيوش، وأمر عليًا والزبير وطلحة وعبد الله ابن مسعود أن يرأسوا هؤلاء الحراس، وبقوا كذلك حتىٰ أمنوا منهم[(٢)].

وللتعامل الموجود بينهم وللتعاطف والتواد والوئام الكامل كان علىٰ وهو سيد أهل البيت ووالد سبطي الرسول ﷺ يتقبل الهدايا والتحف، دأب الإخوة المتساوين فيما بينهم والمتحابين كما قبل الصهباء الجارية التي سبيت في معركة عين التمر، وولدت له عمر ورقية[(٣)]، وأيضًا منحه الصديق خولة بنت جعفر بن قيس التي أسرت مع من أسر في حرب اليمامة وولدت له أفضل أولاده بعد الحسن والحسين وهو محمد بن الحنفية، وكانت خولة من سبي أهل الردة وبها يعرف ابنها ونسب إليها محمد بن الحنفية[(٤)]، يقول الإمام الجويني عن بيعة الصحابة لأبي بكر: وقد اندرجوا تحت الطاعة عن بكرة أبيهم لأبي بكر رضي الله عنه وكان علىٰ رضي الله عنه سامعًا لأمره، وبايع أبا بكر علىٰ ملأ من الأشهاد، ونهض إلىٰ غزو بني حنيفة[(٥)].

ووردت روايات عديدة في قبوله هو وأولاده الهدايا المالية، والخمس، وأموال الفيء من الصديق رضي الله عنهم أجمعين، وكان علىٰ هو القاسم والمتولي في

---

(١) المغني والشرح الكبير (١٢/ ٢٢٠)، المختصر من كتاب الموافقة: ص (٥١).

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٦٤).

(٣) الطبقات (٣/ ٢٠)، البداية والنهاية (٧/ ٣٣١ - ٣٣٣).

(٤) الطبقات (٣/ ٢٠).

(٥) الإرشاد للجوينى: ص (٤٢٨).

عهده علىٰ الخمس والفيء، وكانت هذه الأموال بيد علي، ثم كانت بيد الحسن ثم بيد الحسين، ثم الحسن بن الحسن ثم زيد بن الحسن، وكان علي رضي الله عنه يؤدي الصلوات الخمس في المسجد خلف الصديق، راضيًا بإمامته، ومظهرًا للناس اتفاقه ووئامه معه[١]، وكان علي رضي الله عنه يروىٰ عن أبي بكر بعض أحاديث رسول الله ﷺ، فعن أسماء بنت الحكم الفزاري قالت: سمعت عليًا رضي الله عنه يقول: كنت إذا سمعت من رسول الله علمًا نفعني الله به، وكان إذا حدثني عنه غيري استحلفته فإذا حلف صدقته، وحدثني أبو بكر- وصدق أبو بكر - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد مسلم يذنب ذنبًا ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يصلىٰ ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له**»[٢] ولما قبض رسول الله ﷺ اختلف أصحابه فقالوا: ادفنوه في البقيع، وقال آخرون: ادفنوه في موضع الجنائز، وقال آخرون: ادفنوه في مقابل أصحابه، فقال أبو بكر: أخروا فإنه لا ينبغي رفع الصوت عند النبي حيًا ولا ميتًا، فقال علىٰ رضي الله عنه: «أبو بكر مؤتمن علىٰ ما جاء به». قال أبو بكر: «عهد إليَّ رسول أنه ليس من نبي يموت إلا دفن حيث يُقبض»[٣]، وشهد علىٰ رضي الله عنه للصديق عن عظيم أجره في المصاحف، فعن عبد خير قال: سمعت عليًا يقول: «أعظم الناس أجرًا في المصاحف: أبو بكر الصديق، هو أول من جمع بين اللوحين»[٤].

خامسًا: علي رضي الله عنه في وفاة الصديق:

كان علي رضي الله عنه من ضمن من استشارهم الصديق فيمن يتولىٰ الخلافة من بعده، وكان رأي علىٰ أن يتولىٰ الخلافة بعد الصديق الفاروق[٥].

---

(١) الشيعة وأهل البيت: ص (٧٢).
(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢).
(٣) أحمد (١/ ٨).
(٤) المختصر من كتاب الموافقة: ص (٤٤).
(٥) الكامل لابن الأثير (٢/ ٧٩)

ولما حان الرحيل ونزل الموت بأبي بكر، كان آخر ما تكلم به الصديق في هذه الدنيا قوله تعالىٰ: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف:١٠١]. وارتجت المدينة لوفاة أبي بكر الصديق ولم تر المدينة منذ وفاة الرسول ﷺ يومًا أكثر باكيًا وباكية من ذلك المساء الحزين، وأقبل علي بن أبي طالب مسرعًا، باكيًا، مسترجعًا ووقف علىٰ البيت الذي فيه أبو بكر فقال:

رحمك الله يا أبا بكر كنت إلف رسول الله ﷺ وأنيسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته، وكنت أول القوم إسلامًا، وأخلصهم يقينًا، وأشدهم لله تقوىٰ، وأخوفهم لله، وأعظمهم غناء في دين الله عَزَّ وَجَلَّ، وأحوطهم علىٰ رسول الله ﷺ ، وأحدبهم علىٰ الإسلام، وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الله هديًا وسمتًا، وأشرفهم منزلة، وأرفعهم عنده، وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن رسول الله وعن الإسلام أفضل الجزاء، صدقت رسول الله حين كذبه الناس، وكنت عنده بمنزلة السمع والبصر، سماك الله في تنزيله صديقًا فقال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر:٣٣]، واسيته حين بخلوا، وقمت معه علىٰ المكاره حين قعدوا، وصحبته في الشدة أكرم الصحبة، ثاني اثنين صاحبه في الغار، والمنزل عليه السكينة، ورفيقه في الهجرة، وخليفته في دين الله وأمته، أحسن الخلافة حين ارتدوا، فقمت بالأمر ما لم يقم به خليفة نبي، ونهضت حين وهن أصحابه، وبرزت حين استكانوا، وقويت حين ضعفوا، ولزمت منهاج رسول الله ﷺ إذ وهنوا، وكنت كما قال رسول الله ﷺ ضعيفًا في بدنك قويًا في أمر الله، متواضعًا في نفسك عظيمًا عند الله تعالىٰ، جليلًا في أعين الناس كبيرًا في أنفسهم، لم يكن لأحدهم فيك مغمز، ولا لقائل فيك مهمز، ولا لمخلوق عندك هوادة، الضعيف عندك قوىٰ عزيز حتىٰ تأخذ بحقه، القريب والبعيد عندك سواء، وأقرب الناس عندك أطوعهم لله عَزَّ وَجَلَّ وأتقاهم... شأنك الحق والصدق،

والرفق، قولك حكم وحتم، أمرك حلم وحزم، ورأيك علم وعزم، اعتدل بك الدين، وقوىٰ بك الإيمان، وظهر أمر الله، فسبقت - والله - سبقًا بعيدًا، وأتعبت من بعدك إتعابًا شديدًا، وفزت بالخير فوزًا مبينًا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، رضينا عن الله عَزَّ وَجَلَّ قضاءه وسلمنا له أمره، والله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله بمثلك أبدًا، كنت للدين عزًا، وحرزًا وكهفًا، فألحقك الله عَزَّ وَجَلَّ بنبيك محمد ﷺ، ولا حرمنا أجرك، ولا أضلنا بعدك، فسكت الناس حتىٰ قضىٰ كلامه، ثم بكوا حتىٰ علت أصواتهم وقالوا: صدقت[1].

▪ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عهد الفاروق:

كان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عضوًا بارزًا في مجلس شورىٰ الدولة العمرية، بل كان هو المستشار الأول، فقد كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعرف لعلي فضله، وفقهه، وحكمته، وكان رأيه فيه حسنًا، فقد ثبت قوله فيه: أقضانا علىٰ[2]، وقال ابن الجوزي: كان أبو بكر وعمر يشاورانه، وكان عمر يقول: أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن[3]، وقال مسروق: كان الناس يأخذون عن ستة: عمر وعلىٰ وعبد الله وأبي موسىٰ وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب وقال: شاممت أصحاب محمد ﷺ فوجدت علمهم انتهىٰ إلىٰ ستة نفر: عمر وعلي وعبد الله وأبي الدرداء وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، ثم شاممت هؤلاء الستة فوجدت علمهم انتهىٰ إلىٰ رجلين منهم: إلىٰ علىٰ، وعبد الله[4]، وقال أيضًا: انتهىٰ العلم إلىٰ ثلاثة، عالم بالمدينة، وعالم بالشام، وعالم بالعراق، فعالم المدينة علي بن أبي طالب، وعالم الكوفة عبد الله بن مسعود، وعالم الشام أبو الدرداء، فإذا التقوا سأل عالم الشام وعالم

---

(١) التبصرة لابن الجوزي (١/ ٤٧٧ - ٤٧٩)

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ص (١١٠٢)، المعرفة والتاريخ (١/ ٤٨١).

(٣) فضائل الصحابة رقم (١١٠٠).

(٤) علل الحديث ومعرفة الرجال.. علىٰ بن المديني: ص (٤٢، ٤٣)

العراق، عالم المدينة ولم يسألهما[١]، فكان علىٰ من هؤلاء المقربين، يشد من أزر أخيه، ولا يبخل عليه برأيه، ويجتهد معه في إيجاد حلول للقضايا، التي لم يرد فيها نص، وفي تنظيم أمور الدولة الفتية، والشواهد علىٰ ذلك كثيرة، نذكر منها:

أولًا: في الأمور القضائية:

١- امرأة تعتريها نوبات من الجنون: عن أبي ظبيان الجنبي: أن عمر بن الخطاب أتىٰ بامرأة قد زنت، فأمر برجمها، فذهبوا بها ليرجموها، فلقيهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: ما هذه؟ قالوا: زنت فأمر عمر برجمها، فانتزعها علىٰ من أيديهم وردهم، فرجعوا إلىٰ عمر، فقال: ما ردكم؟ قالوا: ردنا علىٰ، قال: ما فعل هذا عليّ إلا لشيء قد علمه، فأرسل إلىٰ علىٰ، فجاء وهو شبه المغضب، فقال: مالك رَدَدْتَ هؤلاء؟ قال: أما سمعت النبي ﷺ يقول: «**رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتىٰ يستيقظ، وعن الصغير حتىٰ يكبر، وعن المبتلي حتىٰ يعقل؟**» قال: بلىٰ، قال عليّ: فإن هذه مبتلاة بني فلان، فلعله أتاها وهو بها، فقال عمر: لا أدري، فلم يرجمها[٢]، فقد كان عمر لا يعلم أنه مجنونة.

٢- مضاعفة الحد لمن شرب الخمر: أخذ عمر برأي علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في مضاعفة الحد لمن شرب الخمر، وذلك لانتشار شرب الخمر وخاصة في البلاد المفتوحة، وهي حديثة العهد بالإسلام، فأشار عليّ علىٰ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بأن يجلد فيها ثمانين، كأخف الحدود، وعلل ذلك بقوله: نراه إذا سكر هذىٰ وإذا هذىٰ افترىٰ، وعلىٰ المفتري ثمانون[٣]، وقد ثبت عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: ما كنت أقيم حدًا علىٰ أحد، فيموت، وأجد في نفسي، إلا صاحب الخمر، فإنه لو مات وديته،

(١) المعرفة والتاريخ للفسوىٰ (١/ ٤٤٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٩٩).

(٣) أخرجه الحاكم أيضا (٣/ ٣٧٥، ٣٧٦).

وذلك لأن رسول الله ﷺ لم يسنه[1].

٣- لا سلطان لك علىٰ ما في بطنها: أتىٰ عمر رضي الله عنه بامرأة حامل فسألها عمر فاعترفت بالفجور، فأمر بها عمر ترجم، فلقيها عليّ فقال: ما بال هذه؟ فقالوا: أمر بها، أمير المؤمنين أن ترجم، فردها علىٰ فقال: أأمرت بها أن ترجم؟ قال: نعم، اعترفت عندي بالفجور! قال: هذا سلطانك عليها فما سلطانك علىٰ ما في بطنها؟ قال علىٰ: فلعلك انتهرتها، أو أخفتها؟ قال: قد كان ذاك، قال: أو ما سمعت النبي ﷺ يقول: «**لاحد علىٰ معترف بعد بلاء، أنه من قيدت أو حبست أو تهددت فلا إقرار له**» فخلىٰ عمر سبيلها، ثم قال: عجزت النساء أن تلد مثل علي بن أبي طالب، لولا علىٰ لهلك عمر[2].

٤- ردوا الجهالات إلىٰ السنة: أتىٰ عمر بامرأة أنكحت في عدتها ففرق بينهما وجعل صداقها في بيت المال وقال: لا أجيز مهرًا رد نكاحه، وقال: لا تجتمعان أبدًا، فبلغ ذلك عليًا فقال: وإن كانوا جهلوا السنة لها المهر بما استحل من فرجها ويفرق بينهما، فإذا انقضت عدتها فهو خاطب من الخطاب، فخطب عمر الناس فقال: ردوا الجهالات إلىٰ السنة، ورجع عمر إلىٰ قول علي[3].

٥- هذا الرجل غلبني علىٰ نفسي وفضحني في أهلي: قال جعفر بن محمد: أتىٰ عمر بن الخطاب بامرأة قد تعلقت بشاب من الأنصار وكانت تهواه، فلما لم يساعدها احتالت عليه، فأخذت بيضة، فألقت صفارها، وصبت البياض علىٰ ثوبها وبين فخذها ثم جاءت إلىٰ عمر صارخة، فقالت: هذا الرجل غلبني علىٰ نفسي وفضحني في أهلي، وهذا أثر فعاله، فسأل عمر النساء فقلن له: إن ببدنها وثوبها أثر المني، فهم بعقوبة الشاب، فجعل يستغيث ويقول: يا أمير المؤمنين

---

(١) فتح الباري (١٢/ ٦٦).

(٢) سنن سعيد بن منصور (٢/ ٦٩) رقم (٢٠٨٣).

(٣) المغنىٰ والشرح الكبير (١١/ ٦٦، ٦٧).

تثبت في أمري، فوالله ما أتيت فاحشة وما هممت بها، فقد راودتني عن نفسي فاعتصمت، فقال عمر: يا أبا الحسن ما ترىٰ في أمرهما، فنظر علي إلىٰ ما علىٰ الثوب، ثم دعا بماء حار شديد الغليان، فصب علىٰ الثوب فجمد ذلك البياض ثم أخذه واشتمه، وذاقه، فعرف طعم البيض، وزجر المرأة فاعترفت(١).

ثانيًا: علي رضي الله عنه والتنظيمات المالية والإدارية العمرية:

١- في الأمور المالية:

(أ) نفقات الخليفة: لما ولي عمر بن الخطاب أمر المسلمين بعد أبي بكر مكث زمانًا، لا يأكل من بيت المال شيئًا حتىٰ دخلت عليه في ذلك خصاصة، ولم يعد يكفيه ما يربحه من تجارته، لأنه اشتغل عنها بأمور الرعية، فأرسل إلىٰ أصحاب رسول الله ﷺ، فاستشارهم في ذلك فقال: قد شغلت نفسي في هذا الأمر فما يصلح لي فيه؟ فقال عثمان بن عفان: كل وأطعم، وقال ذلك سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وقال عمر لعلي: ما تقول أنت في ذلك؟ قال: غداء وعشاء، فأخذ عمر بذلك، وقد بين عمر حظه من بيت المال فقال: إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة قيم اليتيم، إن استغنيت عنه تركت، وإن افتقرت إليه أكلت بالمعروف(٢).

(ب) رأي علي في أرض السواد بالعراق: لما فتحت أرض السواد بالعراق عنوة، أشار عدد من الصحابة - رضوان الله عليهم- علىٰ عمر بتقسيمهم بين الفاتحين، ولكن لسعة الأرض وجودتها، ونظرة عمر البعيدة لمن سيأتي بعد ذلك، لم يطمئن عمر لتقسيمها، فاستشار عليًا في ذلك فكان رأيه موافقًا لرأي الخليفة عمر ألا تقسم فأخذ برأيه وقال: لولا آخر المسلمين ما فتحت قرية إلا

---

(١) الطرق الحكمية لابن القيم: ص (٤٨).

(٢) الخلافة الراشدة، سنده صحيح، د. يحيىٰ: ص (٢٧٠).

قسمتها بين أهلها، كما قسم النبي ﷺ خيبر[١].

(ج) لا جرم لتقسمنه: أتىٰ عمر بمال فقسمه بين المسلمين، وفضلت منه فضله، فاستشار فيها الصحابة، فقالوا له: لو تركته لنائبة إن كانت، وفي القوم علىٰ ساكت، فأراد عمر أن يسمع رأي علي في ذلك، فذكره علىٰ بحديث مال البحرين حين جاء إلىٰ النبي ﷺ، وأنه قسمه كله، فقال عمر لعلي: لا جرم لتقسمنه، فقسمه علىٰ[٢]، ويبدو أن هذا كان قبل تقسيم الدواوين[٣].

٢- علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ والأمور الإدارية:

عندما احتاج عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يضع تاريخًا رسميًا ثابتًا لتنظيم أمور الدولة وضبطها، جمع الناس وسألهم: من أي يوم نكتب التاريخ؟ فقال علىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: من يوم هاجر رسول الله ﷺ وترك أرض الشرك، ففعله عمر[٤]، وقد كان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يراه من أفضل من يقود الناس فقد ورد عنه أنه كان يناجي رجلًا من الأنصار، فقال: من تحدثون أنه يستخلف من بعدي؟ فعد الأنصاري المهاجرين ولم يذكر عليًا، فقال عمر: فأين أنتم من علىٰ؟ فوالله لو استخلفتموه، لأقامكم علىٰ الحق وإن كرهتموه[٥] وقال لابنه عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بعد أن طعن: إن ولوها الأجلح سلك بهم الطريق[٦].

٣- استخلف عمر عليًا على المدينة مرارًا:

(أ) استخلافه حين خرج عمر إلىٰ ماء صراء فعسكر فيه: وذلك قبيل

---

(١) الأموال، القاسم بن سلام: ص (٥٧)

(٢) أحمد (١/ ٤٩)

(٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علىٰ: ص (٧٥).

(٤) التاريخ الكبير للبخاري (١/ ٩).

(٥) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علىٰ: ص (٧٦)

(٦) السابق.

القادسية وكان الفرس قد حشدوا للمسلمين، فجمع عمر الناس فاستشارهم فكلهم أشار عليه بالمسير[(١)].

(ب) استخلافه عند نزول عمر بالجابية: وذلك حين نزل عمرو بن العاص أجنادين، فكتب إليه أرطبون الروم، والله لا تفتح من فلسطين شيئًا بعد أجنادين، فارجع لا تغر، وإنما صاحب الفتح رجل اسمه علىٰ ثلاثة أحرف، فعلم عمرو أنه عمر، فكتب يعلمه أن الفتح مدخر له، فنادىٰ له الناس، واستخلف علي بن أبي طالب[(٢)].

(ج) استخلاف علىٰ حين حج عمر بأزواج النبي ﷺ: وهي آخر حجة حجها بالناس كانت سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وكان مع أمهات المؤمنين أولياؤهن ممن لا يحتجبن منه، وخلف علىٰ المدينة علي بن أبي طالب[(٣)].

ثالثًا: استشارة عمر لعلي رضي الله عنهما في أمور الجهاد وشئون الدولة:

كان علي رضي الله عنه المستشار الأول لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وكان عمر يستشيره في الأمور الكبيرة منها والصغيرة، وقد استشاره حين فتح المسلمون بيت المقدس، وحين فتحت المدائن، وعندما أراد عمر التوجه إلىٰ نهاوند وقتال الفرس، وحين أراد أن يخرج لقتال الروم، وفي وضع التقويم الهجري وغير ذلك من الأمور[(٤)]، وكان علىٰ رضي الله عنه طيلة حياة عمر مستشارًا ناصحًا لعمر، محبًا له خائفًا عليه، وكان عمر يحب عليًا وكانت بينهما مودة ومحبة وثقة متبادلة، ومع ذلك يأبي أعداء الإسلام إلا أن يزوروا التاريخ، ويقصوا بعض الروايات التي تناسب أمزجتهم ومشاربهم ليصوروا لنا فترة الخلفاء الراشدين عبارة عن أن

---

(١) المنتظم (٤/ ١٩٢).

(٢) السابق.

(٣) المصدر نفسه (٤/ ٣٢٧)، الفتح (٤/ ٨٧).

(٤) علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين: ص (٩٩).

كل واحد منهم كان يتربص بالآخر الدوائر لينقض عليه، وكل أمورهم كانت تجري من وراء الكواليس[١].

إن من أبرز ما يلاحظه المتأمل في خلافة عمر تلك الخصوصية في العلاقة، وذلك التعاون المتميز الصافي، بين عمر وعليّ رضي الله عنهما، فقد كان عليٌّ هو المستشار الأول لعمر في سائر القضايا والمشكلات، وما اقترح عليٌّ عمر رأيًا إلا واتجه عمر إلىٰ تنفيذه عن قناعة، وكان عليّ رضي الله عنه يمحضه النصح في كل شئونه وأحواله[٢]، فمثلًا عندما تجمع الفرس بنهاوند في جمع عظيم لحرب المسلمين جمع عمر رضي الله عنه الناس واستشارهم في المسير إليهم بنفسه، فأشار عليه عامة الناس بذلك، فقام إليه عليّ رضي الله عنه فقال: أما بعد، يا أمير المؤمنين، فإنك إن أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم إلىٰ ذراريهم، وإنك إن أشخصت أهل اليمن إلىٰ ذراريهم من يمنهم سارت الحبشة إلىٰ ذراريهم، وإنك إن أشخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتىٰ يكون ما تدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات والعيالات، أقرر هؤلاء في أمصارهم، واكتب إلىٰ أهل البصرة، فليتفرقوا ثلاث فرق، فرقة في حرمهم وذراريهم، وفرقة في أهل عهدهم حتىٰ لا ينتقضوا، ولتسر فرقة إلىٰ إخوانهم بالكوفة مددًا لهم. إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدًا قالوا: هذا أمير العرب وأصلها، فكان ذلك أشد لكلبهم عليك، وأما ما ذكرت من مسير القوم، فإن الله هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر علىٰ تغيير ما يكره، وأما عددهم فإنا لم نكن نقاتل فيما مضىٰ بالكثرة ولكن بالنصر، فقال عمر: هذا هو الرأي كنت أحب أن أتابع عليه[٣] كانت نصيحة علىٰ نصيحة المحب لعمر الغيور

(١) المصدر نفسه: ص (١٣٨).

(٢) فقه السيرة النبوية للبوطي: ص (٥٢٩).

(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٤٨٠)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٩٤).

عليه، والضنين ألا يذهب، وأن يدير رحىٰ الحرب بمن دونه من العرب وهو في مكانه، وحذره من أنه إذا ذهب، فلسوف ينشأ وراءه من الثغرات ما هو أخطر من العدو الذي سيواجهه، أرأيت لو أن رسول الله ﷺ أعلن أن الخلافة من بعده لعلي، أفكان لعلي أن يرغب عن أمر رسول الله ﷺ هذا، وأن يؤيد المستلبين لحقه بل لواجبه في الخلافة بمثل هذا التعاون المخلص البناء؟ بل أفكان للصحابة، رضوان الله عليهم، كلهم أن يضيعوا أمر رسول الله ﷺ؟ بل أفكان من المتصور أن يجمعوا وفي مقدمتهم علىٰ رضوان الله عليه علىٰ ذلك؟ بوسعنا أن نعلم إذن بكل بداهة، أن المسلمين إلىٰ هذا العهد - نهاية عهد عمر - بل إلىٰ نهاية عهد علىٰ كانوا جماعة واحدة، ولم يكن في ذهن أي من المسلمين أي إشكال بشأن الخلافة، أو شأن من هو أحق بها[(١)].

إن كثرة مشاورة عمر لعلي رضي الله عنهما، وغيره من الصحابة، لا يعني هذا أنه دونهم في الفقه والعلم، فقد بينت الأحاديث الصحيحة التي تدل علىٰ علو علمه، واكتمال دينه، ولكن إيمانه وحبه للشورىٰ، وتعويده للحكام فيما بعد علىٰ المشاورة، وعدم الاستبداد بالأمر والراي، وإلا فإن عليًا رضي الله عنه كان كثيرًا ما يرجع عن رأيه إلىٰ رأي عمر[(٢)]، فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها، في معرض حديثها عن عمر قولها: وقد كان علىٰ رضي الله عنه يتابع عمر بن الخطاب، فيما يذهب إليه ويراه، مع كثرة استشارته عليًا، حتىٰ قال علىٰ رضي الله عنه: يشاورني عمر في كذا، فرأيت كذا، ورأي هو كذا، فلم أر إلا متابعة عمر[(٣)].

رابعًا: علي رضي الله عنه وأولاده وعلاقتهم بعمر رضي الله عنهم:

كان عمر رضي الله عنه شديد الإكرام لآل رسول الله ﷺ وإيثارهم علىٰ أبنائه وأسرته،

---

(١) فقه السيرة للبوطي: ص (٢٩٥).

(٢) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علىٰ: ص (٧٧).

(٣) الإمامة والرد علىٰ الرافضة للأصبهاني: ص (٢٩٥).

تذكر من ذلك بعض المواقف:

١- أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر: جاء فيما رواه الحسين بن علي رضي الله عنه: أن عمر قال لي ذات يوم: أي بني لو جعلت تأتينا وتغشانا؟ فجئت يومًا وهو خال بمعاوية، وابن عمر بالباب لم يؤذن له، فرجعت فلقيني بعد، فقال: يا بني لم أرك أتيتنا؟ قلت: جئت وأنت خال بمعاوية فرأيت ابن عمر رجع، فرجعت، فقال: أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر، م إنما أنت في رءوسنا ما ترىٰ: الله، ثم أنتم، ووضع يده علىٰ رأسه[(١)].

٢- والله ما هنأ لي ما كسوتكم: روىٰ ابن سعد عن جعفر بن محمد الباقر عن أبيه علىٰ ابن الحسين، قال: قدم علىٰ عمر حلل من اليمن، فكسا الناس فراحوا في الحلل، وهو بين القبر والمنبر جالس، والناس يأتونه فيسلمون عليه ويدعون له، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة رضي الله عنها يتخطيان الناس، ليس عليها من تلك الحلل شيء، وعمر قاطب صار بين عينيه، ثم قال: والله ما هنأ لي ما كسوتكم، قالوا: يا أمير المؤمنين، كسوت رعيتك فأحسنت، قال: من أجل الغلامين يتخطيان الناس وليس عليهما من شيء كبرت عنهما وصغرا عنها، ثم كتب إلىٰ والي اليمن أن ابعث بحلتين لحسن وحسين، وعجَّل، فبعث إليه بحلتين فكساهما[(٢)].

٣- تقديم بني هاشم في العطاء: عن أبي جعفر أنه لما أراد أن يفرض للناس بعدما فتح الله عليه، وجمع ناسًا من أصحاب النبي ، فقال عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه: ابدأ بنفسك، فقال: لا والله بالأقرب من رسول الله ، ومن بني هاشم رهط رسول الله ، وفرض للعباس، ثم لعلي، حتىٰ والىٰ بين خمس قبائل، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ بني عدي بن كعب، فكتب: من شهد بدرًا من بني

(١) الإصابة (١/ ١٣٣).
(٢) الإصابة (١/ ١٠٦).

هاشم، ثم من شهد بدرًا من بني أمية بن عبد شمس، ثم الأقرب فالأقرب، ففرض الأعطيات لهم وفرض للحسن والحسين لمكانهما من رسول الله[(١)].

٤- كساني هذا الثوب أخي وخليلي: خرج علىٰ وعليه برد عدني فقال: كساني هذا الثوب أخي وخليلي وصفيىٰ وصديقي أمير المؤمنين عمر[(٢)]. وفي رواية عن أبي السفر قال: رئُي علىٰ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برد كان يكثر لبسه قال: فقيل: يا أمير المؤمنين إنك لتكثر لبس هذا البرد؟ فقال: نعم، إن هذا كسانيه خليلي وصفيي عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ناصح الله فنصحه، ثم بكىٰ[(٣)].

٥- أقطاع ينبع: أقطع عمر بن الخطاب عليًا ينبع، ثم اشترىٰ علىٰ إلىٰ قطيعة عمر أشياء فحفر فيها عينًا، فبينما هم يعملون فيها إذ تفجر عليهم مثل عنق الجزور من الماء فأتىٰ علىٰ وبشر فتصدق بها علىٰ الفقراء والمساكين وفي سبيل الله ليوم تبيض وجوه وتسود وجوه، ليصرف الله تعالىٰ بها وجهه عن النار ويصرف النار عن وجهه، وكتب في صدقته: هذا ما أمر به علي بن أبي طالب وقضىٰ في ماله: إني تصدقت بينبع ووادي القرىٰ والأذنية وراعة في سبيل الله ووجهه، أبتغىٰ مرضاة الله، ينفق منها في كل منفعة في سبيل الله ووجهه، وفي الحرب والسلم والجنود وذوىٰ الرحم القريب والبعيد، لا يباع ولا يوهب ولا يورث حيًا أنا أو ميتًا، أبتغي بذلك وجه الله والدار الاخرة، ولا أبتغي إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، فإنه يقبلها وهو يرثها وهو خير الوارثين، فذلك الذي قضيت فيها بينىٰ وبين الله عَزَّ وَجَلَّ[(٤)].

٦- لتقولن يا أبا حسن: اجتمع عند عمر جماعة من قريش فيهم علىٰ

---

(١) الخراج لأبي يوسف: ص (٢٤، ٢٥)، المرتضىٰ: ص (١١٨).

(٢) المختصر من كتاب الموافقة: ص (١٤٠).

(٣) المصنف لابن أبي شيبة (١٢/ ٢٩)

(٤) المحلىٰ (٦/ ١٨٠)، مصنف عبد الرزاق (١٠/ ٣٧٥).

فتذكروا الشرف، وعلىٰ ساكت فقال عمر: مالك يا أبا الحسن ساكتًا؟ فكأن عليًا كره الكلام، فقال عمر: لتقولن يا أبا الحسن، فقال عليٰ:

في كل معترك تزيل سيوفنا ... فيها الجماجم عن فراخ الهام[1]

الله أكرمنا بنصر نبيه ... وبنا أعز شرائع الإسلام

ويزورنا جبريل في أبياتنا ... بفرائض الإسلام والأحكام[2]

٧- حوار بين أمير المؤمنين عمر وعلي حول الرؤيا: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أعجب من رؤيا الرجل أنه يبيت فيرىٰ الشيء لم يخطر له علىٰ بال، فتكون رؤياه كأخذ اليد، ويرىٰ الرجل الشيء، فلا تكون رؤياه شيئًا، فقال علىٰ بين أبي طالب: أفلا أخبرك بذلك يا أمير المؤمنين؟ إن الله يقول[3]: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر:٤٢].

خامسًا: زواج عمر من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب:

زوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابنته من فاطمة بنت النبي ﷺ من الفاروق حينما سأله زواجها منه رضي الله عنه بما يطلب، وثقة فيه وإقرارًا لفضله ومناقبة، واعترافًا بمحاسنه وجمال سيرته، وإظهارًا بأن بينهم من العلاقات الوطيدة الطيبة والصلات المحكمة المباركة ما يحرق قلوب الحساد من أعداء الأمة المجيدة، ويرغم أنوفهم[4]، فقد كان عمر يكن لأهل البيت محبة خاصة لا يكنها لغيرهم لقرابتهم من رسول الله ﷺ ، ولما أوصىٰ به رسول الله ﷺ من إكرام أهل البيت ورعاية حقوقهم، فمن هذا الباعث خطب عمر أم كلثوم ابنة

---

(١) **فراخ الهام**: فراخ الرأس علىٰ التشبيه.

(٢) المختصر من كتاب الموافقة: ص (١٣٨).

(٣) الفتاوىٰ (٥/ ٢٧٠، ٢٧١).

(٤) الشيعة وأهل البيت: ص (١٠٥).

علىٰ وفاطمة رضوان الله عليهم وتودد إليه في ذلك قائلًا: فوالله ما علىٰ الأرض رجل يرصد من حسن صحبتها ما أرصد، فقال علىٰ: قد فعلت، فأقبل عمر إلىٰ المهاجرين، وهو مسرور قائلًا: رفئوني.. ثم ذكر أن سبب زواجه منها ما سمعه من النبي ﷺ: «**كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا ما كان من سببي ونسبي**»، فأحببت أن يكون بيني وبين رسول الله ﷺ سبب[(١)]، ولقد أقر بهذا الزواج كل أهل التاريخ والأنساب وجميع محدثي الشيعة وفقهائهم ومكابريهم ومجادليهم وأئمتهم المعصومين حسب زعمهم، ولقد أورد الشيخ إحسان إلهي ظهير روايات بخصوص ذلك في كتابه الشيعة والسنة[(٢)]، ولقد ذكر هذا الزواج علماء أهل السنة في التاريخ وأجمعت مصادرهم عليه، ومن العلماء الذين ذكروا هذا الزواج: الطبري[(٣)]، وابن كثير[(٤)].

هذا وقد ولدت أم كلثوم بنت علي من عمر رضي الله عنه ابنة سميت (رقية) وولدًا سمته زيدًا، وقد روىٰ أصحاب زيد أن زيد بن عمر حضر مشاجرة في قوم من بني عدي بن كعب ليلًا فخرج إليهم زيد بن عمر ليصلحهم فأصابته ضربة شجت رأسه ومات من فوره، وحزنت أمه لقتله ووقعت مغشيًا عليها من الحزن فماتت من ساعتها، ودفنت أم كلثوم وابنها زيد بن عمر في وقت واحد، وصلىٰ عليهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، قدمه الحسن بن علي بن أبي طالب وصلىٰ خلفه.

سادسًا: الخلاف بين العباس وعلي وحكم عمر رضي الله عنهم بينهما:

قال مالك بن أوس: بينما أنا جالس في أهلي حين متع النهار[(٥)]، إذا رسول

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٤٢).

(٢) الشيعة وأهل البيت: ص (١٠٥).

(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٢٨).

(٤) البداية والنهاية (٥/ ٢٢٠).

(٥) **متع النهار**: ارتفع قبل الزوال.

عمر بن الخطاب يأتيني، فقال: أجب أمير المؤمنين، فانطلقت معه حتىٰ دخلت علىٰ عمر، فإذا هو جالس علىٰ رمال[(١)] سرير ليس بينه وبينه فراش، متكئ علىٰ وسادة من أدم، فسلمت عليه ثم جلست، فقال: يا مالك إنه قدم علينا من قومك أهل أبيات، وقد أمرت فيهم برضخ، فاقبضه فاقسمه بينهم، فقلت: يا أمير المؤمنين لو أمرت به غيري، قال: اقبضه أيها المرء، فبينما أنا جالس عنده أتاه حاجبه يرفأ، فقال: هل لك في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص، يستأذنونك؟ قال: نعم فأذن لهم فدخلوا فسلموا وجلسوا، ثم جلس يرفأ يسيرًا، ثم قال: هل لك في عليّ وعباس؟ قال: نعم فأذن لهما فدخلا فسلما فجلسا، فقال عباس: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا، وهما يختصمان فيما أفاء الله علىٰ رسوله ﷺ من مال بنىٰ النضير، فقال الرهط - عثمان وأصحابه-: يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر قال عمر: تيدكم[(٢)]، أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «**لا نورث، ما تركناه صدقة**»، يريد رسول الله ﷺ نفسه؟ قال الرهط: قد قال ذلك، فأقبل عمر علىٰ عليّ، وعباس، فقال: أنشدكما بالله أتعلمان أن رسول الله ﷺ قد قال ذلك؟ قالا: قد قال ذلك، قال عمر: فإني أحدثكم عن هذا الأمر، إن الله قد خص رسوله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحدًا غيره، ثم قرأ: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦﴾ [الحشر:٦].

فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ ووالله ما احتازها دونكم، ولا أستأثر بها عليكم، قد أعطاكموها، وبثها فيكم، حتىٰ بقىٰ منها هذا المال، فكان رسول الله ﷺ ينفق علىٰ أهله نفقة سنتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقىٰ فيجعله مال

(١) المراد أنه كان السرير قد نسج وجهه بالسعف.
(٢) **التيد**: الرفق، يقال: تيدك هذا، أي اتئد.

الله، فعمل رسول الله ﷺ بذلك حياته، أنشدكما بالله، هل تعلمان ذلك؟ قال عمر: ثم توفىٰ الله نبيه ﷺ فقال أبو بكر: أنا ولي رسول الله ﷺ ، والله يعلم أنه فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم توفىٰ الله أبا بكر، فكنت أنا وليُّ أبي بكر فقبضتها سنتين من إمارتي، أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ وما عمل فيها أبو بكر، والله يعلم أني فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم جئتماني تكلماني وكلمتكما واحدة وأمركم واحد، جئتنىٰ يا عباس، تسألني نصيبك من ابن أخيك، وجاءني هذا «يريد عليًا» يريد نصيب امرأته من أبيها، فقلت لكما: إن رسول الله قال: «لا نورث، ما تركناه صدقة» فلما بدا لي أن أدفعه إليكما قلت: إن شئتما دفعتها إليكما، علىٰ أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ وما عمل أبو بكر، وبما عملت فيها منذ وليتها، فقلتما: ادفعها إلينا، فبذلك دفعتها إليكما فأنشدكم بالله هل دفعتها إليهما بذلك؟ قال الرهط: نعم، ثم أقبل علىٰ علىٰ وعباس فقال: أنشدكم بالله هل دفعتها إليكما بذلك؟ قالا: نعم، قال: فتلتمسان مني غير ذلك، فوالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، لا أقضي فيها قضاء غير ذلك فإن عجزتما عنها فادفعاها إليَّ، فإني أكفيكماها[1].

ثامنًا: ترشيح عمر عليًا للخلافة مع أهل الشورى وما قاله علي في عمر بعد استشهاده:

١- ترشيح علىٰ مع أهل الشورىٰ: لما طُعن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وظن أنه سيفارق الحياة، وأخذ المسلمون يدخلون عليه، ويقولون له: أوصِ يا أمير المؤمنين، استخلف، فقال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر - أو الرهط- الذين توفىٰ رسول الله ﷺ وهو عنهم راض فسمىٰ عليًا، وعثمان، والزبير وطلحة

---

(١) البخاري رقم (٣٠٩٤)، مسلم (١٧٥٧)، واللفظ للبخاري.

وسعدًا وعبد الرحمن[١]، ثم دعا خاصتهم وهم عبد الرحمن، وعثمان، وعلىٰ فوعظهم[٢]، إن عمر ﵁ إمام وعليه أن يستخلف الأصلح للمسلمين، فاجتهد في ذلك ورأىٰ أن الستة الذين توفىٰ رسول الله ﷺ وهو عنهم راض أحق من غيرهم، وهو كما رأىٰ، فإنه لم يقل أحد أن غيرهم أحق منهم، وجعل التعيين إليهم خوفًا أن يعين واحدًا منهم، ويكون غيره أصلح لهم، فإنه ظهر له رجحان الستة دون رجحان التعيين، وقال: الأمر في التعيين إلىٰ الستة يعينون أحدًا منهم، وهذا اجتهاد إمام عادل ناصح لا هوىٰ له ﵁، وهو نموذج واقعي لتطبيق قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورىٰ:٣٨]، وقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]، فكان ما فعله من الشورىٰ مصلحة[٣].

إن الفاروق ﵁ رأىٰ الأمر في الستة متقاربًا فإنهم وإن كان لبعضهم من الفضيلة ما ليس لبعض، فلذلك المفضول مزية أخرىٰ ليست للآخر، ورأىٰ أنه إذا عين واحدًا فقد يحصل بولايته نوع من الخلل فيكون منسوبًا إليه، فترك التعيين خوفًا من الله تعالىٰ، وعلم أنه ليس واحد أحق بهذا الأمر منهم فجمع بين المصلحتين، بين تعيينهم إذ لا أحق منهم، وترك تعيين واحد منهم لما تخوفه من التقصير، والله تعالىٰ قد أوجب علىٰ العبد أن يفعل المصلحة بحسب الإمكان، فكان ما فعله غاية ما يمكن من المصلحة[٤]، ولا يقال إنه بجعله الأمر شورىٰ بين الستة قد خالف به من تقدمه كما هو زعم الشيعة الرافضة، لأن الخلاف نوعان، خلاف تضاد وخلاف تنوع، وما فعله عمر ﵁ من النوع الثاني[٥]، وقد

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٤٢).
(٢) البخاري رقم (٣٧٠٠).
(٣) منهاج السنة (٣/ ١٦٢- ١٦٤).
(٤) السابق نفسه.
(٥) عقيدة أهل السنة (٢/ ١٠٤٢).

أقره علىٰ اجتهاده كل الصحابة ولم نسمع أحدًا عارضه، وقد بسطت ما ابتكره عمر من طريقة جديدة في اختيار الخليفة من بعده في كتابي فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره، فمن أراد التوسع فليرجع إليه مشكورًا.

٢- ما قاله علىٰ في عمر بعد استشهاده: قال ابن عباس كما هو في صحيح البخاري: وضع عمر علىٰ سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون، قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعنىٰ إلا رجل آخذ منكبي، إذا علي بن أبي طالب، فترحم علىٰ عمر وقال: ما خلفت أحدًا أحب إلىٰ أن ألقىٰ الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أني كنت كثيرًا ما أسمع النبي ﷺ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر[(١)].

٣- قول علىٰ في عمر: إن عمر كان رشيد الأمر: وها هو حرصه علىٰ عدم مخالفته بعد وفاته: عن عبد خير قال: كنت قريبًا من علىٰ حيث جاء أهل نجران قال: قلت: فإن كان رادًا علىٰ عمر شيئًا فاليوم، قال: فسلموا واصطفوا بين يديه، قال: ثم أدخل بعضهم يده في كمه فأخرج كتابًا فوضعه في يد علىٰ، قالوا: يا أمير المؤمنين، خطك بيمينك وإملاء رسول الله ﷺ عليك، قال: فرأيت عليًا وقد جرت الدموع علىٰ خده قال: ثم رفع رأسه إليهم فقال: يا أهل نجران، إن هذا لآخر كتاب كتبته بين يدي رسول الله ﷺ، قالوا: فأعطنا ما فيه، قال: سأخبركم عن ذاك؛ إن الذي أخذه عمر لم يأخذه لنفسه، إنما أخذه بجماعة من المسلمين، وكان الذي أخذه منكم خيرًا مما أعطاكم والله لا أرد شيئًا مما صنعه عمر إن عمر كان رشيد الأمر، وهذه الحادثة أصل الفقهاء عليها قولهم: لا يرد القاضي

(١) البخاري، رقم (٣٦٨٥).

اجتهاد قضاء من قبله عند عليٰ[(١)]، ورویٰ عنه أنه قال: اقضوا كما كنتم تقضون حتىٰ تكونوا جماعة، فإني أخشىٰ الاختلاف[(٢)]، وهو قول جمهور الفقهاء[(٣)]، وقد قال علي: ما كنت لأحل عقدة شدها عمر[(٤)].

٤- إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله، فأنا أكرهه لذلك: لما فرغ علي من وقعة الجمل، ودخل البصرة، وشيع أم المؤمنين عائشة لما أرادت الرجوع إلىٰ مكة، سار من البصرة إلىٰ الكوفة، فدخلها يوم الاثنين، لثنتىٰ عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين، فقيل له: انزل بالقصر الأبيض، فقال: لا، إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله فأنا أكرهه لذلك، فنزل في الرحبة وصلىٰ في الجامع الأعظم ركعتين[(٥)].

٥- حب أهل البيت لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن من دلالة محبة أهل البيت الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تسمية أبنائهم باسمه، حبًا وإعجابًا بشخصيته، وتقديرًا لما أتىٰ به من الأفعال الطيبة والمكارم العظيمة، ولما قدم إلىٰ الإسلام من الخدمات الجليلة، وإقرارًا بالصلات والودية الوطيدة التي تربطه بأهل بيت النبوة والرحم، والصهر القائم بينه وبينهم، فأول من سمىٰ ابنه باسمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سمىٰ ابنه من أم حبيب بنت ربيعة البكرية عمر[(٦)]، وقد جاء في كتاب صاحب الفضول، حتىٰ ذكر أولاد علي بن أبي طالب: وعمر من التغلبية، وهي الصهباء بنت ربيعة من السبي الذي أغار عليهم خالد بن الوليد بعين التمر، وعمَّر عمر

(١) فقه الإمام علي (٢/ ٨١٣).
(٢) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ٣٢٩).
(٣) فقه الإمام علي (٢/ ٨١٣).
(٤) المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة: ص (١٤٠).
(٥) تاريخ الخلافة الراشدة، محمد كنعان: ص (٣٨٣).
(٦) تاريخ اليعقوبي (٢/ ٢١٣)، الشيعة وأهل البيت: ص (١٣٣).

هذا حتىٰ بلغ خمسًا وثمانين سنة فحاز نصف ميراث علىٰ رضي الله عنه، وذلك أن جميع إخوانه وأشقائه وهم عبد الله وجعفر وعثمان قتلوا جميعهم قبله مع الحسين رضي الله عنه - يعني: أنه لم يقتل معهم - بالطف فورثهم(١)، هذا وتبعه حسن في ذلك الحب لعمر بن الخطاب رضي الله عنهم فسمىٰ أحد أبنائه عمر أيضًا(٢)، وكذلك الحسين بن علىٰ سمىٰ عمر، ومن بعد الحسين ابنه علىٰ الملقب بزين العابدين سمىٰ أحد أبنائه باسم عمر، وكذلك موسىٰ بن جعفر الملقب بالكاظم سمىٰ أحد أبنائه باسم عمر(٣)، فهؤلاء الأئمة من أهل البيت الذين ساروا علىٰ هدىٰ النبي ﷺ ومعالم منهج أهل السنة والجماعة بسيرتهم العطرة يظهرون لعمر الفاروق ما يكنونه في صدورهم من حبهم وولائهم له بعد وفاته بمدة، وقد جرىٰ هذا الاسم وكذلك أبو بكر وعثمان في ذرية أهل البيت ممن ساروا علىٰ مذهب الحق وهو منهج أهل السنة والجماعة إلىٰ يومنا هذا، ونجد أسماء الصحابة وأمهات المؤمنين في البيوت الهاشمية التي التزمت بالكتاب والسنة، فقد سموا طلحة، وعبد الرحمن وعائشة وأم سلمة ونحن ندعو الشيعة اليوم إلىٰ الاقتداء بعلي والحسن والحسين وسائر الأئمة من آل البيت، فيسمون بعض أبنائهم وبناتهم بأسماء الخلفاء الراشدين، وأمهات المؤمنين(٤)، نرجو ذلك.

▪ على رضي الله عنه في عهد عثمان بن عفان:

أولًا: بيعة على لعثمان رضي الله عنه:

لم يكد يفرغ الناس من دفن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتىٰ أسرع رهط الشورىٰ وأعضاء مجلس الدولة الأعلىٰ إلىٰ الاجتماع في بيت عائشة أم

---

(١) الشيعة وأهل البيت: ص (١٣٣).
(٢) الشيعة وأهل البيت: ص (١٣٣).
(٣) الشيعة وأهل البيت: ص (١٣٥).
(٤) اذهبوا فأنتم الرافضة، عبد العزيز الزبير: ص (٢٣٠).

المؤمنين رضي الله عنها، وقيل أنهم اجتمعوا في بيت فاطمة بنت قيس الفهرية أخت الضحاك بن قيس، ليقضوا في أعظم قضية عرضت في حياة المسلمين - بعد وفاة عمر -، وقد تكلم القوم وبسطوا آراءهم واهتدوا بتوفيق الله إلىٰ كلمة سواء رضيها الخاصة والكافة من المسلمين[١]، وقد أشرف علىٰ تنفيذ عملية الشورىٰ واختيار الخليفة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وحقق رضي الله عنه أول مظهر من مظاهر الشورىٰ المنظمة في اختيار من يتحمل أعباء الخلافة ويسوس أمور المسلمين، فهو قد اصطنع من الأناة والصبر والحزم وحسن التدريب ما كفل له النجاح في أداء مهمته العظمىٰ[٢]، وقاد ركب الشورىٰ بمهارة وتجرد، مما يستحق أعظم التقدير، قال الذهبي: ومن أفضل أعمال عبد الرحمن عزل نفسه من الأمر وقت الشورىٰ، واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد، فنهض في ذلك أتم نهوض علىٰ جمع الأمة علىٰ عثمان، ولو كان محابيًا فيها لأخذها لنفسه، أو لولاها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص[٣]، وقد تم الاتفاق علىٰ بيعة عثمان بعد صلاة صبح يوم البيعة اليوم الأخير من شهر ذي الحجة ٢٣ هـ / ٦ نوفمبر ٦٤٤م، وكان صهيب الرومي الإمام إذ أقبل عبد الرحمن بن عوف، وقد اعتم بالعمامة التي عممه بها رسول الله ﷺ، وكان قد اجتمع رجال الشورىٰ عند المنبر، فأرسل إلىٰ من كان حاضرًا من المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد، منهم: معاوية أمير الشام، وعمير بن سعد أمير حمص، وعمرو بن العاص أمير مصر، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر وصاحبوه إلىٰ المدينة[٤]، وجاء في رواية البخاري: فلما صلىٰ الناس الصبح، واجتمع أولئك الرهط عند المنبر، فأرسل إلىٰ من كان حاضرًا من المهاجرين والأنصار،

---

(١) عثمان بن عفان، لصادق عرجون: ص (٦٣، ٦٢).

(٢) المصدر نفسه ص: (٧٠، ٧١).

(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٨٦).

(٤) شهيد الدار: ص (٣٧)

وأرسل إلىٰ أمراء الأجناد وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال: أما بعد، يا علىٰ إني قد نظرت في أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعل علىٰ نفسك سبيلًا فقال: أبايعك علىٰ سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده، فبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون(١)، وجاء في رواية صاحب التمهيد والبيان أن علي بن أبي طالب أول من بايع بعد عبد الرحمن بن عوف(٢).

ثانيًا: المفاضلة بين عثمان وعلى رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا:

الذي عليه أهل السنة أن من قدم عليًا علىٰ أبي بكر وعمر فإنه ضال مبتدع، ومن قدم عليًا علىٰ عثمان فإنه مخطئ ولا يضللونه، ولا يبدعونه(٣)، وإن كان بعض أهل العلم قد تكلم بشدة علىٰ من قدم عليا علىٰ عثمان بأنه قال: من قدم عليًا علىٰ عثمان فقد زعم أن أصحاب رسول الله ﷺ خانوا الأمانة حيث اختاروا عثمان علىٰ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(٤)، وقد قال ابن تيمية: استقر أمر أهل السنة علىٰ تقديم عثمان، وأن كانت هذه المسألة – مسألة عثمان وعلىٰ – ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عن جمهور أهل السنة، لكن المسألة التي يضلل المخالف فيها هي مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علىٰ، ومن طعن في خلافة هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله(٥)، وذكر أقوال أهل العلم في مسألة تفضيل عليّ علىٰ عثمان: فقال: فيها روايتان: إحداهما، لا يسوغ ذلك، فمن فضل عليًا علىٰ عثمان خرج من السنة إلىٰ البدعة، لمخالفته لإجماع الصحابة، ولهذا قيل: من

(١) البخاري، ك الأحكام، رقم (٧٢٠٧).
(٢) التمهيد والبيان ص (٢٦).
(٣) مجموعة الفتاوىٰ (٣/ ١٠١، ١٠٢).
(٤) حقبة من التاريخ لعثمان الخميس: ص (٦٦).
(٥) مجموعة الفتاوىٰ (٣/ ١٠١، ١٠٢).

قدم عليًا علىٰ عثمان فقد أزرىٰ بالمهاجرين والأنصار، يروىٰ ذلك عن غير واحد، منهم أيوب السختياني وأحمد بن حنبل والدارقطني، الثانية: لا يبدع من قدم عليًا، لتقارب حال عثمان وعلىٰ[(١)].

ثالثًا: علي رضي الله عنه يقيم الحدود ويستشار في شئون دولة عثمان رضي الله عنه:

١- إقامة علىٰ للحدود في عهد عثمان رضي الله عنهما: عن حصين بن المنذر، قال: شهدت عثمان بن عفان، وأتىٰ بالوليد فشهد عليه رجلان أحدهما حمران أنه شرب الخمر، وشهد آخر أنه لم يتقيأ، فقال عثمان: إنه لم يتقيأ حتىٰ شربها، فقال: يا علىٰ قم فاجلده فقال علىٰ: قم يا حسن فاجلده، فقال الحسن: ولِّ حارها من تولىٰ قارها[(٢)]، فكأنه وجد عليه، فقال: يا عبد الله بن جعفر قم فاجلده، فجلده وعلىٰ يعد، حتىٰ بلغ أربعين فقال: أمسك، ثم قال: جلد النبي ﷺ أربعين، وأبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكل سنة، وهذا أحب إليَّ[(٣)].

ويؤخذ من هذا الحديث أن عليًا رضي الله عنه كان قريبًا من عثمان ومعينًا له علىٰ طاعة الله، وكان علي رضي الله عنه يقول في معرض دفاعه عن عثمان ردًا علىٰ من يعيب علىٰ عثمان بفعل المنسوب للوليد: إنكم ما تعيرون به عثمان كالطاعن نفسه ليقتل ردءه[(٤)]، ما ذنب عثمان في رجل قد ضربه بفعله وعزله عن عمله، وما ذنب عثمان فيما صنع عن أمرنا[(٥)].

٢- استشارة عثمان لعلي وكبار الصحابة في فتح إفريقية: جاء في رياض النفوس أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان جاءه من واليه علىٰ مصر «عبد الله بن

---

(١) المصدر السابق (٤/ ٢٦٧).
(٢) أي: ولِّ بشدتها وأوساخها من ولي هنيئها ولذاتها.
(٣) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم ك الحدود (١١/ ٢١٦).
(٤) الردء هو العون.
(٥) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (١/ ٤٢١).

سعد» أن المسلمين يغيرون علىٰ أطراف إفريقية فيصيبون من عدوهم، وأنهم قريبون من حوز المسلمين، فأعرب عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- علىٰ إثر ذلك- للمسور بن مخرمة عن رغبته في بعث الجيوش لغزو إفريقية، جاء في هذا الصدد ما نصه: فما رأيك يا ابن مخرمة؟ قلت: اغزهم، قال: أجمع اليوم الأكابر من أصحاب رسول الله، وأستشيرهم، فما أجمعوا عليه فعلته، أو ما أجمع عليه أكثرهم فعلته.. رأيت عليًا، وطلحة والزبير والعباس، وذكر رجالًا، فخلا بكل واحد منهم في المسجد، ثم دعا أبا الأعور «سعيد بن زيد» فقال له عثمان: لم كرهت - يا أبا الأعور - من بعثة الجيوش إلىٰ إفريقية؟ فقال له: سمعت «عمر» يقول: لا أغزيها أحدًا من المسلمين ما حملت عيناي الماء فلا أرىٰ لك خلاف عمر، فقال له عثمان: والله ما نخافهم وإنهم لراضون أن يقروا في مواضعهم، فلا يغزون، فلم يختلف عليه أحد ممن شاوره غيره، ثم خطب الناس، وندبهم إلىٰ الغزو، إلىٰ إفريقية، فخرج بعض الصحابة منهم عبد الله بن الزبير، وأبو ذر الغفاري(١).

٣- رأي علي في جمع عثمان الناس علىٰ قراءة واحدة: جمع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المهاجرين والأنصار وشاورهم في الأمر، وفيهم أعيان الصحابة وفي طليعتهم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعرض عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذه المعضلة علىٰ صفوة الأمة وقادتها الهادين المهديين، ودارسهم أمرها ودارسوه، وناقشهم فيها وناقشوه، حتىٰ عرف رأيهم وعرفوا رأيه، وظهر الناس في أرجاء الأرض ما انعقد عليه إجماعهم، فلم يعرف قط يومئذ لهم مخالف، ولا عرف عند أحد نكير، وليس شأن القرآن الذي يخفي علىٰ آحاد الأمة فضلًا عن علمائها وأئمتها البارزين(٢) أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يبتدع في جمعه للمصحف، بل سبقه إلىٰ ذلك أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما

(١) رياض النفوس (١/ ٨ - ٩)

(٢) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص (١٧٥).

أنه لم يضع ذلك من قبل نفسه إنما فعله عن مشورة للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأعجبهم هذا الفعل وقالوا: نعم ما رأيت، وقالوا أيضًا: قد أحسن - أي في فعله في المصاحف[١]، وقد أدرك مصعب بن سعد صحابة النبي ﷺ حين مشق[٢] عثمان المصاحف فرآهم قد أعجبوا بهذا الفعل منه[٣]، وكان علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينهي من يعيب علىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بذلك ويقول: يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيرًا، فوالله ما فعل الذي فعل - أي في المصاحف - إلا عن ملأ منا جميعًا؛ أي الصحابة.. والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل[٤]، وجاء في رواية أخرىٰ عن علي قوله: لما اختلف الناس في القرآن وبلغ ذلك عثمان جمعنا أصحاب رسول الله واستشارنا في جمع الناس علىٰ قراءة، فأجمع رأينا مع رأيه علىٰ ذلك، وقال بعد ذلك: لو وليت الذي ولىٰ، لصنعت مثل الذي صنع[٥].

خامسًا: موقف على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في فتنة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

كانت هناك أسباب متنوعة ومتداخلة ساهمت في فتنة مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كالرخاء وأثره في المجتمع، وطبيعة التحول الاجتماعي، ومجيء عثمان بعد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وخروج كبار الصحابة من المدينة، والعصبية الجاهلية، وتآمر الحاقدين، والتدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد عثمان، واستخدام الوسائل والأساليب المهيجة للناس، وأثر السبئية في أحداث الفتنة.

لقد استخدم أعداء الإسلام في فتنة مقتل عثمان الأساليب والوسائل المهيجة للناس، من إشاعة الأراجيف حيث ترددت كلمة الإشاعة والإذاعة كثيرًا، والتحريض، والمناظرة والمجادلة للخليفة أمام الناس، والطعن علىٰ الولاة،

(١) فتنة مقتل عثمان (١/ ٧٨).
(٢) مشق: أحرق
(٣) التاريخ الصغير للبخاري (١/ ٩٤)
(٤) فتح الباري (٩/ ١٨).
(٥) فتح الباري (٩/ ١٨).

واستخدام تزوير الكتب واختلاقها علىٰ لسان الصحابة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، عائشة وعلىٰ وطلحة والزبير، والإشاعة بأن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأحق بالخلافة، وأنه الوصي بعد رسول الله ﷺ ، وتنظيم فرق في كل من البصرة والكوفة ومصر، أربع فرق من كل مصر مما يدل علىٰ التدبير المسبق، وأوهموا أهل المدينة أنهم ما جاءوا إلا بدعوة الصحابة، وصعدوا الأحداث حتىٰ وصلت إلىٰ القتل[(١)]، وإلىٰ جوار هذه الوسائل، استخدموا مجموعة من الشعارات منها، التكبير، ومنها أن هذا ضد المظالم، ومنها أنهم لا يقومون إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنها المطالبة باستبدال الولاة وعزلهم، ثم تطورت المطالبة إلىٰ خلع عثمان، إلىٰ أن تمادوا في جرأتهم وطالبوا بل سارعوا إلىٰ قتل الخليفة، وخاصة حينما وصلهم الخبر بأن أهل الأمصار قادمون لنصرة الخليفة، فزادهم حماسهم المحموم لتضيق الخناق علىٰ الخليفة، والتشوق إلىٰ قتله بأي وسيلة[(٢)].

كان التنظيم السبئي بقيادة عبد الله بن سبأ اليهودي خلف تلكم الأحداث والتي بعدها، وسيأتي الحديث عنه بإذن الله، وعن عثمان الذي هز مقتله العالم الإسلامي وأثر في كثير من الأحداث إلىٰ يومنا هذا.

١- موقف علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بداية الفتنة: استمر علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في طريقته المعهوده مع الخلفاء، وهي السمع والطاعة والإدلاء بالمشورة والنصح، وقد عبر بنفسه عن مدىٰ طاعته للخليفة عثمان والتزام أمره ولو كان شاقًا بقوله: لو سيرني عثمان إلىٰ صرار لسمعت وأطعت[(٣)]، وعندما نزل المتمردون في ذىٰ المروة قبل مقتل عثمان بما يقارب شهرًا ونصفًا، أرسل إليهم عثمان عليًا ورجلا آخر لم تسمه الروايات والتقىٰ بهم علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال لهم: تعطون كتاب الله، وتعتبون

(١) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص (٤١٠).
(٢) المصدر نفسه، ص (٤٠٢).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٢٥).

من كل ما سخطتم، فوافقوا علىٰ ذلك[(١)]، وفي رواية أنهم شادوه مرتين أو ثلاثًا، ثم قالوا: ابن عم رسول الله ﷺ، ورسول أمير المؤمنين يعرض عليكم كتاب الله فقبلوا[(٢)]، فاصطلحوا علىٰ خمس: علىٰ أن المنفي يقلب، والمحروم يعطىٰ، ويوفر الفيء، ويعدل في القسم، ويستعمل ذو الأمانة والقوة، وكتبوا ذلك في كتاب، أن يرد ابن عامر علىٰ البصرة، وأن يبقىٰ أبو موسىٰ علىٰ الكوفة[(٣)]، وهكذا اصطلح عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع كل وفد علىٰ حدة ثم انصرفت الوفود إلىٰ ديارها[(٤)]، وبعد هذا الصلح وعودة أهل الأمصار جميعًا راضين تبين لمشعلي الفتنة أن خطتهم قد فشلت، وأن أهدافهم الدنيئة لم تتحقق، لذا خططوا تخطيطًا آخر- يذكي الفتنة ويحييها- يقتضي تدمير ما جرىٰ من صلح بين أهل الأمصار، وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبرز ذلك فيما يأتي:

في أثناء طريق عودة أهل مصر، رأوا راكبًا علىٰ جمل يتعرض لهم، ويفارقهم فكأنه يقول: خذوني، فقبضوا عليه، وقالوا له: مالك؟ فقال: أنا رسول أمير المؤمنين إلىٰ عامله بمصر، ففتشوه فإذا هم بكتاب علىٰ لسان عثمان، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ففتحوا الكتاب فإذا فيه أمر بصلبهم أو قتلهم أو تقطيع أيديهم وأرجلهم، فرجعوا إلىٰ المدينة حتىٰ وصلوها[(٥)]، ونفي عثمان، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن يكون كتب هذا الكتاب، وقال لهم: إنهما اثنتان: أن تقيموا رجلين من المسلمين أو يمين بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمللت، ولا علمت، وقد يكتب الكتاب علىٰ لسان الرجل وينقش الخاتم، فلم يصدقوه[(٦)]، وهو الصادق البار لغاية في

---

(١) تاريخ خليفة، ص (١٦٩).
(٢) فتنة مقتل عثمان (١/ ١٢٩).
(٣) المصدر نفسه (١/ ١٢٩).
(٤) المصدر نفسه (١/ ٣٢٩).
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٣٧٩).
(٦) البداية والنهاية (٧/ ١٩١).

نفوسهم، وهذا الكتاب الذي زعم هؤلاء المتمردون البغاة المنحرفون أنه من عثمان وعليه خاتمه يحمله غلامه علىٰ واحد من إبل الصدقة إلىٰ عامله بمصر ابن أبي سرح، يأمر فيه بقتل هؤلاء الخارجين هو كتاب مزور مكذوب علىٰ لسان عثمان وذلك لعدة أمور منها[١]:

كيف علم العراقيون بالأمر وقد اتجهوا إلىٰ بلادهم، وفصلتهم عن المصريين - الذين أمسكوا بالكتاب المزعوم- مسافة شاسعة، فالعراقيون في الشرق والمصريون في الغرب، ومع ذلك عادوا جميعًا في آن واحد، كأنما كانوا علىٰ ميعاد؟ لا يعقل هذا إلا إذا كان الذين زوروا الكتاب واستأجروا راكبًا ليحمله ويمثل الدور في البويب أمام المصريين، قد استأجروا راكبًا آخر انطلق إلىٰ العراقيين ليخبرهم بأن المصريين قد اكتشفوا كتابًا بعث فيه عثمان لقتل المنحرفين المصريين، وهذا ما احتج به علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد قال: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقىٰ أهل مصر، وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا، بل إن عليًا يجزم: هذا والله أمر أبرم بالمدينة[٢].

إن هذا الكتاب المشئوم ليس أول كتاب يزوره هؤلاء المجرمون، بل زوروا كتبًا علىٰ لسان أمهات المؤمنين، وكذلك علىٰ لسان علىٰ وطلحة والزبير، فهذه عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تُتهم بأنها كتبت إلىٰ الناس تأمرهم بالخروج علىٰ عثمان فتنفي وتقول: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتىٰ جلست مجلسىٰ هذا[٣]، ويعقب الأعمش فيقول: فكانوا يرون أنه كتب علىٰ لسانها[٤]، ويتهم الوافدون عليًا بأنه كتب إليهم أن يقدموا

---

(١) تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان للصلابي، ص (٤١٠).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٣٥٩).
(٣) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٤).
(٤) تاريخ خليفة بن خياط، ص (١٦٩).

عليه بالمدينة، فينكر ذلك عليهم ويقسم: والله ما كتبت إليكم كتابا[١]، كما ينسب إلىٰ الصحابة بكتابة الكتب إلىٰ أهل الأمصار يأمرونهم بالقدوم إليهم، فدين محمد قد فسد وترك، والجهاد في المدينة خير من الرباط في الثغور البعيدة[٢]، ويعلق ابن كثير علىٰ هذا الخبر قائلًا: وهذا كذب علىٰ الصحابة، وإنما كتبت كتب مزورة عليهم، فقد كتب من جهة علىٰ وطلحة والزبير إلىٰ الخوارج- قتلة عثمان- كتب مزورة عليهم أنكروها، وكذلك زور هذا الكتاب علىٰ عثمان أيضا، فإنه لم يأمر به، ولم يعلم به[٣]، ويؤكد كلام ابن كثير ما رواه الطبري وخليفة من استنكار كبار الصحابة- علىٰ وعائشة والزبير- أنفسهم لهذه الكتب في أصح الروايات[٤].

إن الأيدىٰ المجرمة التي زورت الرسائل الكاذبة علىٰ لسان أولئك الصحابة هي نفسها التي أوقدت نار الفتن من أولها إلىٰ آخرها، ورتبت ذلك الفساد العريض، وهي التي زورت وروجت علىٰ عثمان تلك الأباطيل، وأنه فعل وفعل، ولقنتها للناس، حتىٰ قبلها الرعاع، ثم زورت علىٰ لسان عثمان ذلك الكتاب، ليذهب عثمان ضحية إلىٰ ربه شهيدًا سعيدًا، ولم يكن عثمان الشهيد هو المجني عليه وحده في هذه المؤامرة السبئية اليهودية، بل الإسلام نفسه كان مجنيًا عليه قبل ذلك، ثم التاريخ المشوه المحرف، والأجيال الإسلامية التي تلقت تاريخها مشوهًا هي كذلك ممن جنىٰ عليهم الخبيث اليهودي، وأعوانه من أصحاب المطامع والشهوات والحقد الدفين، أما آن للأجيال الإسلامية أن تعرف تاريخها الحق، وسير رجالاتها العظام؟ بل ألم يأن لمن يكتب في هذا

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٩١).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٧٥).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ١٧٥).

(٤) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٥).

العصر من المسلمين أن يخاف الله ولا يتجرأ علىٰ تجريح الأبرياء قبل أن يحقق ويدقق حتىٰ لا يسقط كما سقط غيره[(١)].

٢- موقف علىٰ رضي الله عنه أثناء الحصار: اشتد الحصار علىٰ عثمان رضي الله عنه، حتىٰ منع من أن يحضر للصلاة في المسجد، وكان صابرًا علىٰ هذه البلوىٰ التي أصابته كما أمره رسول الله ﷺ بذلك، وكان مع إيمانه القوىٰ بالقضاء والقدر، يحاول أن يجد حلًا لهذه المصيبة، فنراه تارة يخطب الناس عن حرمة دم المسلم، وأنه لا يحل سفكه إلا بحقه، وتارة يتحدث في الناس ويظهر فضائله وخدماته الجليلة في الإسلام، ويستشهد علىٰ ذلك ببقية العشرة رضوان الله عليهم،[(٢)] وكأنه يقول: من هذا عمله وفضله هل من الممكن أن يطمع بالدنيا ويقدمها علىٰ الآخرة؟ وهل يعقل أن يخون الأمانة ويعبث بأموال الأمة ودمائها وهو يعرف عاقبة ذلك عند الله وهو الذي تربىٰ علىٰ عين النبي ﷺ والذي شهد له وزكاه وكذلك أفاضل الصحابة، أهكذا تكون معاملته؟!.

واشتدت سيطرة الثوار علىٰ المدينة حتىٰ أنهم ليصلون بالناس في أغلب الأوقات[(٣)]، وحينما أدرك الصحابة أن الأمر ليس كما حسبوا، وخشوا من حدوث ما لا يحمد عقباه، وقد بلغهم أن القوم يريدون قتله، فعرضوا عليه أن يدافعوا عنه، ويخرجوا الغوغاء عن المدينة، إلا أنه رفض أن يراق دم بسببه[(٤)]، وأرسل كبار الصحابة أبناءهم دون استشارة عثمان، رضي الله عنه، ومن هؤلاء الحسن ابن علىٰ رضي الله عنهما، وعبد الله بن الزبير حيث تذكر بعض الروايات أن الحسن حُمل جريحًا من الدار[(٥)]، كما جرح غير الحسن، عبد الله بن الزبير، ومحمد بن

---

(١) عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر، ص (٢٢٨، ٢٢٩).
(٢) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علىٰ، ص (٨٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥١٥).
(٤) المسند (١/ ٣٩٦)
(٥) الطبقات لابن سعد (٨/ ١٢٨).

حاطب، ومروان بن الحكم، كما كان معهم الحسين بن علىٰ وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[١]، وقد كان علىٰ من أدفع الناس عن عثمان، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وشهد له بذلك مروان بن الحكم، أقرب الناس إلىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وألصقهم به في تلك المحنة القاسية الأليمة، وقد أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن عليًا أرسل إلىٰ عثمان فقال: إن معي خمسمائة دارع، فأذن لي، فأمنعك من القوم، فإنك لم تحدث شيئًا يستحل به دمك، فقال: جزيت خيرًا، ما أحب أن يهراق دم في سببي، وقد وردت روايات عديدة تفيد وقوفه بجانب عثمان، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أثناء الحصار، فمن ذلك: أن الثائرين منعوا عن عثمان الماء حتىٰ كاد أهله أن يموتوا عطشًا، فأرسل علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إليه بثلاث قرب مملوءة ماء، فما كادت تصل إليه، وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبنىٰ أمية حتىٰ وصلت[٢]، ولقد تسارعت الأحداث فوثب الغوغاء علىٰ عثمان وقتلوه، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأرضاه، ووصل الخبر إلىٰ الصحابة وأكثرهم في المسجد، فذهبت عقولهم، وقال علىٰ لأبنائه وأبناء إخوانه: كيف قتل عثمان وأنتم علىٰ الباب؟ ولطم الحسن، وكان قد جرح[٣] وضرب صدر الحسين، وشتم ابن الزبير وابن طلحة، وخرج غضبان إلىٰ منزله ويقول: تبًا لكم سائر الدهر، اللهم إني أبرأ إليك من دمه أن أكون قتلت أو مالأت علىٰ قتله[٤]، وهكذا كان موقف علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، نصحًا وشورىٰ، سمعًا وطاعة، وقفة قوية بجانبه أثناء الفتنة، ومن أدفع الناس عنه، ولم يذكره بسوء قط، يحاول الإصلاح وسد الخرق بين الخليفة والخارجين عليه، لكن الأمر فوق طاقته، وخارج إرادته، إنها إرادة الله عَزَّ وَجَلَّ أن يفوز أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالشهادة[٥].

---

(١) تاريخ خليفة، ص (١٧٤).

(٢) أنساب الأشراف للبلاذرى (٥/ ٦٧).

(٣) ابن أبي عاصم، الآحاد والثماني (١/ ١٢٥)

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٠٩)

(٥) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علىٰ ص (٨٧).

٣- المصاهرات بين آل علىٰ وآل عثمان رضي الله عنه: لم يكن بين بني هاشم وبني أمية من المباغضة والعداوة والمنافرة التي اخترعها وابتكرها أعداء الإسلام والمسلمين ونسجوا الأساطير والقصص حولها، ولقد اتضح لكل منصف أن بني أمية مع بني هاشم علاقتهم فيما بينهم علاقة أبناء العمومة والإخوان والخلان، فهم من أقرب الناس فيما بينهم، يتبادلون الحب والتقدير والاحترام، ويتقاسمون الهموم والآلام والأحزان، فبنوا أمية وبنو هاشم كلهم أبناء أب واحد، وأحفاد جد واحد، وأغصان شجرة واحدة قبل الإسلام وبعد الإسلام، وكلهم استقوا من عين واحدة ومنبع صاف واحد، وأخذوا الثمار من دين الله الحنيف الذي جاء به رسول الله الصادق الأمين، المعلم، المربي، خاتم الأنبياء والمرسلين، ولقد كان بين أبي سفيان وبين العباس صداقة يضرب بها الأمثال[(١)]، كما كانت بينهم المصاهرات قبل الإسلام وبعده، فلقد زوج رسول الله ه بناته الثلاث من الأربعة من بنىٰ أمية؛ من أبي العاص بن الربيع وهو من بنىٰ أمية، ومن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، وهو مع ذلك ابن بنت عمة رسول الله ه التي ولدت مع والد رسول الله عليه الصلاة والسلام عبد الله بن عبد المطلب توءمين أروىٰ بنت كريز بن حبيب بن عبد شمس وهي أم عثمان وأمها أم حكيم وهي البيضاء بنت عبد المطلب عمة النبي ه ، هذا ولقد تزوج بعد عثمان بن عفان رضي الله عنه، من بنىٰ هاشم ابنه أبان بن عثمان، وكانت عنده أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر (الطيار) بن أبي طالب شقيق علىٰ رضي الله عنهما[(٢)]، وحفيدة علىٰ، وبنت الحسين سكينة كانت متزوجة من حفيد عثمان زيد بن عمرو بن عثمان، رضي الله عنهم أجمعين، وحفيدة علىٰ الثانية وابنة الحسين فاطمة كانت متزوجة من حفيد عثمان الآخر، محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان،

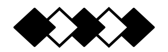
---

(١) الشيعة وأهل البيت ص (١٤١).

(٢) المعارف للدينورى، ص (٨٦).

وكانت أم حبيبة بنت أبي سفيان سيد بني أمية متزوجة من سيد بني هاشم وسيد ولد آدم رسول الله الصادق الأمين كما هو معروف، كما أن هند بنت أبي سفيان كانت متزوجة من الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم فولدت له ابنه محمدًا(١).

وتزوجت لبابة بنت عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب، العباس بن علي ابن أبي طالب، ثم خلف عليها الوليد بن عتبة (ابن أخي معاوية) ابن أبي سفيان(٢)، وتزوجت رملة بنت محمد بن جعفر- الطيار - بن أبي طالب سليمان ابن هشام بن عبد الملك (الأموي) ثم أبا القاسم بن وليد بن عتبة بن أبي سفيان(٣)، كذلك تزوجت ابنة علي بن أبي طالب رملة من ابن مروان بن الحكم(٤) بن أبي العاص بن أمية، فقد كانت رملة بنت علىٰ عند أبي الهياج.. ثم خلف عليها معاوية بن مروان بن الحكم بن أبي العاص(٥)، وتزوجت حفيدة علي بن أبي طالب من حفيد مروان بن الحكم، فنفيسة بنت زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب تزوجها الوليد بن عبد الملك بن مروان فتوفيت عنده، وأمها لبابة بنت عبد الله بن عباس(٦)، وقد اكتفيت ببيان بعض منها، وفيها كفاية لمن أراد الحق والتبصر(٧).



(١) طبقات ابن سعد (٥/ ١٥)، الإصابة (٣/ ٥٨، ٥٩).
(٢) نسب قريش، ص (١٢٣)، الشيعة وأهل البيت، ص (١٤٣).
(٣) الشيعة وأهل البيت، ص (١٤٣).
(٤) السابق.
(٥) جمهرة أنساب العرب ص (٨٧)، نسب قريش، ص (٤٥).
(٦) طبقات ابن سعد (٥/ ٢٣٤).
(٧) الشيعة وأهل البيت، ص (١٤٤).

$ +

بيـعـة علـي ﵁

أولًا: كيف تمت بيعة علي ﵁:

تمت بيعة علىٰ ﵁ بالخلافة بطريقة الاختيار وذلك بعد أن استشهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان، ﵁، علىٰ أيدي الخارجين المارقين الشذاذ الذين جاءوا من الآفاق، ومن أمصار مختلفة، وقبائل متباينة لا سابقة لهم، ولا أثر خير في الدنيا، فبعد أن قتلوه ﵁ ظلمًا وزورًا وعدوانًا، يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين[١]. قام كل من بقىٰ بالمدينة من أصحاب رسول الله ه بمبايعة علىٰ ﵁ بالخلافة، وذلك لأنه لم يكن أحد أفضل منه علىٰ الإطلاق في ذلك الوقت، فلم يدع الإمامة لنفسه أحد بعد عثمان، ﵁، ولم يكن أبو السبطين، ﵁، حريصًا عليها، ولذلك لم يقبلها إلا بعد إلحاح شديد ممن بقىٰ من الصحابة بالمدينة، وخوفًا من ازدياد الفتن وانشارها، ومع ذلك لم يسلم من نقد بعض الجهال إثر تلك الفتن كموقعة الجمل وصفين التي أوقد نارها وأنشبها الحاقدون علىٰ الإسلام كابن سبأ وأتباعه الذين استخفهم فأطاعوه، لفسقهم ولزيغ قلوبهم عن الحق والهدىٰ، وقد روىٰ الكيفية التي تم بها اختيار علي ﵁ للخلافة بعض أهل العلم[٢]، فقد روىٰ أبو بكر الخلال بإسناده إلىٰ محمد ابن الحنفية قال: كنت مع علىٰ ﵀ وعثمان محصر قال: فأتاه رجل فقال: إن أمير المؤمنين مقتول الساعة، قال:

(١) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣١).

(٢) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (٢/ ٦٧٧).

فقام علىٰ رحمه الله، قال محمد: فأخذت بوسطه تخوفًا عليه فقال: خلَّ لا أم لك، قال: فأتىٰ علىٰ الدار، وقد قتل الرجل رحمه الله، فأتىٰ داره فدخلها فأغلق بابه، فأتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا عليه فقالوا: إن هذا قد قتل، ولابد للناس من خليفة ولا نعلم أحدًا أحق بها منك، فقال لهم علي: لا تريدوني فإني لكم وزيرًا خير مني لكم أميرًا، فقالوا: لا والله لا نعلم أحدًا أحق بها منك، قال: فإن أبيتم عليَّ فإن بيعتي لا تكون سرًا، ولكن أخرج إلىٰ المسجد، فبايعه الناس[(١)]، وفي رواية أخرىٰ عن سالم ابن أبي الجعد عن محمد بن الحنفية: فأتاه أصحاب رسول الله فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل ولابد للناس من إمام ولا نجد أحدًا أحق بها منك أقدم مشاهد، ولا أقرب من رسول الله ﷺ فقال علىٰ: لا تفعلوا فإني لكم وزيرًا خير مني أميرًا، فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتىٰ نبايعك، قال: ففي المسجد فإنه ينبغي لبيعتي ألا تكون خفيا ولا تكون إلا عن رضا المسلمين، قال: فقال سالم بن أبي الجعد: فقال عبد الله بن عباس: فلقد كرهت أن يأتي المسجد كراهية أن يشغب عليه، وأبىٰ هو إلا المسجد، فلما دخل المسجد جاء المهاجرون والأنصار فبايعوا وبايع الناس[(٢)].

ومن هذه الآثار الصحيحة بعض الدروس والعبر والفوائد منها:

١- نصرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه لعثمان رضي الله عنه ودفاعه عنه، وهذا متواتر عن علىٰ رضي الله عنه، بل كان أكثر الناس دفاعًا عن عثمان، رضي الله عنه، جاء ذلك بأسانيد كثيرة، وشهد بذلك مروان بن الحكم حيث قال: ما كان في القوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم يعني عليًا عن عثمان[(٣)].

---

(١) كتاب السنة لأبي بكر الخلال، ص (٤٢٥).

(٢) الخلال في السنة، ص (٤١٦)

(٣) بيعة علي بن أبي طالب مالك الخالدىٰ، ص (٢)

٢- زهد علىٰ رضي الله عنه في الخلافة وعدم طلبه لها أو طمعه فيها، واعتزاله في بيته حتىٰ جاءه الصحابة يطلبون البيعة.

٣- إجماع الصحابة من المهاجرين والأنصار والناس عامة في المدينة علىٰ بيعته، ويدخل في هؤلاء أهل الحل والعقد، وهم الذين قصدوا عليًا وطلبوا منه أن يوافق علىٰ البيعة، وألحوا عليه حتىٰ قبلها، وليس للغوغاء وقتلة عثمان كما في بعض الروايات الضعيفة والموضوعة.

٤- إن عليًا كان أحق الناس بالخلافة يومئذ، ويدل علىٰ ذلك قصد الصحابة له، وإلحاحهم عليه، ليقبل البيعة، وتصريحهم بأنهم لا يعلمون أحق منه بالخلافة يومئذ.

٥- أهمية الخلافة، ولذلك رأينا أن الصحابة أسرعوا في تولية علىٰ، وكان يقول: لولا الخشية علىٰ دين الله لم أجبهم[(١)].

٦- إن الشبهة التي أدخلوها علىٰ بيعة علىٰ، كون الخوارج الذين حاصروا عثمان، وشارك بعضهم في قتله، كانوا في المدينة، وأنهم أول من بدءوا بالبيعة وأن طلحة والزبير بايعا مكرهين، وهذه أقاويل المؤرخين، لا تقوم علىٰ أساس وليس لها سند صحيح، والصحيح أنه لم يجد الناس بعد أبي بكر وعمر وعثمان كالرابع قدرًا وعلما وتقىٰ ودينًا، وسبقًا وجهادًا، فعزم عليه المهاجرون والأنصار، ورأي ذلك فرضًا عليه، فانقاد إليه، ولولا الإسراع بعقد البيعة لعلي، لأدىٰ ذلك إلىٰ فتن واختلافات في جميع الأقطار الإسلامية، فكان من مصلحة المسلمين أن يقبل علىٰ البيعة مهما كانت الظروف المحيطة بها، ولم يتخلف عن علىٰ أحد من الصحابة الذين كانوا بالمدينة، وقد خلط الناس بين تخلف الصحابة عن المسير معه إلىٰ البصرة وبين البيعة؛ أما البيعة فلم يتخلف أحد عنها، وأما

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٧٥).

المسير معه فتخلفوا عنه لأنها كانت مسألة اجتهادية[١]، كما أن عليًا لم يلزمهم بالخروج معه كما سيأتي التفصيل بإذن الله عند حديثنا عن موقعة الجمل.

٧- لابد من الحذر من مبالغات الإخباريين التي تزعم أن المدينة بقيت خمسة أيام بعد مقتل عثمان وأميرها الغافقىٰ بن حرب وظل أهلها يلتمسون من يجيبهم إلىٰ القيام بالأمر فلا يجدونه[٢]، وتزعم أن الغوغاء من مصر عرضت الأمر علىٰ عليّ فرفضه، وأن خوارج الكوفة عرضوا الخلافة علىٰ الزبير، فلا يجدونه، ومن جاء من البصرة عرضوا علىٰ طلحة البيعة، فهذا لا يثبت أمام الروايات الصحيحة، ولا يصح إسناده، كما أن المعروف تمكن الصحابة من المدينة وقدرتهم علىٰ القضاء علىٰ الغوغاء لولا طلب عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بالكف عن استخدام القوة ضدهم. وقد فصلت ذلك في كتابي تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان، والصحيح أن بيعة علىٰ كانت عن طواعية واختيار من المسلمين وليس لأهل الفتنة دور في مبايعة علىٰ، وإنما كل من كان من الصحابة في المدينة[٣] هم الذين اختاروا أمير المؤمنين عليًا.

ثانيًا: أحقية علي بالخلافة:

إن أحق الناس بالخلافة بعد أبي بكر وعمر وعثمان، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هو علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة، وهذا ما يجب علىٰ المسلم اعتقاده والديانة لله به في شأن ترتيب الخلافة الراشدة، وقد ورد الإيماء إلىٰ أحقية خلافة علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كثير من النصوص الشرعية منها:

١- قال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم

(١) المدينة النبوية، محمد شراب (٢/ ٣١١).
(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٤٣٢).
(٣) استشهاد عثمان ص (٢٤٠).

مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا﴾ [النور:٥٥]، ووجه الاستدلال بها علىٰ حقيقة خلافة علي رضي الله عنه أنه أحد المستخلفين في الأرض الذين مكن الله لهم دينهم.

٢- قوله ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**»[(١)] ووجه الدلالة في هذا الحديث علىٰ أحقية خلافة علي رضي الله عنه أنه أحد الخلفاء الراشدين المهديين الذين أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وحافظوا علىٰ حدود الله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وساروا بسيرة رسول الله ﷺ في العدل وإقامة الحق.

٣- قوله ﷺ: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك من يشاء**»[(٢)]، وفي هذا الحديث إشارة إلىٰ أحقية علىٰ رضي الله عنه حيث إن خلافته كانت آخر الثلاثين من مدة خلافة النبوة التي حددها النبي ﷺ في هذا الحديث وبموجب هذا قال أهل العلم[(٣)]، قال أحمد بن حنبل: حديث سفينة في الخلافة صحيح، إليه أذهب في الخلفاء[(٤)]، وقال عبد الله بن أحمد: قلت لأبي: إن قومًا يقولون إنه ليس بخليفة، قال: هذا قول سوء رديء فقال: أصحاب رسول الله كانوا يقولون له: يا أمير المؤمنين أفنكذبهم؟ وقد حج وقطع ورجم فيكون هذا إلا خليفة؟[(٥)].

٤- عن عكرمة قال لي ابن عباس ولابنه علىٰ: انطلقا إلىٰ أبي سعيد فاسمعا من حديثه، فانطلقنا فإذا هو في حائط يصلحه، فأخذ رداءه فاحتبىٰ، ثم أنشأ يحدثنا حتىٰ أتىٰ علىٰ ذكر بناء المسجد فقال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين، فرأي النبي ﷺ ينفض التراب عنه ويقول: ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم

(١) سنن أبي داود (٤/ ٢٠١)، الترمذي (٥/ ٤٤) حسن صحيح.
(٢) صحيح ابن حبان رقم (٦٦٥٧).
(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة (٢/ ٦٨٦).
(٤) السنة لعبد الله بن حنبل، ص (٢٣٥).
(٥) السنة لعبد الله بن حنبل، ص (٢٣٥)، عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٦٨٦).

إلىٰ الجنة ويدعونه إلىٰ النار، قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن[(١)]، وفي رواية مسلم عن أبي سعيد قال لعمار حين جعل يحفر الخندق وجعل يمسح رأسه ويقول: بؤسىٰ ابن سمية تقتلك فئة باغية[(٢)]. قال ابن تيمية بعد ذكره لقوله ﷺ: «**تقتل عمار الفئة الباغية**»[(٣)]: وهذا يدل علىٰ صحة إمامة علىٰ ووجوب طاعته وأن الداعي إلىٰ طاعته داع إلىٰ الجنة والداعي إلىٰ مقاتلته داع إلىٰ النار وإن كان متأولًا، أو باغ بلا تأويل، وهو أصح القولين لأصحابنا وهو الحكم بتخطئة من قاتل عليًا، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا علىٰ ذلك قتال البغاة المتأولين قال، وعندما أنكر يحيىٰ بن معين علىٰ الشافعي استدلاله بسيرة علىٰ في قتال البغاة المتأولين قال: أيجعل طلحة والزبير معًا بغاة؟ رد عليه الإمام أحمد فقال: ويحك وأي شيء يسعه أن يصنع في هذا المقام يعني: إن لم يقتد بسيرة علىٰ في ذلك لم يكن معه سنة من الخلفاء الراشدين في قتال البغاة - إلىٰ أن قال - ولم يتردد أحمد ولا أحد من أئمة السنة في ذلك[(٤)].

فلو قال قائل: إن قتل عمار كان بصفين، وهو مع علىٰ، والذين قتلوه مع معاوية، وكان معه جماعة من الصحابة فكيف يجوز عليهم الدعاء إلىٰ النار، فالجواب أنهم كانوا ظانين أنهم يدعون إلىٰ الجنة وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم، فالمراد بالدعاء إلىٰ الجنة الدعاء إلىٰ سببها وهو طاعة الإمام، وكذلك كان عمار يدعوهم إلىٰ طاعة علىٰ، وهو الإمام الواجب الطاعة إذ ذاك، وكانوا هم يدعون إلىٰ خلاف ذلك لكونهم معذورين للتأويل الذي ظهر لهم[(٥)]

---

(١) البخاري رقم (٤٤٧).

(٢) مسلم رقم (٢٢٣٥).

(٣) مسلم رقم (٢٢٣٥).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٤٣٧، ٤٣٨).

(٥) فتح الباریٰ (١/ ٥٤٢).

قال النووىٰ بعد قوله ﷺ : بؤسىٰ ابن سمية تقتلك فئة باغية[١]، قال العلماء: هذا الحديث حجة ظاهرة في أن عليًا رضي الله عنه كان محقًا مصيبًا، والطائفة الأخرىٰ بغاة، لكنهم مجتهدون، فلا إثم عليهم لذلك.. وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ من أوجه: منها: أن عمارًا يموت قتيلا، وأنه يقتله مسلمون، وأنهم بغاة، وأن الصحابة يقاتلون وأنهم يكونون فرقتين باغية وغيرها، وكل هذا وقع مثل فلق الصبح، صلىٰ الله وسلم علىٰ رسوله الذي لا ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يوحىٰ[٢].

٥- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أوْلىٰ الطائفتين بالحق**» وفيه أيضًا: أنه قال: «**تكون في أمتي فرقتان فتخرج من بينهما مارقة يلي قتلهم أولاهم بالحق**»، وجاء بلفظ: قال: «**تمرق مارقة في فرقة من الناس فيلي قتلهم أولىٰ الطائفتين بالحق**». وجاء بلفظ: «**يخرجون علىٰ فرقة مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق**»[٣]، فقوله ﷺ : «**علىٰ حين فرقة**» - بضم الفاء - أي: في وقت افتراق الناس أي: افتراق يقع بين المسلمين، وهو الافتراق الذي كان بين علىٰ ومعاوية رضي الله عنهما[٤]، والمراد بالفرقة المارقة هم أهل النهروان كانوا في معسكر عليّ رضي الله عنه في حرب صفين، فلما اتفق علىٰ ومعاوية علىٰ تحكيم الحكمين خرجوا وقالوا: إن عليًا ومعاوية استبقا إلىٰ الكفر كفرسىٰ رهان، فكفر معاوية بقتال علىٰ ثم كفر علىٰ بتحكيم الحكمين، وكفروا طلحة والزبير، فقتلتهم الطائفة الذين كانوا مع علىٰ، وقد شهد النبي ﷺ أن الطائفة التي تقاتلهم أقرب إلىٰ الحق، وهذه شهادة من النبي

---

(١) مسلم رقم (٢٢٣٥).

(٢) شرح النووىٰ علىٰ صحيح مسلم (١٨/ ٤٠، ٤١).

(٣) صحيح مسلم (٢/ ٧٤٥، ٧٤٦).

(٤) شرح النووىٰ علىٰ صحيح مسلم (٧/ ١٦٦).

ﷺ لعلي وأصحابه بالحق، وهذا من معجزات النبي ﷺ لكونه أخبر بما يكون، فكان علىٰ ما قال، وفيه دلالة واضحة علىٰ صحة خلافة عليّ رضي الله عنه وخطأ من خالفه[(١)].

ثالثًا: بيعة طلحة والزبير رضي الله عنهما:

عن أبي بشير العابدي قال: كنت بالمدينة حين قتل عثمان رضي الله عنه، واجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير فأتوا عليًا، فقالوا: يا أبا الحسن هلم نبايعك، فقال: لا حاجة لي في أمركم، أنا معكم، فمن اخترتم فقد رضيت به.. فاختاروا، فقالوا: والله ما نختار غيرك[(٢)].. إلخ الرواية وفيها تمام البيعة لعلي رضي الله عنه والروايات في هذا كثيرة ذكر بعضها ابن جرير في تاريخه[(٣)]، وهي دالة علىٰ مبايعة الصحابة رضي الله عنهم لعلي رضي الله عنه، واتفاقهم علىٰ بيعته بمن فيهم طلحة والزبير، كما جاء مصرحًا به في الرواية السابقة، وأما ما جاء في بعض الروايات من أن طلحة والزبير بايعا مكرهين، فهذا لا يثبت بنقل صحيح، والروايات الصحيحة علىٰ خلافه[(٤)]، فقد روىٰ الطبري عن عوف بن أبي جميلة قال: أما أنا فأشهد أني سمعت محمد بن سيرين يقول: إن عليًا جاء فقال لطلحة: ابسط يدك يا طلحة لأبايعك. فقال طلحة: أنت أحق، وأنت أمير المؤمنين، فابسط يدك، فبسط عليّ يده فبايعه[(٥)]، وعن عبد خير الخيوانىٰ أنه قام إلىٰ أبي موسىٰ فقال: يا أبا موسىٰ هل كان هذان الرجلان - يعني: طلحة والزبير - ممن بايع عليًا؟ قال: نعم[(٦)]، كما نص علىٰ بطلان ما يدعي من أنهما بايعا مكرهين، الإمام المحقق ابن

---

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة (٢/ ٦٨٣).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٤٤٩).
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٤٤٨ - ٤٥٠).
(٤) الانتصار للصحب والآل، ص (٢٣٦).
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٦) الانتصار للصحب والآل، ص (٢٣٦).
(٦) تاريخ الطبري (٥/ ٥١٧).

العربي وذكر أن هذا مما لا يليق بهما، ولا بعلي، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: فإن قيل بايعا مكرهين «أي: طلحة والزبير»، قلنا: حاشا الله أن يكرها، لهما ولمن بايعهما ولو كانا مكرهين ما أثر ذلك، لأن واحد واثنين تنعقد البيعة بهما وتتم، وهذا اجتهاد مرود، ومن بايع بعد ذلك فهو لازم له، وهو مكره علىٰ ذلك شرعًا، ولو لم يبايعا ما أثر ذلك فيهما، ولا في بيعة الإمام، وأما من قال: يد شلاء وأمر لا يتم، فذلك ظن من القائل أن طلحة أول من بايع ولم يكن كذلك، فإن قيل فقد قال طلحة: بايعت واللج علىٰ قفي! قلنا: اخترع هذا الحديث من أراد أن يجعل في (القفا) لغة (قفي)، كما يجعل في (الهوىٰ) (هوي) وتلك لغة هذيل لا قريش، فكانت كذبة لم تدبر، وأما قوله: (يد شلاء) لو صح فلا متعلق لهم فيه، فإن يدًا شلت في وقاية رسول الله ﷺ يتم لها كل أمر، ويتوقىٰ بها من كل مكروه، وقد تم الأمر علىٰ وجهه، ونفذ القدر بعد ذلك علىٰ حكمه[1].

إن الروايات التي تقول بأن طلحة والزبير أكرهوا علىٰ البيعة باطلة[2]، وهناك روايات صحيحة أشارت - كما ذكرت - إلىٰ بيعتهما لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، وهناك رواية صحيحة أوردها ابن حجر[3]، عن طريق الأحنف بن قيس وفيها أن عائشة وطلحة والزبير، رضوان الله عليهم، قد أمروا الأحنف بمبايعة علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعدما استشارهم فيمن يبايع بعد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[4].

إن سابقة علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفضله، والتزامه بأحكام الكتاب والسنة، وتمسكه الشديد بالعمل بهما، وتعهده في خطبه بتطبيق الأوامر والنواهي الشرعية، ما كان ليفتح لأحد باب الطعن في ولايته علىٰ المسلمين، ويمكن القول إن عليًا كان

---

(١) العواصم من القواصم ص (١٤٨، ١٤٩).
(٢) استشهاد عثمان ص (١٤١).
(٣) فتح الباري (١٣/ ٣٨).
(٤) استشهاد عثمان، ص (١٤١)، المصنف لابن أبي شيبة (١١/ ١١٨).

أقوىٰ المرشحين للإمامة بعد مقتل عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فالفاروق عينه في الستة الذين أشار بهم، وهو واحد منهم، علىٰ أن الأربعة من رجال الشورىٰ، وهم عبد الرحمن، وسعد، وطلحة والزبير بتنازلهم عن حقهم فيها له ولعثمان تركوا المجال مفتوحًا أمام الاثنين، فلم يبق إلا هو وعثمان، وهذا إجماع من أهل الشورىٰ علىٰ أنه لولا عثمان لكانت لعلي، وبعد موت عثمان، وقد قدمه ورجحه أهل دار الهجرة صار مستحقًا للخلافة، علىٰ أنه لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ الموجودين في ذلك الحين أحق بالخلافة منه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فهو من السابقين والمهاجرين الأولين، وابن عمّ رسول الله، وصهره، بالإضافة إلىٰ ذلك له من القدرة والكفاءة ما لا ينكر، وله من الشجاعة والإقدام والذكاء والعقلية القضائية النادرة، والحزم في المواقف، والصلابة في الحق، وبعد نظره في تصريف الأمور، فكل هذه العوامل تجعله بلا منازع المرشح الوحيد لإمامة المسلمين في تلك الفترة الحساسة من حياتهم[1]، ومع هذا كله فإن خلافته صحت بعدما انعقد إجماع المهاجرين والأنصار عليه ومبايعتهم له.

رابعًا: انعقاد الإجماع على خلافة علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

انعقد إجماع أهل السنة والجماعة علىٰ أن عليًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان متعينًا للخلافة بعد عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لبيعة المهاجرين والأنصار له، لما رأوا لفضله علىٰ من بقىٰ من الصحابة، وأنه أقدمهم إسلامًا، وأوفرهم علمًا، وأقربهم بالنبي ﷺ نسبًا، وأشجعهم نفسًا وأحبهم إلىٰ الله ورسوله، وأكثرهم مناقب وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة وأشرفهم منزلة، وأشبههم برسول الله ﷺ هديًا وسمتًا، فكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ متعينًا للخلافة دون غيره، وقد قام من بقىٰ من أصحاب النبي ﷺ بالمدينة بعقد البيعة له بالخلافة بالإجماع، فكان حينئذ إمامًا حقًا وجب علىٰ سائر الناس

(١) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/ ٩١، ٩٢).

طاعته وحرم الخروج عليه ومخالته، وقد نقل الإجماع علىٰ خلافته كثير من أهل العلم منهم:

١- نقل محمد بن سعد: إجماع من له قدم صدق وسابقة في الدين ممن بقىٰ من أصحاب النبي ﷺ بالمدينة علىٰ بيعة علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال: وبويع لعلي بن أبي طالب رَحِمَهُ اللَّهُ بالمدينة الغد من يوم قتل عثمان بالخلافة، بايعه طلحة والزبير، وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعمار ابن ياسر، وأسامة بن زيد، وسهل بن حنيف، وأبو أيوب الأنصاري، ومحمد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وخزيمة بن ثابت وجميع من كان بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم[(١)].

٢- وذكر ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ، أن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، روىٰ بإسناده عن عبد الرزاق عن محمد بن راشد عن عوف قال: كنت عند الحسن فكأن رجلًا انتقص أبا موسىٰ باتباعه عليًا، فغضب الحسن ثم قال: سبحان الله قتل أمير المؤمنين عثمان فاجتمع الناس علىٰ خيرهم فبايعوه أفَيُلام أبو موسىٰ باتباعه[(٢)].

٣- وقال أبو الحسن الأشعري: ونثبت إمامة علىٰ بعد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بعقد من عقد له من الصحابة من أهل الحل والعقد لأنه لم يدع أحد من أهل الشورىٰ غيره في وقته، وقد اجتمع علىٰ فضله وعدله، وأن امتناعه عن دعوىٰ الأمر لنفسه في وقت الخلفاء قبله كان حقًا لعلمه أن ذلك وقت قيامه، ثم لما صار الأمر إليه أظهر وأعلن، ولم يقصر حتىٰ مضىٰ علىٰ السداد والرشاد، كما مضىٰ من قبله من الخلفاء وأئمة العدل علىٰ السداد والرشاد؛ متبعين لكتاب ربهم وسنة نبيهم هؤلاء الأربعة المجمع علىٰ عدلهم وفضلهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[(٣)].

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٣١).

(٢) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٦٨٩).

(٣) الإبانة عن أصول الديانة، (٧٨)، مقالات الإسلاميين (١/ ٣٤٦).

٤- وقال أبو نعيم الأصبهاني: فلما اختلف الصحابة كان علىٰ الذين سبقوا إلىٰ الهجرة والسابقة والنصرة والغيرة في الإسلام الذين اتفقت الأمة علىٰ تقديمهم لفضلهم في أمر دينهم ودنياهم، لا يتنازعون فيهم ولا يختلفون فيمن أولىٰ بالأمر من الجماعة الذين شهد لهم رسول الله بالجنة في العشرة ممن توفىٰ وهو عنهم راض، فسلم من بقىٰ من العشرة الأمر لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولم ينكر أنه من أكمل الأمة ذكرًا وأرفعهم قدرًا، لقديم سابقته وتقدمه في الفضل والعلم، وشهوده المشاهد الكريمة، يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، ويحبه المؤمنون ويبغضه المنافقون، لم يضع منه تقديم من تقدمه من أصحاب رسول الله ﷺ بل ازداد به ارتفاعًا لمعرفته بفضل من قدمه علىٰ نفسه؛ إذ كان ذلك موجودًا في الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قال تعالىٰ: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة:٢٥٣]، فلم يكن تفضيل بعضهم علىٰ بعض بالذي يضع ممن هو دونه، فكل الرسل صفوة الله عَزَّ وَجَلَّ وخيرته من خلقه، فتولىٰ عليّ أمر المسلمين عادلًا زاهدًا آخذًا في سيره بمنهاج الرسول- عليه الصلاة والسلام- وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حتىٰ قبضه الله عَزَّ وَجَلَّ - شهيدًا هاديًا مهديًا، سلك بهم السبيل المستبين والصراط المستقيم[(١)].

٥- وقال أبو منصور البغدادي: أجمع أهل الحق والعدل علىٰ صحة إمامة علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقت انتصابه لها بعد قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٢)].

٦- وقال الزهرىٰ: وكان قد وفىٰ بعهد عثمان حتىٰ قتل، وكان أفضل من بقىٰ من الصحابة، فلم يكن أحد أحق بالخلافة منه، ثم لم يستبد بها مع كونه أحق الناس بها حتىٰ جرت له بيعة، وبايعه مع سائر الناس من بقىٰ من أصحاب الشورىٰ[(٣)].

---

(١) كتاب الإمامة والرد علىٰ الرافضة، ص (٣٦٠، ٣٦١).

(٢) كتاب أصول الدين، ص (٢٨٦، ٢٨٧).

(٣) الاعتقاد، ص (١٩٣).

٧- وقال عبد الله الجويني: وأما عمر وعثمان وعلي- رضوان الله عليهم - فسبيل إثبات إمامتهم وإجماعهم لشرائط الإمامة كسبيل إثبات إمامة أبي بكر، ومرجع كل قاطع في الإمامة إلىٰ الخبر المتواتر والإجماع.. ولا اكثرات بقول من يقول: لم يحصل إجماع علىٰ إمامة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإن الإمامة لم تجحد له وإنما هاجت الفتن لأمور أخر[(١)].

٨- وقال أبو عبد الله بن بطة: كانت بيعة علي رَحِمَهُ اللَّهُ بيعة اجتماع ورحمة، لم يدع إلىٰ نفسه، ولم يجبرهم علىٰ بيعته بسيفه، ولم يغلبهم بعشيرته، ولقد شرف الخلافة بنفسه، وزانها بشرفه، وكساها حلة البهاء بعدله ورفعها بعلو قدره، ولقد أباها فأجبروه، وتقاعس عنها فأكرهوه[(٢)].

٩- وقال الغزالي: وقد أجمعوا علىٰ تقديم أبي بكر، ثم نص أبو بكر علىٰ عمر، ثم أجمعوا بعده علىٰ عثمان، ثم علىٰ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وليس يظن منهم الخيانة في دين الله - تعالىٰ - لغرض من الأغراض، وكان إجماعهم علىٰ ذلك من أحسن ما يستدل به علىٰ مراتبهم في الفضل، ومن هنا اعتقد أهل السنة هذا الترتيب في الفضل، ثم بحثوا عن الأخبار فوجدوا فيها ما عرف مستند الصحابة وأهل الإجماع في هذا الترتيب[(٣)].

١٠- قال أبو بكر بن العربي: فلما قضىٰ الله من أمره ما قضىٰ، ومضىٰ في قدره ما مضىٰ علم أن الحق لا يترك الناس سدىٰ، وأن الخلق بعده مفتقرون إلىٰ خليفة مفروض عليهم النظر فيه، ولم يكن بعد الثلاثة كالرابع قدرًا وعلمًا وتقىٰ ودينًا، فانعقدت له البيعة ولولا الإسراع بعقد البيعة لعلي لجرىٰ علىٰ من بها من الأوباش مالا يرقع خرقة، ولكن عزم عليه المهاجرون والأنصار، ورأىٰ ذلك

(١) كتاب الإرشاد إلىٰ قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، ص (٣٦٢، ٣٦٣).
(٢) لوامع الأنوار البهية للسفارينىٰ (٢/ ٣٤٦)، عقيدة أهل السنة (٢/ ٦٩٢).
(٣) الاقتصاد في الاعتقاد، ص (١٥٤).

فرضًا عليه فانقاد إليه[(١)].

١١- وقال ابن تيمية: واتفق أصحاب رسول الله ﷺ علىٰ بيعة عثمان بعد عمر، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»[(٢)].

فكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه آخر الخلفاء الراشدين المهديين، وقد اتفق عامة أهل السنة من العلماء والعباد والأمراء والأجناد علىٰ أن يقولوا: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي[(٣)].

١٢- وقال ابن حجر: وكانت بيعة علىٰ بالخلافة عقب قتل عثمان في أوائل ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، فبايعه المهاجرون والأنصار وكل من حضر، وكتب بيعته إلىٰ الآفاق، فأذعنوا كلهم إلا معاوية في أهل الشام فكان بينهما بعد ما كان[(٤)]، والذي نستفيده من هذه النقول المتقدمة للإجماع أن خلافة علي رضي الله عنه محل إجماع علىٰ أحقيتها وصحتها في وقت زمانها، وذلك بعد قتل عثمان رضي الله عنه حيث لم يبق علىٰ الأرض أحق بها منه رضي الله عنه، فقد جاءته رضي الله عنه علىٰ قدر في وقتها ومحلها[(٥)].

خامسًا: شروط أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في بيعته وأول خطبة خطبها رضي الله عنه:

جاء في بعض الروايات أن أمير المؤمنين عليًا رضي الله عنه اشترط في بيعته أمورًا منها، أن تكون البيعة في ملأ وليس في خفية، وفي المسجد، وعن رضا المسلمين،

---

(١) العواصم من القواصم، ص (١٤٢).
(٢) سنن أبي داود (٤/ ٢٠١)، الترمذي (٥/ ٤٤)
(٣) الوصية الكبرىٰ، ص (٢٣).
(٤) فتح الباريٰ (٧/ ٧٢).
(٥) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (٢/ ٦٩٣).

وأنه يدير أمرهم كما يراه ويعلمه، فوافقوه وتواعدوا صباح اليوم التالي في المسجد للبيعة[(١)]، وكان يومًا حافلًا وحاسمًا، فقد خرج أمير المؤمنين وقد لبس ملابسه كاملة.. ثم بعد الحمد والثناء علىٰ الله بين للناس المحاولات التي بذلت معه وقال: إني كنت كارهًا لأمركم، فأبيتم إلا أن أكون عليكم، ألا وإنه ليس لي أمر دونكم، ألا إن مفاتيح مالكم معي، ألا وأنه ليس لي أن آخذ منه درهما دونكم[(٢)]، ثم قال: يا أيها الناس: إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم، وقد افترقنا بالأمس علىٰ أمر، فإن شئتم قعدت لكم، وإلا فلا أجد علىٰ أحد، ثم رفع صوته قائلًا: رضيتم؟ قالوا: نعم، قال: الله اشهد عليهم، وأقبل الناس يبايعونه[(٣)]، وبعد أداء البيعة قال أمير المؤمنين: أيها الناس: إنكم بايعتموني علىٰ ما بايعتم عليه أصحابي، فإذا بايعتموني فلا خيار لكم عليَّ، وعلىٰ الإمام الاستقامة وعلىٰ الرعية التسليم، وهذه بيعة عامة.. إلخ[(٤)].

سادسًا: المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه:

كانت المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين علىٰ رضي الله عنه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والاقتداء بالشيخين في هديهما.

١- فالمصدر الأول: هو كتاب الله: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾ [النساء:١٠٥]، فكتاب الله تعالىٰ يشتمل علىٰ جميع الأحكام الشرعية التي تتعلق بشئون الحياة، كما بين القرآن الكريم للمسلمين كل ما يحتاجون إليه من أسس تقوم عليها دولتهم، وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الزموا دينكم، واهتدوا

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٤٨).

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٤٤٩).

(٣) السابق نفسه.

(٤) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص (٢٨٢).

بهدي نبيكم، واتبعوا سنته، واعرضوا ما أشكل عليكم علىٰ القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه[(١)].

٢- المصدر الثاني: السنة المطهرة: التي يستمد منها الدستور الإسلامي أصوله، ومن خلاله يمكن معرفة الصيغ التنفيذية والتطبيقية لأحكام القرآن الكريم[(٢)]، فقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: واهتدوا بهدي نبيكم ﷺ، فإنه أفضل الهدىٰ واستنوا بسنته، فإنها أفضل السنن[(٣)].

٣- الاقتداء بالخلفاء الراشدين الذين سبقوه: قال رسول الله ﷺ: «**اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر**»[(٤)]، وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: والذي خلق الحبة وبرأ النسمة، لا يحبهما إلا مؤمن تقي، ولا يبغضهما إلا فاجر رديَّ، صحبا رسول الله علىٰ الصدق والوفاء، يأمران وينهيان وما يجاوزان فيما يصنعان رأي رسول الله، ولا كان رسول الله يرىٰ بمثل رأيهما، ولا يحب كحبهما أحدًا، قضي رسول الله وهو عنهما راض، ومضيا والمؤمنون عنهما راضون - واستمر في حديثه إلىٰ أن قال في أبي بكر - وكان والله خير من بقىٰ، أرحمه رحمة، وأرأفه رأفة، وأثبته ورعًا، وأقدمه سنًا وإسلامًا، فسار فينا سيرة رسول الله ﷺ حتىٰ مضىٰ علىٰ ذلك، ثم ولىٰ عمر الأمر من بعده.. فأقام الأمر علىٰ منهاج النبي ﷺ وصاحبه، يتبع آثارهما كاتباع الفصيل[(٥)] أمه.. إلىٰ أن قال: فمن لكم بمثلهما - رحمة الله عليهما- ورزقنا المضي علىٰ سبيلهما، فإنه لا يبلغ مبلغهما إلا باتباع آثارهما والحب لهما، ألا

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٦).

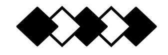
(٢) فقه التمكين في القرآن الكريم للصلابي، ص (٤٣٢).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٣١٩).

(٤) صحيح سنن الترمذي (٣/ ٢٠٠).

(٥) **الفصيل**: ولد الناقة إذا فصل عن أمه.

من أحبنىٰ فليحبهما ومن لم يحبهما فقد أبغضني وأنا منه برئ[١]، وكان رضي الله عنه يدافع عن اجتهادات عثمان بن عفان ويقول: يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيرًا- أو قولوا خيرًا- فوالله ما فعل الذي فعل - أي في المصاحف- إلا عن ملأ منا جميعًا، أي الصحابة.. ووالله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل[٢]، وكان يقول: ما كنت لأحل عقدة شدها عمر[٣].



(١) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي رقم (٤٤٥٦).
(٢) فتح الباري (٩/ ٨).
(٣) ابن أبي شيبة، المصنف رقم (١٢٠).

% +

الـجمل وصفيـن والنهـروان

▪ الأحداث التي سبقت معركة الجمل:

كانت فتنة مقتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ سببًا في حدوث كثير من الفتن الأخرىٰ، وألقت بظلالها علىٰ أحداث الفتن التي تلتها، وقد ساهمت أسباب عديدة في فتنة مقتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، منها: الرخاء وأثره في المجتمع، طبيعة التحول الاجتماعي في عهده، مجيء عثمان بعد عمر، خروج كبار الصحابة من المدينة، العصبية الجاهلية، توقف الفتوحات، الورع الجاهل، طموح الطامحين، تآمر الحاقدين، التدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد عثمان، استخدام الأساليب والوسائل المهيجة للناس، دور عبد الله بن سبأ في الفتنة، وقد تم تفصيل تلك الأسباب في كتابي «تيسير الكريم المنّان في سيرة عثمان بن عفان»[(١)].

إن عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان الناس يحبونه حبًا عظيمًا، لحسن سياسته ولمكانته من رسول الله ه وأحاديثه في الثناء عليه وزواجه من ابنتيه حتىٰ سُمي بذي النورين، فهو من الصحابة الكبار الذين بشروا بالجنة، ولقد تعرض للظلم في حياته من بعض الغوغاء، وكان في استطاعته أن يقضىٰ عليهم ولكنه امتنع خوفًا من أن يكون أول من يسفك الدماء في أمة محمد ه ، فقد كانت سياسته في التعامل مع الفتنة قائمة علىٰ الحلم والتأني والعدل، وقد منع الصحابة من قتال الغوغاء، وأحب أن يقي المسلمين بنفسه، ولذلك كان مقتله سببًا لحدوث كثير من الفتن الأخرىٰ وألقت بظلالها علىٰ الأحداث المتتالية من الفتن، ولقد كان مقتله

---

(١) عثمان بن عفان للصَّلاَّبي ص (٣١١ – ٣٤٠).

عظيمًا علىٰ المسلمين ولذلك تصدع المجتمع الإسلامي لهذا الحادث الجلل، وانقسم الناس، ومما يزيد من مكانته وبراءته مما نسب إليه مواقف الصحابة من قتله، فقد أجمع الجميع علىٰ براءته واتفقوا علىٰ الأخذ بدمه إلا أن المواقف اختلفت في الكيفية، وهذا ما سيأتي بيانه، بإذن الله. ونحب أن نسلط الأضواء علىٰ دور عبد الله بن سبأ في الفتنة عمومًا:

أولًا: أثر السبئية في إحداث الفتنة:

(١) السبئية حقيقة أم خيال: حقيقة عبد الله بن سبأ: أجمع القدماء علىٰ وجوده بلا استثناء وخالف في ذلك قلة من المعاصرين أكثرهم من الشيعة، وحجة من أنكره أنه من إبداع مخيلة سيف بن عمر التميمي وذلك لانتقاد بعض علماء الرجال له في مجال رواية الحديث أن العلماء يعدونه حجة في الأخبار، علمًا بأنه وردت روايات كثيرة عند ابن عساكر تذكر عبد الله بن سبأ ليس من بين رواتها سيف بن عمر، وقد حكم الألباني علىٰ بعضها بأنها صحيحة من حيث السند، وهذا غير الروايات الكثيرة عن ابن سبأ في كتب الشيعة سواء في كتب الفرق أو الرجال أو الحديث عندهم، وليس فيها عمر هذا، لا من قريب ولا من بعيد، وقد ابتدأ التشكيك في شخصية عبد الله بن سبأ[(١)] ووجوده في محاولة منهم لنفي دور العنصر اليهودي الحاقد في زرع الفتنة بين المسلمين من جهة، ومن جهة أخرىٰ يوجه الاتهام للصحابة بأنهم سبب الفتنة بغرض هدم النموذج السامي والصور المشرقة لهم عند المسلمين، وتابعهم علىٰ نفي وجود عبد الله بن سبأ بعض المعاصرين كلهم من الشيعة الرافضة لغاية في نفوسهم، وهي محاولتهم الفاشلة لتبرئة أصل مذهبهم من مؤسسة الحقيقي كما أجمع القدماء جميعهم بمن فيهم الشيعة.

وتجدر الإشارة أن من أنكر عبد الله بن سبأ من المحسوبين علىٰ أهل السنة

(١) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٢٨٤)

هم ممن تأثروا وتتلمذوا علىٰ أيدي المستشرقين فأين بلغ هؤلاء من قلة الحياء والجهل؟ وقد ملأت ترجمته كتب التاريخ والفرق، وتناقلت أفعاله الرواة وطبقت أخباره الآفاق، لقد اتفق المؤرخون والمحدثون وأصحاب كتب الفرق والملل والنحل والطبقات والأدب والأنساب الذين تعرضوا للسبئية علىٰ وجود شخصية عبد الله بن سبأ الذي ظهر في أخبار الفتنة، ودور ابن سبأ فيها لم يكن قصرًا علىٰ تاريخ الإمام الطبري، واستنادًا علىٰ روايات سيف بن عمر التميمي فيه، إنما هي أخبار منتشرة في روايات المتقدمين، وفي ثنايا الكتب التي رصدت أحداث التاريخ الإسلامي وآراء الفرق والنحل في تلك الفترة، إلا أن ميزة تاريخ الإمام الطبري علىٰ غيره أنه أغزرها مادة وأكثر تفصيلًا لا أكثر، ولهذا فإن التشكيك في هذه الأحداث بلا سند وبلا دليل بحجة عدم ذكر عبد الله بن سبأ إلا من طريق سيف بن عمر حتىٰ بعد ثبوت ذكره من روايات صحيحة ليس فيها سيف ابن عمر كما أسلفنا، إنما يعنىٰ الهدم لكل تلك الأخبار، والتسفيه بأولئك المخبرين والعلماء وتزيف الحقائق التاريخية، فمتىٰ كانت المنهجية ضربًا من ضروب الاستنتاج العقلي المحض في مقابل النصوص والروايات المتضافرة؟ وهل تكون المنهجية في الضرب صفحًا والإعراض عن المصادر الكثيرة المتقدمة والمتأخرة التي أثبتت لابن سبأ شخصية واقعية؟[1]، وقد جاء ذكر ابن سبأ في كتب أهل السنة كثيرًا منها:

جاء ذكر السبئية علىٰ لسان أعشىٰ همدان المتوفىٰ عام ٨٣ هـ، وقد هجا المختار بن أبي عبيد الثقفي وأنصاره من أهل الكوفة بعدما فرّ مع أشراف قبائل الكوفة إلىٰ البصرة بقوله:

شهدت عليكم أنكم سبئية وأني بكم يا شرطة الكفر عارف

وهناك رواية عن الشعبي المتوفىٰ عام ١٠٣هـ (٧٢١م) تفيد كذب عبد الله

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٧٠).

ابن سبأ[١]، وتحدث ابن حبيب[٢] المتوفى عام (٢٤٥هـ) (٨٦٠م) عن ابن سبأ حينما اعتبره أحد أبناء الجبشيات[٣]، كما روى أبو عاصم خُشيش بن أصرم المتوفى سنة (٢٥٣هـ)، خبر إحراق علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لجماعة من أصحاب ابن سبأ في كتابه الاستقامة[٤]، ويعتبر الجاحظ[٥] المتوفى سنة (٢٥٥هـ) من أوئل من أشار إلى عبد الله بن سبأ[٦]، ولكن روايته ليست أقدم رواية عن ابن سبأ كما يروى الدكتور جواد علي[٧]، وخبر إحراق علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لطائفة من الزنادقة تكشف عنه الروايات الصحيحة في كتب الصحاح والسنن والمسانيد[٨]، ولفظ الزندقة ليس غريبًا عن عبد الله بن سبأ وطائفته.

ويقول ابن تيمية: إن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ[٩].

ويقول الذهبي: عبد الله من غلاة الزنادقة، ضال مضل[١٠].

ويقول ابن حجر: عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة.. وله أتباع يقال لهم السبئية، معتقدون الإلهية في علي بن أبي طالب، وقد أحرقهم علي بالنار في خلافته[١١].

ويوجد لابن سبأ ذكر في كتب الجرح والتعديل، يقول ابن حبان المتوفى

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر (٩/ ٣٣١).
(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٢٧٧).
(٣) عبد الله بن سبأ للعودة ص (٥٣)
(٤) تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٥١)، شذرات الذهب (٢/ ١٢٩).
(٥) وفيات الأعيان (٣٠/ ٤٧٠).
(٦) البيان والتبيين (٣/ ٨١).
(٧) تحقيق مواقف الصحابة (٨/ ٢٩٠).
(٨) عبد الله بن سبأ للعودة: ص (٥٣).
(٩) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٨٣).
(١٠) ميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ٤٢٦).
(١١) لسان الميزان لابن حجر (٣/ ٣٦٠).

(٣٥٤هـ): وكان الكلبي - محمد بن السائب الإخباري - سبئيًا، من أصحاب عبد الله بن سبأ، من أولئك الذين يقولون: إن عليًا لم يمت، وأنه راجع إلىٰ الدنيا قبل الساعة.. وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها[(١)]، كما أن كتب الأنساب هي الأخرىٰ تؤكد نسبة السبئية إلىٰ عبد الله بن سبأ، وهم الغلاة من الرافضة، وابن سبأ أصله من اليمن، كان يهوديًا وأظهر الإسلام[(٢)]، ولم يكن سيف بن عمر هو المصدر الوحيد لأخبار عبد الله بن سبأ، إذ أورد ابن عساكر في تاريخه روايات لم يكن سيف فيها، وهي تثبت ابن سبأ وتؤكد أخباره، ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفىٰ سنة (٧٢٨هـ) أن أصل الرفض من المنافقين الزنادقة، فإنه ابتداع ابن سبأ الزنديق، وأظهر الغلو في علىٰ وادعىٰ الإمامة والنص عليه، وادعىٰ العصمة له[(٣)]، ويشير الشاطبىٰ والمتوفىٰ عام (٧٩٠هـ) إلىٰ أن بدعة السبئية من البدع الاعتقادية المتعلقة بوجود إله مع الله - تعالىٰ- وهي بدعة تختلف عن غيرها من المقالات[(٤)]، وفي خطط المقريزىٰ المتوفىٰ عام (٨٤٥هـ)، أن عبد الله بن سبأ قام من زمن علىٰ مُحدثًا القوم بالوصية والرجعة والتناسخ[(٥)]، وأما المصادر الشيعية التي ذكرت ابن سبأ، فقد روىٰ الكشىٰ عن محمد بن قولوية، قال: حدثني سعد بن عبد الله قال: حدثني يعقوب بن يزيد، ومحمد بن عيسىٰ، عن علىٰ بن مهزيار، عن فضالة بن أيوب الأزدىٰ، عن أبان بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله يقول: لعن الله عبد الله بن سبأ، أنه ادّعىٰ الربوبية في أمير المؤمنين وكان والله أمير المؤمنين عبدًا طائعًا، الويل لمن كذب

---

(١) المجروحين من المحدثين، أبو حاتم (٢/ ٢٥٣).

(٢) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٢٩٨).

(٣) مجموعة الفتاوىٰ لابن تيمية (٤/ ٤٣٥).

(٤) الاعتصام (٢/ ١٩٧).

(٥) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي (٢/ ٢٥٦، ٢٥٧)..

علينا، وإن قومًا يقولون فينا ما لا نقول في أنفسنا نبرأ إلىٰ الله منهم[١]، والرواية عند الشيعة من حيث السند صحيحة[٢].

وفي كتاب الخصال أورد القمىٰ الخبر نفسه، ولكن موصولًا بسند آخر، وأما صاحب روضات الجنات فقد ذكر ابن سبأ علىٰ لسان الصادق المصدوق الذي لعن ابن سبأ لاتهامه بالكذب والتزوير وإذاعة الأسرار والتأويل[٣]، وقد ذكر الدكتور سليمان العودة في كتابه مجموعة من النصوص التي تزخر بها كتب الشيعة ومروياتهم عن عبد الله بن سبأ، فهي أشبه ما تكون وثائق مسجلة تدين من حاول من متأخري الشيعة إنكار عبد الله بن سبأ، أو التشكيك في أخباره، بحجة قلة، أو ضعف المصادر التي حكت أخباره[٤] إن شخصية ابن سبأ حقيقة تاريخية لا لبس فيها في المصادر السنية والشيعية المتقدمة والمتأخرة علىٰ السواء، وهي كذلك أيضًا عند غالبية المستشرقين أمثال: يوليوس فلهاوزن ، وفان فولتن، وليفي ديلافيد، وجولد تسيهر، ورينولد نكلسن، وداويت رونلدس .. علىٰ حين يبقىٰ ابن سبأ محل شك أو مجرد خرافة عند فئة قليلة من المستشرقين أمثال: كيتاني وبرنارد لويس، وفريد لندر المتأرجح، علمًا بأننا لا نعتد بهم في أحداث تاريخنا.

ومن يستقرئ المصادر، سواء القديمة والمتأخرة، عند السنة والشيعة، يتأكد له بأن وجود ابن سبأ كان وجودًا تؤكده الروايات التاريخية، وتفيض فيه كتب العقائد، وذكرته كتب الحديث، والرجال والأنساب، والأدب، واللغة، وسار علىٰ هذا النهج كثير من المحققين والباحثين والمحدثين، يبدو أن أول

---

(١) رجال الكشي (١/ ٣٢٤).

(٢) عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة للشيعة، لمحمد علىٰ العلم: ص (٣٠).

(٣) عبد الله بن سبأ، سليمان العودة: ص (٦٢).

(٤) عبد الله بن سبأ، سليمان العودة: ص (٦٢).

من شك في وجود ابن سبأ المستشرقون، ثم دعّم هذا الطرح الغالبية من الشيعة المعاصرين بل وأنكر بعضهم وجوده ألبتة، وبرز من الباحثين العرب المعاصرين من أعجب بآراء المستشرقين، ومن تأثر بكتابات الشيعة المحدثين، ولكن هؤلاء جميعًا ليس لهم ما يدعمون به شكهم وإنكارهم إلا الشك ذاته، والاستناد إلىٰ مجرد الهوىٰ والظنون والفرضيات(١)، ومن أراد التوسع في معرفة المراجع والمصادر السنية والشيعية والاستشراقية التي ذكرت ابن سبأ فليراجع تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة للدكتور محمد أمحزون، وعبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، للدكتور سليمان بن حمد العودة.

(٢) دور عبد الله بن سبأ في تحريك الفتنة: في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بدت في الأفق سمات الاضطراب في المجتمع الإسلامي نتيجة عوامل التغيير التي ذكرناها، وأخذ بعض اليهود يتحينون فرصة الظهور مستغلين عوامل الفتنة ومتظاهرين بالإسلام واستعمال التقية، ومن هؤلاء عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء، وإذا كان ابن سبأ لا يجوز التهويل من شأنه كما فعل بعض المغالين في تضخيم دوره في الفتنة، فإنه كذلك لا يجوز التشكيك فيه أو الاستهانة بالدور الذي لعبه في أحداث الفتنة، كعامل من عواملها، علىٰ أنه أبرزها وأخطرها، إذ إن هناك أجواءً للفتنة مهدت له، وعوامل أخرىٰ ساعدته، وغاية ما جاء به ابن سبأ آراء ومعتقدات ادّعاها واخترعها من قبل نفسه وافتعلها من يهوديته الحاقدة، وجعل يروجها لغاية ينشدها وغرض يستهدفه، وهو الدَّس في المجتمع الإسلامي بغية النيل من وحدته، وإذكاء نار الفتنة وغرس بذور الشقاق بين أفراده، فكان ذلك من جملة العوامل التي أدّت إلىٰ قتل أمير المؤمنين عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتفرق الأمة شيعًا وأحزابًا(٢)، وخلاصة ما جاء به أن أتىٰ

(١) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣١٢).

(٢) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٢٧).

بمقدمات صادقة وبنىٰ عليها مبادئ فاسدة راجت لدىٰ السذج الغلاة وأصحاب الأهواء من الناس، وقد سلك في ذلك مسالك ملتوية لبّس فيها علىٰ من حوله حتىٰ اجتمعوا عليه، فطرق باب القرآن بتأولّه علىٰ زعمه الفاسد حيث قال: لَعجَب ممن يزعم أن عيسىٰ يرجع، ويكذب بأن محمدًا يرجع، وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص:٨٥] فمحمد أحق بالرجوع من عيسىٰ[١]، كما سلك طريق القياس الفاسد من ادعاء إثبات الوصية لعليّ رضي الله عنه بقوله: إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصىٰ، وكان علىٰ وصىٰ محمد ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلىٰ خاتم الأوصياء[٢]، وحينما استقر الأمر في نفوس أتباعه انتقل إلىٰ هدفه المرسوم، وهو خروج الناس علىٰ الخليفة عثمان رضي الله عنه، فصادف ذلك هوىٰ في نفوس بعض القوم حيث قال لهم: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ ووثب علىٰ وصيّة رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة؟ ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصيّة رسول الله فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدءوا بالطعن علىٰ أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوا إلىٰ هذا الأمر[٣]، وبث دعاته، وكاتب من كان في الأمصار، وكاتبوه ودعوا في السر إلىٰ ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلىٰ الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلىٰ مصر آخر بما يصنعون، فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتىٰ تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون، ويسترون غير ما يبدون، فيقول أهل مصر: إنّا لفي عافية مما فيه الناس[٤].

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٧).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٧).
(٣) المصدر نفسه (٥/ ٣٤٨).
(٤) المصدر نفسه (٥/ ٣٤٨).

ويظهر في النص الأسلوب الذي اتبعه ابن سبأ، فهو أراد أن يوقع في أعين الناس بين اثنين من كبار الصحابة، حيث جعل أحدهما مهضوم الحق وهو علىٰ، وجعل الثاني مغتصبًا وهو عثمان، ثم حاول بعد ذلك أن يحرك الناس -خاصة في الكوفة- علىٰ أمرائهم باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فجعل هؤلاء يثورون لأصغر الحوادث علىٰ ولاتهم، علمًا بأنه ركز في حملته هذه علىٰ الأعراب الذين وجد فيهم مادة ملائمة لتنفيذ خطته، فالقرَّاء منهم استهواهم عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأصحاب المطامع منهم هيّج أنفسهم بالإشاعات المغرضة المفتراة علىٰ عثمان؛ مثل تحيزه لأقاربه وإغداق الأموال من بيت مال المسلمين عليهم، وأنه حمىٰ الحمىٰ لنفسه إلىٰ غير ذلك من التهم والمطاعن التي حرك بها نفوس الغوغاء ضد عثمان رضي الله عنه مع براءته، ثم إنه أخذ يحض أتباعه علىٰ إرسال الكتب بأخبار سيئة مفجعة عن مصرهم إلىٰ بقية الأمصار، وهكذا يتخيل الناس في جميع الأمصار أن الحال بلغ من السوء ما لا مزيد عليه، والمستفيد من هذه الحال هم السبئية، لأن تصديق ذلك من الناس يفيدهم في إشعال شرارة الفتنة داخل المجتمع الإسلامي[(١)]، هذا وقد شعر عثمان رضي الله عنه بأن شيئًا ما يحاك في الأمصار وأن الأمة تمخض بشر فقال: والله إن رحىٰ الفتنة لدائرة، فطوبىٰ لعثمان إن مات ولم يحركها[(٢)].

علىٰ أن المكان الذي رتع فيه ابن سبأ هو مصر، وهناك أخذ ينظم حملته ضد عثمان رضي الله عنه، ويحث الناس علىٰ التوجه إلىٰ المدينة لإثارة الفتنة بدعوىٰ أن عثمان أخذ الخلافة بغير حق، ووثب علىٰ وصىٰ رسول الله ﷺ يقصد[(٣)] عليًا، وقد غشهم بكتب ادّعىٰ أنها وردت من كبار الصحابة حتىٰ إذا أتىٰ هؤلاء

(١) الدولة الأموية، يوسف العشىٰ: ص (١٦٨)، مواقف الصحابة (١/ ٣٣٠).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٢٥٠).
(٣) المصدر نفسه (٥/ ٣٤٨).

الأعراب المدينة المنورة واجتمعوا بالصحابة لم يجدوا منهم تشجيعًا، حيث تبرءوا مما نسب إليهم من رسائل تؤلب الناس علىٰ عثمان[١]، ووجدوا عثمان مقدرًا للحقوق، بل وناظرهم فيما نسبوا إليه، ورد عليهم افتراءهم وفسّر لهم صدق أعماله، حتىٰ قال أحد زعمائهم وهو مالك ابن الأشتر النخعيٰ: لعله مُكر به وبكم[٢]. ويعتبر الذهبي أن عبد الله بن سبأ المهيج للفتنة بمصر وباذر بذور الشقاق والنقمة علىٰ الولاة ثم علىٰ أمير المؤمنين عثمان فيها[٣]، ولم يكن ابن سبأ وحده، وإنما كان عمله ضمن شبكة من المتآمرين وأخطبوط من أساليب الخداع والاحتيال والمكر وتجنيد الأعراب والقراء وغيرهم، ويروىٰ ابن كثير أن أسباب تألب الأحزاب علىٰ عثمان ظهور ابن سبأ وذهابه إلىٰ مصر وإذاعته بين الناس كلامًا اخترعه من عند نفسه، فافتتن به بشر كثير من أهل مصر[٤].

إن المشاهير من المؤرخين والعلماء من سلف الأمة وخلفها يتفقون علىٰ أن ابن سبأ ظهر بين المسلمين بعقائد وأفكار وخطط سبئية، ليلفت المسلمين عن دينهم وطاعة إمامهم ويوقع بينهم الفرقة والخلاف، فاجتمع إليه من غوغاء الناس ما تكوّنت به الطائفة السبئية المعروفة التي كانت عاملًا من عوامل الفتنة المنتهية بمقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وما ترتب علىٰ قتله من فتن كمعركتي الجمل وصفين وغيرهما. والذي يظهر من خطط السبئية أنها كانت أكثر تنظيمًا، إذ كانت بارعة في توجيه دعايتها ونشر أفكارها لامتلاكها ناصية الدعاية والتأثير بين الغوغاء والرعاع من الناس، كما كانت نشيطة في تكوين فروع لها سواء في البصرة أم في الكوفة أم في مصر، مستغلة العصبية القبلية،

---

(١) المصدر نفسه (٥/ ٣٤٨)

(٢) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣١).

(٣) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٨).

(٤) البداية والنهاية (٧/ ١٦٧، ١٦٨).

ومتمكنة من إثارة مكامن التذمر عند الأعراب والعبيد والموالي، عارفه بالمواضع الحساسة في حياتهم وبما يريدون[(١)].

ثانيًا: اختلاف الصحابة في الطريقة التي يؤخذ بها القصاص من قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إن الخلاف الذي نشأ بين أمير المؤمنين علىٰ من جهة، وبين طلحة والزبير وعائشة من جهة أخرىٰ، ثم بعد ذلك بين علىٰ ومعاوية لم يكن سببه ومنشؤه أن هؤلاء كانوا يقدحون في خلافة أمير المؤمنين علىٰ وإمامته وأحقيته بالخلافة والولاية علىٰ المسلمين، فقد كان هذا محل إجماع بينهم.

قال ابن حزم: ولم ينكر معاوية قط فضل عليّ واستحقاقه الخلافة، ولكن اجتهاده أداه إلىٰ أن رأىٰ تقديم أخذ القود من قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ البيعة، ورأىٰ نفسه أحق بطلب دم عثمان[(٢)].

وقال ابن تيمية: ومعاوية لم يدّع الخلافة، ولم يبايع له بها حين قاتل عليًا، ولم يقاتل علىٰ أنه خليفة، ولا أنه يستحق الخلافة، ويقرون له بذلك، وقد كان معاوية يقر بذلك لمن سأله عنه، ولا كان معاوية وأصحابه يرون أن يبتدئوا عليًا وأصحابه بالقتال، ولا فعلوا[(٣)]... وقال أيضًا:... وكل فرقة من المتشيعين مقرّة مع ذلك بأن معاوية ليس كفئًا لعلىٰ بالخلافة، ولا يكون خليفة مع إمكان استخلاف علىٰ، فإن فضل علىٰ وسابقته وعلمه ودينه وشجاعته وسائر فضائله كانت عندهم ظاهرة معلومة كفضل إخوانه أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم[(٤)].

إن منشأ الخلاف لم يكن قدحًا في خلافة أمير المؤمنين عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإنما

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (١/ ٣٣٩).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٦٠).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ٧٢).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ٧٢).

اختلافهم في قضية الاقتصاص من قتلة عثمان، ولم يكن خلافهم في أصل المسألة، وإنما كان في الطريقة التي تعالج بها هذه القضية، إذ كان أمير المؤمنين عليٰ موافقًا من حيث المبدأ عليٰ وجوب الاقتصاص من قتلة عثمان، وإنما كان رأيه أن يرجئ الاقتصاص من هؤلاء إلىٰ حين استقرار الأوضاع وهدوء الأمور واجتماع الكلمة(١)، قال النووي: واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام: قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف، وأن مخالفه باغ، فوجب عليهم نصرته، وقتال الباغي فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده، وقسم عكس هؤلاء: ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر، فوجب عليهم مساعدتهم وقتال الباغي عليه، وقسم ثالث: اشتبهت عليهم القضية، وتحيروا فيها، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم لأنه لا يحل الإقدام علىٰ قتال مسلم حتىٰ يظهر أنه مستحق لذلك، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين، وأن الحق معه، لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه(٢).

ثالثًا: موقف المطالبين بدم عثمان كطلحة والزبير وعائشة ومعاوية ومن كان على رأيهم:

١- السيدة عائشة أم المؤمنين: لما سمعت السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بموت عثمان في طريق عودتها من مكة إلىٰ المدينة رجعت إلىٰ مكة ودخلت المسجد الحرام، وقصدت الحجر فتستَّرت فيه، واجتمع الناس إليها فقالت: أيها الناس إن الغوغاء من أهل الأمصار، وأهل المياه، وعبيد أهل المدينة اجتمعوا، فقد

---

(١) أحداث وأحاديث فتنة الهرج ص (١٥٨).

(٢) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (١٥/ ١٤٩).

عاب الغوغاء علىٰ هذا المقتول بالأمس الإرب[(١)]، واستعمال من حدثت سنُّه، وقد استعمل أسنانهم قبله، ومواضع من الحمىٰ حماها لهم، وهي أمور قد سبق بها لا يصلح غيرها، فتابعهم، ونزع لهم عنها استصلاحًا لهم، فلما لم يجدوا حجة ولا غدرًا خلجوا[(٢)]، وبادروا بالعدوان، نبا فعلهم عن قولهم، فسفكوا الدم الحرام، واستحلوا البلد الحرام، وأخذوا المال الحرام، واستحلوا الشهر الحرام، والله لإصبع عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم، فنجاة[(٣)] من اجتماعكم عليهم حتىٰ يَنْكل بهم غيرهم[(٤)]، ويشرَّد[(٥)] من بعدهم، ووالله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنبًا نخلُص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه، إذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء[(٦)].

وجاء في رواية أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين انصرفت راجعة إلىٰ مكة أتاها عبد الله ابن عامر الحضرمي -أمير مكة- فقال لها: ما ردّك يا أم المؤمنين؟ قالت: ردني أن عثمان قُتل مظلومًا، وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر، فاطلبوا بدم عثمان تعزوا الإسلام[(٧)]، وقد ثبت بالنصوص الصحيحة الصريحة ثناء السيدة عائشة علىٰ عثمان، ولعنها لمن قتله، وروت في حقه أحاديث عن رسول الله في فضائله، فعن فاطمة بنت عبد الرحمن اليشكرية عن أمها، أنها سألت عائشة، عندما أرسلها عمّها فقال: إن أحد بنيك يقرئك السلام ويسألك عن عثمان ابن عفان، فإن الناس قد أكثروا فيه، فقال: لعن الله من لعنه، فوالله لقد كان قاعدًا عند

---

(١) **الإرب**: الحاجة والدهاء والفطنة والعقل.

(٢) **خلجوا**: تحركوا واضطربوا.

(٣) **نجاة**: اطلبوا النجاة باجتماعكم عليهم.

(٤) **ينكل بهم غيرهم**: حتىٰ يروعهم ويروع بهم غيرهم.

(٥) **يشرّد**: يفرق ويبدد جمعهم.

(٦) تاريخ الطبري (٥/ ٤٧٣، ٤٧٤).

(٧) تاريخ الطبري (٥/ ٤٧٥).

نبي الله، وإن رسول الله ﷺ مسند ظهره إليّ، وإن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ليوحي إليه القرآن وإنه ليقول: «اكتب عثمان»، فما كان الله لينزل تلك المنزلة إلا كريمًا علىٰ الله ورسوله[١].

وعن مسروق عن عائشة قالت -حين قُتل عثمان-: تركتموه كالثوب النقي من الدنس، ثم قربتموه تذبحونه كما يذبح الكبش، فقال لها مسروق: هذا عملك، أنت كتبت إلىٰ الناس تأمرينهم بالخروج إليه، قالت عائشة: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت إليهم بسوداء في بيضاء حتىٰ جلست مجلسي هذا[٢]، وقد مر معنا كذب السبئيين في كتابي عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأنهم كتبوا رسائل لأهل الأمصار ونسبوها كذبًا وزورًا للسيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقد جاءت رواية موضوعة، وضعيفة أسانيدها واهية من رواية الكذابين، وللأسف اتبعها بعض المعاصرين وراجت عليهم هذه الأكاذيب؛ صورت العلاقة بين عائشة وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا علىٰ صورة مناقضة تمامًا للروايات الصحيحة السالفة الذكر، وزعمت تلك الروايات الكاذبة بأن السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ألبت علىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقالت بوجود خلاف بينهما، ونسبت إليها الاشتراك شبه الفعلي في قتله ونقل ذلك الطبري، ونقل عن الطبري الكثير من المؤرخين وإليك مثال علىٰ ذلك: ما ذكره الطبري، قال: كتب إلي عليّ بن أحمد بن الحسن العجلي، أن الحسين بن نصر العطار، قال: حدثنا سيف بن عمر، عن محمد بن نويره، وطلحة بن الأعلم الحنفي قال: وحدثنا عمر ابن سعد، عن أسد بن عبدالله، عمن أدرك من أهل العلم، أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما انتهت إلىٰ سرف[٣] راجعة إلىٰ مكة، لقيها عبد ابن أم كلاب -وهو عبد بن أبي سلمة، ينسب لأمه- فقالت له:

(١) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٧٨).

(٢) تاريخ خليفة ص (١٧٦).

(٣) **سرف**: مكان بين مكة والمدينة علىٰ ستة أميال من مكة.

ما الأمر؟، قال: قتلوا عثمان بن عفان رضي الله عنه، فمكثوا ثمانيًا، قالت: ثم صنعوا ماذا قال: أخذها أهل المدينة بالاجتماع، فجازت بهم الأمور إلىٰ خير مجاز، اجتمعوا علىٰ علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فقالت: ردُّوني، ردوني والله ليت أن هذه انطبقت علىٰ هذه إن تم الأمر لصاحبك. فانصرفت إلىٰ مكة وهي تقول: قتل والله عثمان مظلومًا، والله لأطلبن بدمه، فقال لها: ابن أم كلاب: ولم؟! فوالله إن أول من أمال حرفه لأنت ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلًا فقد كفر. قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت، وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأول، فقال لها ابن أم كلاب:

فَمِنْكِ البَدَاءُ ومِنْكِ الغِيَرُ ... وَمِنْكِ الرِّيَاحُ وَمِنْكِ المَطَرُ

وأَنْتِ أَمَرْتِ بِقَتْلِ الإِمَامِ ... وقُلْتِ لَنَا: إِنهُ قَدْ كفَر

فانصرفت إلىٰ مكة فنزلت علىٰ باب المسجد فقصدت للحجر، فَتستَّرتْ واجتمع إليها الناس، فقالت: إن عثمان قُتل مظلومًا، والله لأطلبن بدمه[1].

رويت هذه الرواية كما رأينا من طريقين عند الطبري: ويكفي أن في رجال الإسناد نصر بن مزاحم العطار المجروح في كتب الرجال بالصفات الآتية:

شيعي، منكر، تركوه، جلد[2]، وأما الطريق الثاني ففي إسناده عمر بن سعد وهو قائد السرية الذين قاتلوا الحسين رضي الله عنه، وهو عند رجال الحديث لا يصح حديثه، متهم بالوضع متروك[3] فالرواية غير مقبولة الإسناد في أي من طريقي روايتها[4]، وقد جاءت روايات في كتب التاريخ والأدب ضعيفة وموضوعة لا تثبت أمام النقد العلمي سارت علىٰ النهج المظلم في تشويه السيدة عائشة رضي الله عنها.

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٥).
(٢) المغني في الضعفاء (٢/ ٦٩٦)، وميزان الاعتدال (٧/ ٢٤)، والتاريخ الكبير (٨/ ١٠٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٤٩)، والطبقات (٥/ ١٦٨).
(٤) دور المرأة السياسي في عهد النبي

إن الروايات التي جاءت في العقد الفريد وفي كتاب الأغاني، وتاريخ اليعقوبي، وتاريخ المسعودي، وأنساب الأشراف وغيرها من الكتب، وما انتهت إليه من استدلالات في شأن الدور السياسي للسيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في حياة عثمان ابن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لا يعتد بها لمخالفتها للروايات الصحيحة وقيامها علىٰ روايات واهية، فأغلبها روايات غير مسندة -والمسند مجروح الإسناد لا يحتج بروايته- هذا إلىٰ فساد متونها إذا ما قورنت بالروايات الأخرىٰ الأكثر صحة وقربًا للحقيقة[1].

وقد قامت السيدة الفاضلة والباحثة القديرة/ أسماء محمد أحمد زيادة، بدراسة الأسانيد والمتون للروايات التي تحدثت عن الدور السياسي للسيدة عائشة في أحداث الفتنة، ونقدت الروايات القائلة بالخلاف السياسي بين عائشة وعثمان عند الطبري وغيره وبينت زيفها وكذبها، ثم قالت: وكان الأحرىٰ بنا أن نعرض عن ذكرها جميعًا؛ لعدم وصولها إلينا عن طريق معتمد، بل الطرق التي وصلت منها رُمي أصحابها بالتشيع والكذب والرفض، ولكننا عرضنا لها؛ لشيوعها في أغلب الدراسات الحديثة، وللتدليل علىٰ سقوطها، فهي روايات - كما اتضح لنا- حاولت خلق تاريخ لا وجود له أصلًا من الخلاف والتنكر بين عثمان وعائشة وبين عثمان والصحابة جميعًا[2]، ولو صح أن عائشة اتفقت مع المتمردين علىٰ التحريض علىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لكان من المتوقع أن يكون عندها نوع من التماس العذر لهؤلاء التمردين، لكن لم يصح عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا شيء من هذا، وإنه لو صح شيء من هذه الروايات في وصف موقف السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، والصحابة الذين اشتركوا معها، وهو ما لا نقبل به للخبر الصادق عن الله ورسوله في تقرير عدالتهم التي كانت كافية لدحض هذه الروايات، لكننا توقفنا

(١) دور المرأة السياسي ص (٢٧٠).
(٢) دور المرأة السياسي ص (٢٧٠).

أمام الروايات؛ تأكيدًا منا علىٰ سقوط هذه الروايات ومن بعدها الاستدلالات القائمة عليها، حتىٰ تجتمع الأدلة الدينية، والعلمية، والتاريخية في صعيد واحد يؤكد بعضها[١] بعضًا، إن الاتهامات التي وجهت إلىٰ السيدة عائشة لا تثبت سندًا ولا تقوم أمام الأدلة العقلية أيضًا.

٢- طلحة والزبير رضي الله عنهما: طلب طلحة والزبير ومن معهم من الصحابة من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه تعجيل إقامة القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه، فقال لهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: يا إخوتاه إني لست أجهل ما تعلمون، ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم؟ ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، وثاب إليهم أعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا، فهل ترون موضعًا لقدرة علىٰ شيء مما تريدون؟.

قالوا: لا، قال: فلا والله لا أرىٰ إلا رأيًا ترونه إن شاء الله، إن هذا الأمر أمر جاهلية، إن لهؤلاء القوم مادة، وذلك أن الشيطان لم يشرّع شريعة قط فيبرح الأرض من أخذ بها أبدًا. إن الناس من هذا الأمر إن حُرِّك علىٰ أمور: فرقة ترىٰ ما ترون، وفرقة ترىٰ ما لا ترون، وفرقة لا ترىٰ هذا ولا هذا حتىٰ يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها، وتؤخذ الحقوق فاهدؤوا عني وانظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا[٢].

ولكن هذه السياسة الحكيمة، لم يتفهم بها بعضهم فالناس في حال غضبهم، وسيرهم وراء عواطفهم لا يدركون الأمور إدراكًا واقعيًّا يمكنهم من التقدير الصحيح، فتنعكس في تقديرهم الأوضاع ويظنون المستحيل ممكنًا، ولذلك قالوا: نقضي الذي علينا ولا نؤخره[٣]، وهم يعنون الطلب لإقامة

(١) المصدر نفسه ص (٣٧١).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٠).
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٠).

الحدود علىٰ قتلة عثمان[1]، وأخبر علي بمقالتهم، فرغب أن يريهم أنه لا يستطيع وإياهم أن يفعلوا شيئًا في مثل تلك الظروف فنادىٰ: برئت الذمة من عبد لم يرجع إلىٰ مواليه، فتذامرت السبئية والأعراب وقالوا: لنا غدًا مثلها ولا نستطيع أن نحتجّ فيهم بشيء[2] وكأن رواد الفتنة من السبئية تبادر إلىٰ أذهانهم، أن الخليفة يريد أن يجرّدهم من أعوانهم الذين يشدّون أزرهم ويقضون إلىٰ جوارهم، فعصوا ذلك الأمر وحرّضوا الأعراب علىٰ البقاء فأطاعوهم وبقوا في أماكنهم، ففي اليوم الثالث بعد البيعة خرج عليّ وقال لهم: أخرجوا عنكم الأعراب، وقال: يا معشر الأعراب الحقوا بمياهكم: فأبت السبئية وأطاعهم الأعراب، ثم دخل بيته ودخل عليه طلحة والزبير في عدة من أصحاب النبي ﷺ فقال: دونكم ثأركم، فقالوا: عضوا عن ذلك[3]، فقال لهم علي: هم والله بعد اليوم أعشىٰ وآبىٰ، ثم أنشد يقول:

لَـوْ أَنَّ قَـوْمِي طَـاوَعَتْنِي سَـرَاتُهمْ ... أَمَــرْتُهُمْ أَمْــرًا يُـدِيخ الأَعَادِيَــا[4]

حتىٰ هذه اللحظة فإن عليًّا وطلحة والزبير والصحابة جميعًا رضي الله عنهم، كانوا يبدون متفقين تمامًا علىٰ ضرورة إقامة الحدود علىٰ من فرقوا أمر الجماعة وخالفوا وقتلوا الخليفة، دفعًا لضررهم علىٰ الدين كله، وكانوا متعاونين في ذلك، وكان الأمر يبدو منطقيًّا تمامًا من علي واتفق معه الصحابة في ذلك، ولكن كيف يصنعون لهؤلاء الغوغاء الذين تحكموا في الأمور، وحركوا معهم العبيد والأعراب؟ وهم بين أهل المدينة يسومونهم ما شاؤوا، لم تكن هناك إذن قدرة علىٰ قتالهم[5]، وتقدم طلحة والزبير بمقترح لعلي لمواجهة السبئية الموجودة

(١) الدور السياسي ص (٣٧٨).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٠).
(٣) **عشوا: عشًا**: ساء بصره، وهنا لم يروا.
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٤٦١).
(٥) فتح الباري (١٢/ ٣٦٠).

حول علي، فقد قال طلحة لعلي: دعني آت البصرة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل، وقال الزبير: دعني آت الكوفة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل، ولكن عليًّا نراه يتريث ويقول لهما: حتىٰ أنظر في ذلك(١).

ولعل عليًّا كان يخشىٰ الفتنة وتحول الأمر إلىٰ حرب أهلية داخل المدينة لا تحمد عقباها، ولذلك لم يجب طلحة والزبير إلىٰ مطلبهما(٢)، وكان اقتراح الزبير وطلحة علىٰ علي دليلًا علىٰ اقتناعهما في الوقت نفسه بما قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من كون هؤلاء الغوغاء متغلغلين في داخل الصف يملكون المسلمين ولا يملكهم المسلمون، فحاولا بهذا الطلب اختصار وقت تعطيل حد من الحدود وتقوية جانب علي حتىٰ يتمكن من إقامتها، علىٰ أن الصحابة قد انتظروا أن ينظر عليٌّ في ذلك، لكن عليًّا كان يرىٰ أن هذا الأمر الذي وقع لا يُدرك إلا بإماتته، وإنها فتنة من النار كلما سُعِّرت ازدادت واستنارت(٣)، ولما رأىٰ الزبير وطلحة ومن وافقهما من الصحابة أن أربعة أشهر قد مرت علىٰ مقتل عثمان، ولم يستطيع علي أن يقيم القصاص علىٰ قتلة عثمان بسبب أن الخارجين علىٰ عثمان لهم شوكة وقوة وتغلغل في جيش علي، عندئذ قال طلحة والزبير لعلي: ائذن لنا أن نخرج من المدينة، فإما أن نكابر وإما أن تدعنا، فقال: سأمسك الأمر ما استمسك، فإذا لم أجد بُدًّا فآخر الدواء الكي(٤)، فقد كان عليّ يعرف أن خروجهما من المدينة كان محاولة منهما للوصول إلىٰ حل؛ فلم يمنعهما من ذلك، ربما لأنه كان يتمنىٰ الوصول إلىٰ حل أيضًا، بل كان يحاوله ولكن بطريقته الخاصة(٥)، وقد خاض بعض الباحثين المعاصرين في تفسير النص

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٣٦١).

(٢) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٠٨).

(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٣٦٧)، دور المرأة السياسي ص (٣٨٠).

(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٣٦٨).

(٥) دور المرأة السياسي ص (٣٨٠، ٣٨١).

المتعلق باستئذان طلحة والزبير في الذهاب للبصرة والكوفة والمجيء بخيل من هناك لدحر الغوغاء، وامتناع علي عن الموافقة، فخاضوا بالباطل، وقالوا: إنه تخوف جانب الرجلين ويخشىٰ أن يعيداها عليه جذعة ويستنا به سنة أهل مصر بعثمان يكون له معهما يوم كيوم الدار[(١)]، وتفسير كهذا تحميل للنص فوق ما يتحمل[(٢)]، وفيه ظلم وتجاوز في حق صفوة الصحابة.

٣- معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: شاع بين الناس قديمًا وحديثًا أن الخلاف بين علي ومعاوية كان سببه طمع معاوية في الخلافة، وأن خروج هذا الأخير علىٰ عليّ وامتناعه عن بيعته كان بسبب عزله عن ولاية الشام، فقد جاء في كتاب «الإمامة والسياسة» المنسوب لابن قتيبة الدينوري رواية تذكر أنّ معاوية ادّعىٰ الخلافة، وذلك من خلال الرواية التي ورد فيها ما قاله ابن الكواء لأبي موسىٰ الأشعري في: اعلم أن معاوية طليق الإسلام، وأن أباه رأس الأحزاب، وأنه ادعىٰ الخلافة من غير مشورة فإن صدقك فقد حلّ خلعه، وإن كذبك فقد حرم عليك كلامه[(٣)]، وهذا كلام لا يثبت عن أمير المؤمنين علي وإنما من كلام الروافض، وقد امتلأت كتب التاريخ والأدب بالروايات الموضوعة والضعيفة التي تزعم أن معاوية اختلف مع علي من أجل الملك والزعامة والإمارة[(٤)]. والصحيح أن الخلاف بين عليّ ومعاوية نهت كان حول مدىٰ وجوب بيعة معاوية وأصحابه لعلي قبل توقيع القصاص علىٰ قتلة عثمان أو بعده، وليس هذا من أمر الخلافة في شيء، وقد كان رأي معاوية رضي الله عنه ومن حوله من أهل الشام أن يقتص عليّ رضي الله عنه من قتلة عثمان، ثم يدخلون بعد ذلك في البيعة[(٥)]، ويقول

(١) الخلفاء الراشدون ص (٣٧٢).

(٢) خلافة علي بن أبي طالب، لعبد الحميد علي ص (١١٨).

(٣) الإمامة والسياسة (١/ ١١٣).

(٤) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/ ١٤٥).

(٥) البداية والنهاية (٨/ ١٢٩)، وفتح الباري (١٣/ ٩٢).

القاضي ابن العربي أن سبب القتال بين أهل الشام وأهل العراق يرجع إلىٰ تباين المواقف بينهما:

فهؤلاء -أي: أهل العراق- يدعون إلىٰ عليّ بالبيعة وتأليف الكلمة علىٰ الإمام، وهؤلاء -أي: أهل الشام- يدعون إلىٰ التمكين من قتلة عثمان ويقولون: لا نبايع من يأوي القتلة[(١)]، ويقول إمام الحرمين الجويني في «لمع الأدلّة»: إن معاوية وإن قاتل عليًّا، فإنه لا ينكر إمامته ولا يدّعيها لنفسه؛ وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظانًّا منه أنه مصيب، وكان مخطئًا[(٢)]. ويقول الهيثمي: ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أنّ ما جرىٰ بين معاوية وعليّ نهت من الحروب، لم يكن لنازعة معاوية لعليّ في الخلافة للإجماع علىٰ أحقيتها لعليّ، فلم تهج الفتنة بسببها، وإنما هاجت بسبب أن معاوية ابن عمّه فامتنع علي[(٣)]، لقد تضافرت الروايات وأشارت إلىٰ أنّ معاوية رضي الله عنه اتخذ موقفه للمطالبة بدم عثمان، وأنه صرح بدخوله في طاعة علي رضي الله عنه إذا أقيم الحّد علىٰ قتلة عثمان.

ولو افترض أنه اتخذ قضية القصاص والثأر لعثمان ذريعة لقتال: علي طمعًا في السلطان، فماذا سيحدث لو تمكن علي من إقامة الحد علىٰ قتلة عثمان؟ حتمًا ستكون النتيجة خضوع معاوية لعلي ومبايعته له؛ لأنه التزم بذلك في موقفه من تلك الفتنة، كما أن كل من حارب معه كانوا يقاتلون علىٰ أساس إقامة الحد علىٰ قتلة عثمان، علىٰ أن معاوية إذا كان يخفي في نفسه شيئًا آخر لم يعلن عنه، سيكون هذا الموقف بالتالي مغامرة، ولا يمكن أن يقدم عليها إذا كان ذا أطماع[(٤)]. إن معاوية رضي الله عنه كان من كتّاب الوحي، ومن أفاضل الصحابة، وأصدقهم

(١) العواصم من القواصم ص (١٦٢).

(٢) لمع الأدلة في عقائد أهل السنة والجماعة ص (١١٥).

(٣) الصواعق المحرقة (٢/ ٦٢٢)

(٤) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٥٠).

لهجة، وأكثرهم حلمًا، فكيف يعتقد أن يقاتل الخليفة الشرعي ويهرق دماء المسلمين من أجل مُلْك زائل؟ وهو القائل: والله لا أخير بين أمرين، بين الله وبين غيره إلا اخترت الله علىٰ ما سواه[(١)]، وقد ثبت عن رسول: ﷺ أنه قال فيه: «**اللهم اجعله هاديًا مهديًّا واهد به**»[(٢)]، وقال: «**اللهم علمه الكتاب وقه العذاب**»[(٣)].

أما وجه الخطأ في موقفه من مقتل عثمان رضي الله عنه، فيظهر في رفضه أن يبايع لعليّ رضي الله عنه قبل مبادرته إلىٰ الاقتصاص من قتلة عثمان، ويضاف إلىٰ ذلك خوف معاوية علىٰ نفس لمواقفه السابقة من هؤلاء الغوغاء، وحرصهم علىٰ قتله بل ويلتمس منه أن يمكنه منهم، مع العلم أن الطالب للدم لا يصح أن يحكم، بل يدخل في الطاعة، ويرفع دعواه إلىٰ الحاكم، ويطلب الحق عنده[(٤)]، وقد اتفق أئمة الفتوىٰ علىٰ أنه لا يجوز لأحد أن يقتصّ من أحد ويأخذ حقه دون السلطان، أو من نصبه السلطان لهذا الأمر؛ لأن ذلك يفضي إلىٰ الفتنة وإشاعة الفوضىٰ[(٥)].

ويمكن القول: إن معاوية رضي الله عنه كان مجتهدًا متأولًا يغلب ظنه أن الحق معه، فقد قام خطيبًا في أهل الشام بعد أن جمعهم وذكّرهم أنه ولي عثمان -ابن عمه- وقد قتل مظلومًا، وقرأ عليهم الآية الكريمة: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ [الإسراء:٣٣]. ثم قال: أنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان، فقام أهل الشام جميعهم وأجابوا إلىٰ الطلب بدم عثمان، وبايعوه علىٰ ذلك، وأعطوه العهود والمواثيق علىٰ أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم حتىٰ يدركوا ثأرهم أو يفني الله أرواحهم[(٦)].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٥١).
(٢) صحيح سنن الترمذي للألباني رقم (٣٠١٨) (٣/ ٢٣٦).
(٣) فضائل الصحابة (٢/ ٩١٣).
(٤) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٥١).
(٥) تفسير القرطبي (٢/ ٢٥٦).
(٦) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٥٢).

إذا قارنّا بين طلحة والزبير رضي الله عنهم ومعاوية، لاحظنا أن طلحة والزبير رضي الله عنهم أقرب إلىٰ الصواب من معاوية من أربعة أوجه كان أولها: مبايعتهما لعلي رضي الله عنه طائعين مع اعترافهما بفضله، ومعاوية لم يبايعه وإن كان معترفًا بفضله[١]. والثاني: منزلتهما في الإسلام وعند المسلمين وسابقتهما علىٰ معاوية لاشك دونهما فيها. الثالث: أنهما أرادا قتل الخوارج علىٰ عثمان فقط ولم يتعمدا محاربة علي ومن معه في وقعة الجمل[٢]، بينما أصر معاوية علىٰ حرب عليّ ومن معه في صفين[٣] والرابع: لم يتهما عليًّا بالهوادة في أخذ القصاص من قتلة عثمان، ومعاوية ومن معه اتهموه بذلك[٤].

رابعًا: موقف معتزلي الفتنة:

اعتمد كثير من الصحابة ممن اعتزلوا الفتنة رضي الله عنهم علىٰ قول رسول الله ﷺ: «**ستكونُ فِتَنٌ القاعدُ فيها خير من القائم، والقائمُ فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تَشَرّفَ فيها تَسْتَشْرِفْهُ، فمن وَجَد منها ملجأ أو معاذًا فَلْيَعُذْ به**»[٥]. قال ابن حجر: ففي الحديث تحذير من الفتنة والحث علىٰ اجتناب الدخول فيها، وأن شرها يكون بحسب التعلق بها[٦]. وقال رسول الله ﷺ: «**إنها ستكون فتنة، يكون المضطجعُ فيها خيرًا من الجالس، والجالسُ فيها خيرًا من القائم، والقائمُ خيرًا من الماشي، والماشي خيرًا من الساعي**»، قالوا: يا رسول الله، ما تأمرنا؟ قال: «**من كانت له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه**»، قالوا: فمن لم يكن له شيء من

(١) البداية والنهاية (٨/ ١٢٩)، وفتح الباري (١٣/ ٩٢).
(٢) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١١٣)، وتاريخ الطبري (٥/ ٤٧٥).
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٦١٢ - ٦١٣).
(٤) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٣٩)، والبداية والنهاية (٧/ ٢٥٩).
(٥) البخاري، كتاب الفتن رقم (٧٠٨١).
(٦) الفتح (١٣/ ٣١).

ذلك؟ قال: «**يعمد إلىٰ سيفه فيضرب بحدّه علىٰ حرّة، ثم ليَنْجُ فا استطاع النجاء**»، وقال رسول الله ﷺ : «**يوشك أن يكون خير فال المسلم غنم، يتبع بها شَعَفَ الجبالِ وفواقِعَ القطر، يَفِرُّ بدينه من الفتن**»[(١)]، وغير ذلك من الأحاديث التي تدعو صراحة إلىٰ النهي عن الدخول في قتال الفتنة.

قال الجويني: قد صار طوائف من جلة أصحاب رسول الله إلىٰ التخلف عن القتال في زمن علي وإيثار السكون، والركون إلىٰ السلام والتباعد عن فلتطم الغوائل؛ منهم سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وكانا من العشرة المبشرين بالجنة، وممن تخلف أولًا أبو فوسىٰ الأشعري، وعبد الله بن عمر، وأسافة بن زيد، وأبو أيوب الأنصاري رضي الله عنهم، وتبع هؤلاء أمم من الصحابة ولم يشتد نكير علي عليهم[(٢)]. وقد ذهب ابن حجر رحمه الله إلىٰ أن الصحابة الذين اعتزلوا كانوا قلة، قال: ومن ثم كان الذين توقفوا عن القتال في الجمل وصفين أقل عدد من الذين قاتلوا، وكلهم فتأول فأجور إن شاء الله بخلاف من جاء بعدهم ممن قاتل علىٰ طلب الدنيا[(٣)]، وقال ابن تيمية: وأكثر أكابر الصحابة لم يقاتلوا، لا من هذا الجانب، ولا من هذا الجانب، واستدل التاركون للقتال بالنصوص الكثيرة عن النبي ﷺ في ترك القتال في الفتنة، وبينوا أن هذا قتال فتنة[(٤)].

وقد ذهب الإمام القرطبي إلىٰ أن العلة في توقف الصحابة عن المشاركة في القتال فع الإفام علي، هو أن قتال الفئة الباغية فرض كفاية وليس فرض عين، فلذلك تخلف أمثال سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة وغيرهم[(٥)]، وإليك طرفًا من أقوال الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة:

(١) البخاري، كتاب الفتن رقم (٧٠٨٨).
(٢) غياث الأمم في تياث الظلم ص (٨٥ - ٨٦).
(٣) فتح الباري (١٣/ ٣٤).
(٤) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ٥٥).
(٥) تفسير القرطبي (١٦/ ٣١٩).

١- سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

كان سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل الصحابة بعد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم صفين ولما قيل لسعد ابن أبي وقاص: ألا تقاتل؟ إنك من أهل الشورىٰ، وأنت أحق بهذا الأمر من غيرك، قال: لا أقاتل حتىٰ يأتوني بسيف له عينان ولسان وشفتان يعرف المؤمن من الكافر، فقد جاهدت وأنا أعرف الجهاد[(١)]. وأخرج مسلم من حديث عامر قال: كان سعد بن أبي وقاص في إبله فجاءه ابنه عمر، فلمّا رآه قال: أعوذ بالله من شر هذا الرّاكب. فنزل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك، وتركت النّاس يتنازعون المُلك بينهم؟ فضرب سعد في صدره فقال: اسكت. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يحب العبد التقي النقي الخفي**»[(٢)].

٢- محمد بن مسلمة:

عن الحسن أن عليًّا بعث إلىٰ محمد بن مسلمة فجيء به فقال: ما خلفك عن هذا الأمر؟ قال: دفع إليَّ ابن عمك -يعني النبي ﷺ - سيفًا فقال: «**قاتل به ما قوتل العدو، فإذا رأيت الناس يقتل بعضهم بعضًا، فاعمد به إلىٰ صخرة، فاضربه بها، ثم الزم بيتك، حتىٰ تأتيك مَنِيَّةٌ قَاضِيةٌ، أَو يَدٌ خَاطِئَةٌ**»، قال: خلوا عنه[(٣)].

٣- أبو موسى الأشعري:

عن زيد بن وهب قال:... جاءنا قتل عثمان، فجزع النّاس من ذلك، فخرجت إلىٰ صاحب لي كنت أستريح إليه، فقلت: قد منع الناس ما ترىٰ، وفينا رهط من أصحاب محمد ﷺ، فاذهب بنا إليهم، فدخلنا علىٰ أبي موسىٰ، وهو

---

(١) مجمع الزوائد (٧/ ٢٩٩) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) مسلم (٤/ ٢٢٤٤).

(٣) مسند أحمد (٤/ ٢٢٥)، وفيه انقطاع وله طريق آخر رواه الطبراني في الكبير (١٢/ ١٧٧ - ١٧٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٠١): رجاله ثقات.

أمير الكوفة، فكان قوله نهيًا عن الفتنة والأمر بالجلوس في البيوت[(١)]، وأخرج الطبري في قصة قدوم ابن عبّاس والأشتر إلىٰ الكوفة لاستنفار الناس: إنّ أبا موسىٰ قام -وكان يومها أميرًا علىٰ الكوفة- فدعا الناس إلىٰ لزوم البيوت، ووضع السيوف في أغمادها، وكان مما قاله يومئذ:... فإنها فتنة صمّاء، النّائم فيها خير من اليقظان، واليقظان فيها خير من القاعد، والقاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، فلا تكونوا جرثومة من جراثيم العرب، فاغمدوا السيوف، وانصلوا الأسنّة واقطعوا الأوتار، وأووا المظلوم المضطهد، حتىٰ يلتئم الأمر وتنجلي هذه الفتنة[(٢)]. وقال أيضًا: إنّ الفتنة إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت تبيّنت، وإن هذه الفتنة باقرة كداء البطن، تجري بها الشمال والجنوب والصّبا والدبور، فتسكن أحيانًا، فلا يدري من أين يؤتىٰ، تذر الحليم كابن أمس، شيموا سيوفكم، وقصّوا رماحكم، وأرسلوا سهامكم، واقطعوا أوتاركم، والزموا بيوتكم[(٣)]، وكان أبو موسىٰ يستدل لموقفه بما رواه عن رسول الله ﷺ من النّهي عن الدخول في الفتنة والأمر بتكسير القسي، وتقطيع الأوتار، وضرب السيوف بالحجارة، والرضا بمنزلة ابن آدم المقتول[(٤)]، فعن أبي موسىٰ الأشعري، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن بين يدي الساعة فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنًا، ويمسي كافرًا، ويمُسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، القاعد فيها خير من القائم، والماشي فيها خير من الساعي، فكَسِّروا قوْسَكم، وَقَطِّعُوا أوتاركم، واضربوا بسيوفكم الحجارة، فإن دخل** -يعني: علىٰ أحد منكم- **فيكن كخير ابْنَيْ آدم**»[(٥)].

---

(١) تاريخ ابن عساكر ص (٤٨٧ - ٤٨٨).

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٥١٣) **جراثيم العرب**: أصل العرب.

(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٥١٥)، **باقرة**: مفرقة، **الصبا**: الريح الشرقية.

(٤) أحداث وأحاديث فتنة الهرج ص (١٨١).

(٥) سنن الترمذي (٣/ ٣٣٢)، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

٤- عبد الله بن عمر:

قالت عائشة رضي الله عنها: ما أعلم رجلًا سلمه الله من أمور الناس واستقام علىٰ طريقة من كان قبله استقامة عبد الله بن عمر(١)، وعن سعيد بن جبير قال: خرج علينا عبد الله بن عمر، فرجونا أن يحُدّثنا حديثًا حسنًا، قال: فبادرنا إليه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن حدّثنا عن القتال في الفتنة، والله يقول: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ [البقرة:١٩٣]. فقال: هل تدري ما الفتنة ثكلتك أمّك؟ إنّما كان محمد ﷺ يقاتل المشركين، وكان الدّخول في دينهم فتنة، وليس كقتالكم علىٰ المُلك(٢)، وعن نافع أن رجلًا قال لابن عمر: يا أبا عبد الرحمن، ألا تسمع قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا﴾ [الحجرات:٩]. فقال: لأن أعتبر بهذه الآية فلا أقاتل، أحبّ إليّ من أن أعتبر بالآية التي يقول فيها: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا﴾ [النساء:٩٣] ألا ترىٰ أن الله يقول: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ [البقرة:١٩٣]. قد فعلنا علىٰ عهد رسول الله ﷺ إذ كان الإسلام قليلًا، وكان الرّجل يفتن في دينه، إمّا أن يقتلوه، وإمّا أن يسترقوه، حتىٰ كثر الإسلام، فلم تكن(٣) فتنة، وقد ورد أن أمير المؤمنين علي حمد لابن عمر، وسعد بن أبي وقاص هذه المنزلة التي ارتضياها، إذ قال: لله در مقام قامه سعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن عمر، إن كان برًّا إنّ أجره لعظيم، وإن كان إثمًا إنّ خطأه(٤) ليسير، وفي رواية: لله درّ منزل نزله سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر، والله إن كان ذنبًا إنه لصغير مغفور، ولئن كان حسنًا إنّه لعظيم مشكور(٥)، وقال الخطابي: وكان ابن عمر من أشّد الصحابة حذرًا من الوقوع في الفتن

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٨/ ٢٥٩).

(٢) البخاري، كتاب الفتن (٨/ ٩٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٢٨ - ٢٢٩).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٤٤).

(٥) سير أعلام النبلاء (١/ ١١٩ - ١٢٠)

وأكثرهم تحذيرًا للنّاس من الدّخول فيها، وبقي إلىٰ أيّام فتنة ابن الزّبير فلم يقاتل معه، ولم يدافع عنه، إلا أنه كان يشهد الصّلاة معه، فإذا فاتته صلاّها مع الحجّاج، وكان يقول: إذا دعونا إلىٰ الله أجبناهم، وإذا دعونا إلىٰ الشّيطان تركناهم[1]. قال ابن تيمية: ومن حين مات عثمان تفرق الناس، وعبد الله بن عمر الرجل الصّالح لحق بمكّة، ولم يزل معتزل الفتنة، حتىٰ اجتمع الناس علىٰ معاوية ﵁، مع محَبّته لعليّ، ورؤيته له أنّه هو المستحق للخلافة، وتعظيمًا له، وموالاته له، وذمّه لمن يطعن عليه، ولكن كان لا يرىٰ الدّخول في القتال بين المسلمين، ولم يمتنع عن موافقة علي إلا في القتال[2].

٥- سلمة بن الأكوع:

لما قُتل عُثمان بن عفان ﵁ خرج سلمة بن الأكوع إلىٰ الرّبذة وتزوج هناك امرأة، وولدت له أولادًا، فلم يزل بها حتىٰ أقبل قبل أن يموت بليال فنزل المدينة[3].

٦- عمران بن حصين:

قال عنه الذهبي: كان ممن اعتزل الفتنة ولم يقاتل مع علي[4]، وعن حميد بن هلال قال: لما هاجت الفتن، قال عمران بن حصين لحجير بن الربيع العدوي: اذهب إلىٰ قومك فانهم عن الفتنة. قال: إني لمغمور فيهم وما أطاع، فأبلغهم عنّي وانهم عنها. قال: وسمعت عمران يقسم بالله: لأن أكون عبدًا حبشيًّا أسود في أعنز حصبات، في رأس جبل أرعاهنّ حتّىٰ يدركني أجلي أحبّ إليّ أن أرمي أحد الصفّين بسهم أخطأت أم أصبت[5].

---

(١) العزلة للخطابي ص (٢٠. ٢١).
(٢) منهاج السنة (٦/ ٢٨٥).
(٣) البخاري، كتاب الفتن (٦/ ٢٨٥).
(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٠٩).
(٥) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ١٠)، والطبراني في الكبير (١٨/ ١٠٥) رجاله رجال الصحيح.

٧- سعيد بن العاص الأموي:

قال الذهبي: وقد اعتزل الفتنة فأحسن ولم يقاتل مع معاوية ولما صفا الأمر لمعاوية وفد سعيد إليه، فاحترمه وأجازه بمال جزيل[(١)]، وقال ابن كثير: فلما مات عثمان اعتزل الفتنة، فلم يشهد الجمل ولا صفين، فلما استقر الأمر لمعاوية وفد إليه[(٢)]، ولم يعتزل سعيد وحده بل تابعه قوم، اعتزلوا باعتزاله، حتىٰ مضت الجمل وصفين[(٣)].

٨- أسامة بن زيد:

قال الذهبي: انتفع أسامة من قول النبي ﷺ ؛ إذ يقول له: «**كيف تصنع بلا إله إلا الله يا أسامة؟**»، فكف يده، ولزم منزله، فأحسن[(٤)]. ويريد الذهبي بذلك ما رواه أسامة بن زيد حيث قال: بعثني رسول الله ﷺ في سرية، فاستبقنا أنا ورجل من الأنصار إلىٰ العدو، فحملت علىٰ رجل، فلما دنوت منه كبّر، وطعنته فقتلته، ورأينا إنما فعل ذلك ليحرز دمه، وذكر الحديث، فقال يعني النبي ﷺ : «**يا أسامة أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟**» فقلنا: يا رسول الله، إنما قالها تعوُّذًا من القتل. قال: «**أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟**» فما زال يردِّدها[(٥)]، حتىٰ قال أسامة: لوددت أنَّ ما مضىٰ من إسلامي لم يكن، وإني أسلمت يومئذ، ولم أقتله ثم قال: إني أعطي لله عهدًا، ألا أقتل رجلًا يقول: لا إله إلا الله، أبدًا. فقال النبي ﷺ : «**بعدي يا أسامة؟**» قال: بعدك[(٦)].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤٦).
(٢) البداية والنهاية (٨/ ٩١).
(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤٦).
(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٠٠ - ٥٠١).
(٥) مسلم رقم (٩٦)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١١٦).
(٦) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٠٥).

وعن حرملة، أنه قال: أرسلني أسامة إلىٰ علي وقال: إنه سيسألك الآن، فيقول ما خلف صاحبك؟ فقل له: يقول لك: لو كنت في شدق الأسد، لأحببت أن أكون معك فيه، ولكن هذا أمر[(١)] لم أره، قال ابن حجر: فاعتذر بأنه لم يتخلف ضنًّا منه بنفسه عن علي، ولا كراهة له، وإنه لو كان في أشد الأماكن هولًا لأحب أن يكون معه فيه ويواسيه بنفسه، ولكنه إنما تخلف لأجل كراهيته لقتال المسلمين[(٢)]، وفي رواية أخرىٰ عند الذهبي، عن الزهري قال: لقي علي أسامة بن زيد، فقال: ما كنا نعدك إلا من أنفسنا يا أسامة، فلم لا تدخل معنا؟ قال: يا أبا الحسن إنك والله لو أخذت بمشفر الأسد، لأخذت بالمشفر الآخر معك، حتىٰ نهلك جميعًا أو نحيا جميعًا، فأما هذا الأمر الذي أنت فيه، فوالله لا أخل فيه أبدًا[(٣)].

٩- عبد الله بن عمرو بن العاص:

فقد ورد عنه أنه لما سُئل عن خروجه مع معاوية وأبيه إلىٰ صفين، أنه لم يخرج لقتال وإنما خرج طاعة لأبيه، فعن حنظلة بن خويلد العنبري، قال: بينما أنا عند معاوية؛ إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار، فقال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال عبد الله ابن عمرو: ليطب به أحدكما نفسًا لصاحبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقتله الفئة الباغية**»، فقال معاوية: يا عمرو، ألا تغني عنا مجنونك، فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: «**أطع أباك ما دام حيًّا**»، فأنا معكم ولست أقاتل[(٤)]، وورد ما يدل علىٰ ندمه علىٰ حضوره صفين، فقد أخرج ابن سعد بسنده عن ابن أبي مليكة، قال: قال عبدالله

---

(١) البخاري، كتاب الفتن (٨/ ٦١ - ٦٧).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٦٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٦٧).

(٤) مسند أحمد (٢/ ١٦٤).

بن عمرو: مالي ولصفين، مالي ولقتال المسلمين لوددت أني مت قبلها بعشر سنين، أما والله علىٰ ذلك ما ضربت بسيفٍ، ولا رميت بسهم[(١)].

١٠- صهيب بن سنان الرومي:

قال الذهبي: وكان ممن اعتزل الفتنة وأقبل علىٰ شأنه[(٢)]، وعن جعفر بن برقان، أن ميمون بن مهران ذكر أصناف الناس واختلافهم في أمر عثمان وطلحة والزبير ومعاوية وكان مما قاله: وأما من لزم، فمنهم سعد بن أبي وقاص، وأبو أيوب الأنصاري، وعبدالله بن عمر، وأسامة بن زيد، وحبيب بن سلمه الفهري، وصهيب بن سنان، وحمد بن مسلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أكثر من عشرة آلاف من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان، قالوا جميعًا: نتولىٰ عثمان وعليًّا، ولا نتبرأ منهما، ونشهد عليهما وعلىٰ شيعتهما بالإيمان ونرجو لهم، ونخاف عليهم[(٣)].

١١- أبو أيوب الأنصاري:

أخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وخليفة بن خياط في تاريخه، وابن سعد في الطبقات عن شعبة قال: سألت الحكم: هل حضر أبو أيوب صفين؟ قال: لا، ولكن شهد يوم النهر موقعة النهروان[(٤)].

١٢- أبو هريرة:

فقد ورد أنه لم يشارك في الجمل ولا صفين وهو أحد رواة أحاديث النهي عن الدخول في الفتنة فقد قال: قال رسول الله ﷺ: «**ستكون فتن القاعدُ فيها خير من القائم، والقائمُ فيها خَيْر من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي،**

(١) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٦٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨).

(٣) دول الإسلام (١/ ٢٩)، وتاريخ دمشق ص (٥٠٣، ٥٠٥).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣٠٣)، وتاريخ خليفة ص (١٩٦)، والطبقات (٣/ ٢٤٩).

ومن تَشَرَّفَ لها تَسْتشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ»[(١)].

١٣- عبد الله بن سعد بن أبي السرح:

قال الذهبي: ولي مصر لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقيل: شهد صفين، والظاهر أنه اعتزل الفتنة وانزوىٰ إلىٰ الرملة[(٢)].

هذا غيض من فيض وقليل من كثير من أقوال الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة، فلم يشاركوا فيها، بل إن بعضهم كان يحذّر غيره من المشاركة، وهو اقتناع تكوَّن لديهم، من خلال الأحاديث التي رووها، والتي فيها النّهي عن الدّخول في الفتن التي تقع بين المسلمين، وقد فرّق هؤلاء الصحابة بين قتال الخوارج والقتال في الجمل وصفين، فقد شارك بعض في قتال الخوارج كأبي برزة وأبي أيوب الأنصاري، وهما ممن اعتزل الفتنة بين المسلمين في الجمل وصفين، وأيضًا فإن هؤلاء الصحابة الذين اعتزلوا سرعان ما بايعوا معاوية، بعد أن تنازل له الحسن ابن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الخلافة واجتمعت عليه كلمة الأمّة. وقال ابن حجر: وبايع معاوية كل من كان معتزلًا للقتال كابن عمر، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد ابن مسلمة[(٣)].

إن الذي نفهمه من خلال هذه النصوص التي أوردناها: أن علّة كفّ هؤلاء الصّحابة عن الدّخول مع أحد الطّرفين، قد يكون لان الأمور كانت مشتبهة عليهم -كما قال النووي- فلم يتبينوا المحق من المبُطل، كما يظهر من كلام سعد بن أبي وقاص، وقد يكون أنّهم لم يكونوا يرون أن القتال هو الحلّ الوحيد لهذه المشكلة، لأن الصلح خير، ومن الصلح أن يتم التنازل عن بعض الحق، جمعًا لكلمة المسلمين، ولعلنا نلمح من كلام أسامة شيئًا من هذا التوجيه، فقد

(١) مسلم، كتاب الفتن (٤/ ٢٢١١ - ٢٢١٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٣).

(٣) أحداث وأحاديث فتنة الهرج ص (٢١٢) لعبد العزيز دخان.

اعتذر لأمير المؤمنين علي بأنه لا يرىٰ القتال معه في هذا السّبيل، رغم اعترافه بإمامته وفضله[(١)].

وقد تحدث العلماء في أعذار المعتزلين:

أ- قال القرطبي: وقيل: من توقف من الصحابة حملوا الأحاديث الواردة بالكف علىٰ عمومها، فاجتنبوا ما وقع بين الصحابة من الخلاف والقتال[(٢)].

ب- قال ابن حزم: وأما من وقف فلا حجة له أكثر من أنه لم يتبين له الحق، ومن لم يتبين له الحق فلا سبيل إلىٰ مناظرته بأكثر من أن نبين له وجه الحق حتىٰ يراه[(٣)].

ج- وقال ابن حجر: والحق حمل عمل كل أحد من الصحابة المذكورين علىٰ السداد، فمن لابس القتال اتضح له الدليل، لثبوت الأمر بقتال الفئة الباغية، وكانت له القدرة علىٰ ذلك، ومن قعد لم يتضح له أي الفئتين هي الباغية، وإذا لم يكن له القدرة علىٰ القتال. وقد وقع لخزيمة بن ثابت أنه كان مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان مع ذلك لا يقاتل، فلما قتل عمار قاتل حينئذ، وحدث بحديث: «**يقتل عمارًا الفئة الباغية**» أخرجه أحمد وغيره[(٤)].

د- وقال الجصاص: فإن قيل: قد جلس عن علي جماعة من أصحاب النبي ﷺ، منهم سعد، ومحمد بن مسلمة، وأسامة بن زيد، وابن عمر، قيل له: لم يقعدوا عنه؛ لأنهم لم يروا قتال الفئة الباغية، وجائز أن يكون قعودهم عنه؛ لأنهم رأوا الإمام مكتفيًا بمن معه، مستغنيًا عنهم بأصحابه، فاستجازوا القعود عنه لذلك، ألا ترىٰ أنهم قعدوا عن قتال الخوارج؟ لا علىٰ أنهم لم يروا قتالهم

---

(١) أحداث وأحاديث فتنة الهرج ص (٢١٢) لعبد العزيز دخان.
(٢) التذكرة (٢/ ٢٢٣).
(٣) الفصل (٣/ ٧٨).
(٤) فتح الباري (١٣/ ٤٦).

واجبًا، ولكن لما وجدوا من كفاهم قتل الخوارج استغنوا عن مباشرة القتال[١].

خامسًا: وقف المتريثين في تنفيذ القصاص حتى تستقر الأحوال كأمير المؤمنين علي، ومن معه:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ينتظر حتىٰ يستتب له الأمر، ثم ينظر في شأن قتلة عثمان، فحين طالب الزبير وطلحة ومن معهم بإقامة حد القصاص عليهم اعتذر لهم بأنهم كثير، وأنهم قوة لا يستهان بها، وطلب منهم أن يصبروا حتىٰ تستقر الأوضاع وتهدأ الأمور، فتؤخذ الحقوق؛ لأن الظروف لم تكن مواتية من جلب المصالح، وقد ألمح أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلىٰ اختيار أهون الشَّرين حين قال: هذا الذي ندعوكم إليه من إقرار هؤلاء القوم -قتلة عثمان- وهو خير من شر منه، القتال والفرقة[٢]، لقد رأىٰ أمير المؤمنين أن الصلحة تقتضي تأخير القصاص لا تركه فأخر القصاص من أجل هذا، وهذا فيه أقتداء بالنبي ﷺ في حادثة الإفك، وذلك أنه تكلم في عائشة رضي الله عنها مجموعة من الناس وكان الذي تولىٰ كبرهُ عبد الله بن أبي بن سلول، فصعد النبي ﷺ وقال: «**من يعذرني في رجل وَصل أذاه إلىٰ أهلي؟**» يعني عبد الله بن أبي بن سلول، فقام سعد بن معاذ وقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله، إن كان منا معشر الأوس قتلناه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا بقتله، فقام سعد بن عبادة فرد علىٰ سعد بن معاذ، وقام أسيد بن حضير فرد علىٰ سعد بن عبادة فصار النبي ﷺ يخفضهم[٣]،عَلم أن الأمر عظيم، ذلك لأن قبل مجيء النبي ﷺ إلىٰ المدينة كان الأوس والخزرج قد اتفقوا علىٰ أن يجعلوا عبد الله ابن أبي بن سلول ملكًا عليهم، فهو له عندهم منزلة عظيمة، وهو الذي رجع بثلث الجيش في معركة أُحُد. والنبي

---

(١) أحكام القرآن (٥/ ٢٨١).

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٠).

(٣) البخاري، كتاب المغازي رقم (٤١٤١).

ه هنا ترك إقامة الحد علىٰ عبد الله بن أبي بن سلول لماذا؟ للمصلحة والمفسدة؛ إذ رأىٰ أن جلده أعظم مفسدة من تركه، وكذلك أمير المؤمنين علي رضي الله عنه رأىٰ أن تأخير القصاص أقل مفسدة من تعجيله، لأن عليًّا رضي الله عنه لا يستطيع أن يقتل قتلة عثمان أصلًا؛ لأن لهم قبائل تدافع عنهم، والأمن غير مستتب، وما زالت فتنة، ومن يقول: إنهم لن يقتلوا عليًّا رضي الله عنه؟ وقد قتلوه بعد ذلك[(١)].

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ينتظر بقتلة عثمان رضي الله عنه أن يستوثق الأمن وتجتمع الكلمة ويرفع الطلب من أولياء الدم، فيحضر الطالب للدم والمطلوب، وتقع الدعوة ويكون الجواب، وتقوم البيّنة ويجري القضاء في مجلس الحكم[(٢)]، ولا خلاف بين الأمة في أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدّىٰ ذلك إلىٰ إثارة الفتنة وتشتيت الكلمة[(٣)]، وأما ما أثير عن وجود قتلة عثمان في جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وكيف يرضىٰ أن يكون هؤلاء في جيشه؟، فقد أجاب الإمام الطحاوي عن هذه الشبهة بقوله: وكان في عسكر علّي رضي الله عنه من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يُعرف بعينه ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله[(٤)]. وعلىٰ كل حال، كان موقفه منهم موقف المحتاط منهم، المتبرئ من فعلهم، وكان راغبًا في الاستغناء عنهم بل الاقتصاص منهم، لو وجد إلىٰ ذلك سبيلًا وتجلىٰ هذا في أمرين:

١- موقفه من قتلة عثمان رضي الله عنه:

لقد أنكر علي رضي الله عنه قتل عثمان رضي الله عنه وتبرأ من دمه، وكان يقسم علىٰ ذلك

---

(١) حقبة من التاريخ ص (١٠٢).

(٢) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٥٦).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ١٧١٨).

(٤) شرح الطحاوية ص (٥٤٦).

في خطبه وغيرها أنه لم يقتله ولا أمر بقتله ولا مالأ ولا رضي، وقد ثبت ذلك عنه بطرق تفيد القطع[(١)]، خلافًا لا تزعمه الرافضة من أنه كان راضيًا بقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٢)]، وقال الحاكم بعد ذكر بعض الأخبار الواردة في مقتله: فأما الذي ادعته المبتدعة من معونة أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب، فإنه كذب وزور؛ فقد تواترت الأخبار بخلافه[(٣)]، وقال ابن تيمية: وهذا كله كذب علىٰ عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وافتراء عليه، فعلي لم يشارك في دم عثمان، ولا أمر ولا رضي، وقد روي عنه ذلك وهو الصادق البار[(٤)]، وقد قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان[(٥)]، وروىٰ الحاكم بإسناده عن قيس بن عباد قال: سمعت عليًّا يوم الجمل يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتلِ عثمان، وأنكرت نفسي وجاؤوني للبيعة فقلت: والله إني لأستحي من الله أن أبايعَ قومًا قتلوا رجلًا قال فيه رسول الله ﷺ: «**ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة**»، وإني لأستحي من الله أن أبايع وعثمان قتيل علىٰ الأرض لم يدفن بعد فانصرفوا، فلما دفن رجع الناس فسألوني البيعة فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه ثم جاءت عزيمة فبايعت، فلقد قالوا: يا أمير المؤمنين، فكأنما صدع قلبي، وقلت: اللهم خذ مني لعثمان حتىٰ ترضىٰ[(٦)].

وروىٰ الإمام أحمد بسنده عن محمد بن الحنفية قال: بلغ عليًّا أن عائشة تلعن قتلة عثمان في المربد، قال: فرفع يديه حتىٰ بلغ بهما وجهه فقال: وأنا ألعن قتلة عثمان لعنهم الله في السهل والجبل، قال مرتين أو ثلاثًا[(٧)]، وروىٰ ابن سعد

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٠٢).
(٢) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ص (٢٢٩).
(٣) المستدرك (٣/ ١٠٣).
(٤) منهاج السنة (٤/ ٤٠٦).
(٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٠٢)
(٦) المستدرك (٣/ ٩٥) حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه.
(٧) فضائل الصحابة (١/ ٥٥٥)

بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه أن عليًّا قال: والله ما قتلت عثمان ولا أمرت بقتله، ولكني نهيت، والله ما قتلت عثمان ولا أمرت ولكني غلبت، قالها ثلاثًا(١)، وجاء عنه أيضًا إنه قال رضي الله عنه: من تبرأ من دين عثمان فقد تبرأ من الإيمان، والله ما أعنت علىٰ قتله ولا أمرت ولا رضيت(٢)، وكان يثني علىٰ عثمان رضي الله عنه وقال فيه: كان أوصلنا للرحم وأتقانا للرَّب(٣). وعن عميرة ابن سعد قال: كنا مع علي رضي الله عنه علىٰ شاطئ الفرات، فمرت سفينة مرفوع شراعها فقال علي: يقول الله عز وجل: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرحمن:٢٤]. والذي أنشأها في بحر من بحاره ما قتلت عثمان ولا مالأت علىٰ قتله،(٤) وقال علي رضي الله عنه: إنما وهنت يوم قتل عثمان(٥)، وقد اعتنىٰ الحافظ ابن عساكر بجمع الطرق الواردة عن علي رضي الله عنه أنه تبرأ من دم عثمان، وكان يقسم علىٰ ذلك في خطبه وغيرها، أنه لم يقتله ولا رضي بذلك، ثبت ذلك عنه بطرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث(٦).

٢- محاولة استغنائه عن خدمات من كان منهم فيمن جيشه:

كان رضي الله عنه يعاملهم بحذر شعورًا منه بخطرهم، حتىٰ أنه لم يول أحدًا منهم عند إرادة خروجه للشام، حيث دعا ولده محمد بن الحنفية وسلم اللواء وجعل عبد الله بن عباس رضي الله عنه علىٰ الميسرة، وجعل علىٰ مقدمة الجيش أبا ليلىٰ بن عمر بن الجراح(٧)، واستخلف علىٰ المدينة قثم بن العباس رضي الله عنه(٨)، وهذه بادرة

---

(١) الطبقات (٣/ ٨٢)، والبداية والنهاية (٧/ ٢٠٢).

(٢) الرياض النضرة ص (٥٤٣).

(٣) صفة الصفوة (١/ ٣٠٦).

(٤) فضائل الصحابة (١/ ٥٥٩، ٥٦٠)

(٥) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٥/ ٦١).

(٦) البداية والنهاية (٧/ ١٩٣).

(٧) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٥٨).

(٨) تاريخ الطبري (٥/ ٤٧٠).

منه رضي الله عنه ليعلن تبرؤه من أولئك المارقين، ويثبت قدرته علىٰ السيطرة علىٰ أمر المسلمين من غير عون منهم، فقد كان له في المسلمين الموالين له والمؤيدين لخلافته ما يغنيه عن الاستعانة بهم، والتودد إليهم وهذا أقصىٰ ما يمكنه فعله بتلك الطائفة إذ ذاك، وهو كاف في عذره؛ لأنهم مئات ولهم قرابة وعشائر في جيشه، فما يأمن لو عاملهم بأكثر من هذا من الشّدة أن يمتدّ حبل الفتنة في الأمة[١]، وحين تمّ الصلح بين أمير المؤمنين علي وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم علىٰ يدي القعقاع ابن عمرو خطب أمير المؤمنين علي عشية ذلك اليوم، فذكر الجاهلية وشقاءها وأعمالها، وذكر الإسلام وسعادة أهله بالألفة والجماعة، وأن الله جمعهم بعد نبيه ﷺ علىٰ الخليفة أبي بكر ثم بعده علىٰ عمر بن الخطاب، ثم علىٰ عثمان رضي الله عنه، ثم حدث هذا الحدث الذي جرّه علىٰ الأمة أقوام -قتلة عثمان- طلبوا الدنيا وحسدوا من أنعم الله بها عليه، وعلىٰ الفضيلة التي منّ الله بها، وأرادوا ردّ الإسلام والأشياء علىٰ أدبارها، والله بالغ أمره[٢]، ثم قال: ألا وإني راحل غدًا فارتحلوا، ولا يرتحلنّ غدًا أحد أعان علىٰ عثمان بشيء في شيء من أمور الناس، وليغني السفهاء عني أنفسهم[٣].

ويناقش الإمام الباقلاني موضوع توقيع عقوبة القصاص علىٰ قتلة عثمان، مبديًا رأيه لوقف عليّ رضي الله عنه في تأخير إجراء القصاص إلىٰ حين إمكانه، فيقول: وعلىٰ أنه إذا ثبت أن عليًّا ممن يرىٰ قتل الجماعة بالواحد، فلم يجز أن يقتل جميع قتلة عثمان إلا بأن تقوم البيّنة علىٰ القتلة بأعيانهم، وبأن يحضر أولياء الدم مجلسه، ويطلبوا بدم أبيهم ووليهم. وبأن يؤدي الإمام اجتهاده إلىٰ أن قتل قتلة عثمان لا يؤدي إلىٰ هرج عظيم، وفساد شديد قد يكون فيه مثل قتل عثمان أو

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٥٩).

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٥٢٥).

(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٥٢٥).

أعظم منه، وإن تأخير إقامة الحدّ إلىٰ وقت إمكانه وتقصّي الحق فيه أولىٰ وأصلح للأمة وألّم لشعثهم وأنفىٰ للفساد والتهمة عنهم[١]، ويبرر ابن حزم موقف علي رضي الله عنه في تأخير القصاص من قتلة عثمان بقوله: فنقول وبالله التوفيق، أما قولهم: إن أخذ القود من قتلة عثمان الحاربين لله تعالىٰ ولرسوله، الساعين في الأرض بالفساد، والهاتكين حرمة الإسلام والحرم والإمامة والهجرة والخلافة والصحبة والسابقة فنعم، وما خالفهم عليّ قط في ذلك ولا في البراءة منهم، ولكنهم كانوا عددًا ضخمًا جمًّا لا طاعة له عليهم، فقد سقط عن علّي رضي الله عنه ما لا يقدر عليه، كما سقط عنه وعن كل مسلم ما عجزِ عنه من قيام بالصلاة والصوم والحج ولا فرق، قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقال رسول الله ﷺ: «**إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم**»[٢]. ولو أن معاوية بايع عليًّا لقوي به علىٰ أخذ الحق من قتلة عثمان، فصح أن الاختلاف هو الذي أضعف يد عليّ علىٰ إنفاذ الحق عليهم، ولولا ذلك لأنفذ الحق عليهم كما أنفذه علىٰ قتلة عبدالله بن خباب، إذ قدر علىٰ مطالبة قتلته[٣].

وينقل ابن العربي وجهة نظر علي بقوله: وعليّ يقول: لا أمكّن طالبًا من مطلوب ينفذ فيه مراده بغير حكم ولا حاكم[٤] ثم يعقب: أما وجود الحرب بينهم فمعلوم قطعًا، وأما كونه لهذا السبب، أي بسبب الخلاف حول القصاص من قتلة عثمان، فمعلوم كذلك قطعًا، وأما الصواب فيه فمع عليّ، لأن الطالب للدم لا يصح أن يحكم، وتهمة الطالب للقاضي لا توجب عليه أن يخرج عليه،

---

(١) التمهيد للباقلاني ص (٢٣١)، وتحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٥٩).

(٢) البخاري، كتاب الاعتصام (٨/ ١٤٢).

(٣) الفصل في الملل والنحل (٤/ ١٦٢).

(٤) العواصم من القواصم ص (١٦٣).

بل يطلب الحق عنده، فإن ظهر له قضاء وإلا سكت وصبر، فكم من حق يحكم الله فيه.. وأي كلام كان يكون لعليّ -لما تمت له البيعة- لو حضر عنده وليّ عثمان وقال له: إن الخليفة قد تمالأ عليه ألف تسمة حتىٰ قتلوه، وهم معلومون، ماذا كان يقول إلا أثبت وخذ، وفي يوم يثبت، إلا أن يثبتوا هم - أي قتلته- أن عثمان كان مستحق للقتل، وبالله لتعلمن يا معشر المسلمين أنه ما كان يثبت علىٰ عثمان ظلم أبدًا، وكان يكون الوقت أمكن للطلب وأرفق في الحال، وأيسر وصولًا إلىٰ المطلوب(١). إن عليًّا كان رضي الله عنه إمامًا، وإن كل من خرج عليه باغ، وإن قتاله واجب حتىٰ ينقاد إلىٰ الحق، ولا شك أن ردّه علىٰ أهل الشام بدخولهم في البيعة ثم يطلبون الحق -أي: القصاص من قتلة عثمان- كان في ذلك أسد رأيًا وأصوب قيلًا؛ لأنه لو اقتص من قتلة عثمان، والأمر لم يستتب له بعد لتعصّب لهؤلاء قبائلهم، فتصير حربًا ثالثة، فكان ينتظر أن يمسك بزمام الأمر، ليقع الطلب من هؤلاء الجناة، ويجري القضاء فيهم بالحق(٢). وذكر عبد القاهر البغدادي في كتاب «**الإمامة**» ما هذا نصه: أجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريقي الحديث والذين منهم: مالك والشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي والجمهور الأعظم من المتكلمين أن عليًّا مصيب في قتاله لأهل صفين، كما قالوا بإصابته في قتل أهل الجمل، وقالوا أيضًا: لأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له، ولكن لا يجوز تكفيرهم ببغيهم(٣).

ويلخص ابن تيمية رأي عليّ رضي الله عنه في قوله: فهو يرىٰ أنه يجب علىٰ معاوية وأصحابه طاعته ومبايعته.. وأنهم خارجون عن طاعته، يمتنعون عن هذا الواجب، وهم أهل شوكة، رأىٰ أن يقاتلهم حتىٰ يؤدوا هذا الواجب، فتحصل

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٦١).

(٢) وتحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٦١).

(٣) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٦٢).

الطاعة والجماعة[(١)].

إنّ تأخير عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إقامة الحدّ الشرعي علىٰ قتلة عثمان، كان عن ضرورة قائمة ومعلومة بالنسبة له فلما انتقل من المدينة إلىٰ العراق ليكون علىٰ مقربة من الشام انتقل معه قتلة عثمان المندسّين في جيشه وهم كثرة، ولاسيما أهل الكوفة والبصرة منهم، فصاروا في معقل قوتهم وعنجهية قبائلهم، فكان عليّ يرىٰ أن إقامة الحدّ عليهم سيفتح عليه بابًا ربما لا يستطيع سدّه بعد ذلك، وقد انتبه لهذه الحقيقة الصحابي الجليل القعقاع بن عمرو التميمي وتحدث بها مع أم المؤمنين وطلحة والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم فأذعنوا له وعذروا عليًّا، ووافقوا علىٰ موقفه ذاك، ورأيه السديد المتمثل في دفع أدنىٰ المفسدتين، وارتكاب أخف الضررين، إن السياسة الحكيمة تقضي بما كان ينادي به. أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من: التريث والأناة وعدم الاستعجال؛ إذ إن الأمر يحتاج إلىٰ وحدة الصف والكلمة لإيجاد موقف موحد، ومواجهة ذلك التحدي الذي يهدد مركز الخلافة، بيد أن الخلاف في الرأي أضعف مركز الخليفة الجديد، وقضىٰ علىٰ كل الآمال في أخذ القصاص من قتلة عثمان[(٢)]، وهناك أدلة قوية تبين أن عليًّا كان محقًّا أكثر من طلحة والزبير ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم منها:

١- ما رواه البخاري من طريق أبي سعيد الخُدري نهت عن رسول الله ﷺ قال: «**ويح عمّار تقتله الفئة الباغية**»[(٣)]. يقول ابن حجر: وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة وفضيلة ظاهرة لعليّ وعمار، وردّ علىٰ النواصب الزاعمين أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يكن مصيبًا في حروبه[(٤)]، ويقول النووي بأن الروايات -أي: عن

(١) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ٧٢).

(٢) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٦٣).

(٣) البخاري، كتاب الجهاد (٣/ ٢٠٧).

(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٩).

النبي ﷺ - صريحة في أنّ عليًا رضي الله عنه كان هو المصيب المحق، والطائفة الأخرىٰ أصحاب معاوية كانوا بغاة متأولين، وفيها التصريح بأن أصحاب الطائفتين مؤمنون لا يخرجون بالقتال عن الإيمان ولا يفسقون[(١)].

٢- وجاء في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ذكر النبي ﷺ قومًا يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحالق قال: «**هم شر الخلق يقتلهم أدنىٰ الطائفتين إلىٰ الحق**»[(٢)]. وفي رواية: «**يخرجون علىٰ فرقة مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق**». ففي الحديث دلالة واضحة في أن عليًّا رضي الله عنه كان أدنىٰ إلىٰ الحق من مخالفيه في الجمل وصفين.

سادسًا: خروج الزبير وطلحة وعائشة ومن معهم إلى البصرة للإصلاح:

قدم طلحة والزبير إلىٰ مكة ولقيا عائشة رضي الله عنهم وكان وصولهما إلىٰ مكة بعد أربعة أشهر من مقتل عثمان تقريبًا، أي في ربيع الآخر من عام ٣٦هـ[(٣)]، ثم بدأ التفاوض في مكة مع عائشة، رضي الله عنها، للخروج، وقد كانت هناك ضغوط نفسية كبيرة علىٰ أعصاب الذين وجدوا أنفسهم لم يفعلوا شيئًا لإيقاف عملية قتل الخليفة المظلوم، فقد اتهموا أنفسهم بأنهم خذلوا الخليفة وأنه لا تكفير لذنبهم هذا - حسب قولهم- إلا الخروج للمطالبة بدمه، علمًا بأن عثمان هو الذي نهىٰ كل من أراد أن يدافع عنه في حياته تضحية في سبيل الله، فعائشة تقول: إن عثمان قُتل مظلومًا والله لأطالبن بدمه[(٤)]، وطلحة يقول: إنه كان مني في عثمان شيء ليس توبتي إلا أن يسفك دمي في طلب دمه[(٥)]، والزبير يقول: نُنهض الناس

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٥).
(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٤).
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٧).
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٧).
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٤٧٦).

فيدرك بهذا الدم لئلا يَبْطل، فإن في إبطاله توهين سلطان الله بيننا أبدًا، إذا لم يُفطم الناس عن أمثالها لم يبق إمام إلا قتله هذا الضرب[(١)].

فهذا الإحساس الضاغط علىٰ الأعصاب والنفوس كان كفيلًا بأن يحرك الناس ويخرجهم من راحتهم واستقرارهم، بل كانوا يخرجون وهم يدركون أنهم يخرجون إلىٰ أهوال قادمة مجهولة، فكل واحد منهم خرج من بيته وهو غير متوقع العودة مرة أخرىٰ؛ فشيعة أولاده بالبكاء وسمي يوم خروجهم من مكة نحو البصرة بيوم النحيب، فلم يُرَ يوم كان أكثر باكيًا علىٰ الإسلام، أو باكيًا له من ذلك اليوم[(٢)].

لقد توافرت مجموعة من العوامل في مكة جعلتهم يفكرون في طريقة جادة لتحقيق مطلبهم، ومن هذه العوامل: أن بني أمية قد هربوا من المدينة واستقروا في مكة، ومنها: أن عبد الله بن عامر - أمير البصرة في عهد عثمان- كان في مكة وهو يحث علىٰ الخروج ويعرض المعونة المادية، ومنها: أن يعلىٰ بن أمية الذي خرج من اليمن لإعانة الخليفة عثمان وصل إلىٰ مكة، وقد قتل الخليفة ومع من المال والسلاح والدواب شيء لا بأس به، فعرض كل ذلك للمساعدة في قتل عثمان، فكان هذا كفيلًا لتشجيع الباحثين عن طريقة لمطاردة قتلة عثمان، وما دامت العوامل قد توافرت لجمع قوة تطالب بدم عثمان فمن أين يبدءون؟ دار حوار بينهم حول الجهة التي يتوجهون إليها فقال بعضهم - علىٰ رأسهم السيدة عائشة-: إن المدينة هي وجهتهم، وظهر رأىٰ آخر يطلب التوجه إلىٰ الشام ليتجمعوا معًا ضد قتلة عثمان، وبعد نظر طويل قرَّ رأيهم علىٰ البصرة، لأن المدينة فيها كثرة ولا يقدرون علىٰ مواجهتهم لقلتهم، ولأن الشام صار مضمونًا لوجود معاوية، ومن ثم يكون دخولهم البصرة أولىٰ في هذه الخطة لأنها أقل

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٩).

(٢) دراسات في عهد النبوة: ص (٤١٩).

البلدان قوة وسلطة، ويستطيعون من خلالها تحقيق خطتهم[(١)]، وكانت خطتهم ومهمتهم واضحة سواء قبل خروجهم، أو أثناء طريقهم، أو عند وصولهم إلىٰ البصرة وهي: المطالبة بدم عثمان، والإصلاح، وإعلام الناس بما فعل الغوغاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن هذا المطلب هو لإقامة حد من حدود الله، وأنه إذا لم يؤخذ علىٰ أيدي قتلة عثمان رضي الله عنه فسيكون كل إمام معرضًا للقتل من أمثال هؤلاء، وأما الطريقة التي تصورها فهي الدخول إلىٰ البصرة ثم الكوفة، والاستعانة بأهلها علىٰ قتلة عثمان منهم أو من غيرهم ثم يدعون أهل الأمصار الأخرىٰ لذلك حتىٰ يُضيقوا الخناق علىٰ قاتلي عثمان الموجودين في جيش عليّ فيأخذونهم بأقل قدر ممكن من الضحايا[(٢)].

لم يكن الخروج إلىٰ البصرة والغضب الذي حرك الصحابة من البساطة التي ظهرت للناس كثأر لعثمان رضي الله عنه، وكأنه رجل من عوام الناس قُتل، فخرجت الجيوش في الطلب له بثأره، رغم كونه حدًا من حدود الله يستوجب الغضب ويستدعىٰ حدوث ذلك، ولكن مكانة عثمان وشخصيته ومكانته المعنوية كخليفة، وقتله بالصورة التي تمت، كان فوق ذلك، ومعه اغتيال لصفة شرعية هي «الخلافة» التي يفهمها المسلمون: نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين، وسياسة الدنيا به[(٣)]، فالاعتداء عليها دون وجه حق اعتداء علىٰ صاحب الشرع وتوهين لسلطانه، وضياع لنظام المسلمين[(٤)].

كانت السيدة عائشة والزبير وطلحة ومن معهم يسعون لإيجاد رأىٰ إسلامي عام في مواجهة الطغمة السبئية التي قتلت عثمان، وأصبحت ذات شوكة

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٧).

(٢) دراسات في عهد النبوة: ص (٤١٩).

(٣) مقدمة ابن خلدون: ص (١٩١).

(٤) دور المرأة السياسي: ص (٣٩١).

لا يستهان بها، وذلك من خلال تعريف المسلمين بما أتىٰ هؤلاء السبئيون والغوغاء من أهل الأمصار ونزّاع القبائل، ومن ظاهرهم من الأعراب والعبيد، فلقد بات واضحًا عند الصحابة من الفريق الذي كان يرىٰ رأي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن الغوغاء والسبئيين لهم وجود في جيش عليّ، وأنه لأجل ذلك فإن عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصعب عليه مواجهتهم، خشية منه علىٰ أهل المدينة، ومن ثم فإنه ينبغي عليهم أن يحاولوا السعي لإفهام المسلمين، وتقوية الجانب المطالب بإقامة الحدود، لتتم إقامتها بأقل الخسائر في دماء الأبرياء، وهو هدف لا نشك أن عليًا كان يسعىٰ إليه، ويحاوله، بل إن الروايات التي مرت معنا في المحاورة بين الزبير وطلحة وعليّ تدل علىٰ ذلك، ثم إن هذا السلوك منهم، وهذه النية في تعريف الناس، وتوضيح الأمور لهم، دليل علىٰ وعىٰ تام منهم بأساليب السبئية في اللعب بأفكار العامة، وتوجيهها علىٰ النحو الذي ينخر في الأمة حتىٰ لا تستقر علىٰ حال، فكان لابد من موجهتها في ميدان الأفكار، لإبطال عملها، ولقد تبين هذا العمل واضحًا، وصريحًا في الروايات الصحيحة[1]، التي تحدثت فيها السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن أهداف هذا الخروج، فروىٰ الطبري أن عثمان بن حنيف - وهو والىٰ البصرة من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - أرسل إلىٰ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند قدومها البصرة يسألها عن سبب قدومها، فقال: والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم، ولا يغطىٰ لبنية الخبر، إن الغوغاء من أهل الأمصار، ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله ﷺ وأحدثوا فيه الأحداث، وآووا فيه المحدثين، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر؛ فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه، وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام، والشهر الحرام، ومزقوا الأعراض والجنود، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم، ضارين مضرين غير نافعين ولا متقين، ولا يقدرون علىٰ

(١) دور المرأة السياسي: ص (٣٩٤).

امتناع ولا يأمنون، فخرجت في المسلمين أُعلمهم ما أتىٰ هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا، وقرأت ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء:١١٤]، فنهض في الإصلاح ممن أمر الله ﷻ وأمر رسول الله ﷺ الصغير والكبير والذكر والأنثىٰ، فهذا شأننا إلىٰ معروف نأمركم به وتحضكم عليه ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم علىٰ تغييره(١).

وروىٰ ابن حبان أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كتبت إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري - وإلىٰ عليّ علىٰ الكوفة-: فإنه قد كان من قتل عثمان ما قد علمت، وقد خرجت مصلحة بين الناس، فمر من قبلك بالقرار في منازلهم، والرضا بالعافية حتىٰ يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين(٢).

ولما أرسل عليّ القعقاع بن عمرو لعائشة ومن كان معها يسألها عن سبب قدومها، دخل عليها القعقاع فسلم عليها، وقال: أي أُمه، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بنيٰ، إصلاح بين الناس(٣).

وبعد انتهاء الحرب يوم الجمل جاء عليّ إلىٰ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقال لها: غفر الله لك. قالت: ولك، ما أردت إلا الإصلاح(٤). فتقرر أنها ما خرجت إلا للإصلاح بين الناس، وفيه رد علىٰ من طعن في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من الشيعة الرافض في قولهم: إنها خرجت من بيتها وقد أمرها الله بالاستقرار فيه في قوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣]، فإن سفر الطاعة لا ينافي القرار في البيت وعدم الخروج منه إجماعًا، وهذا ما كانت تراه أم المؤمنين - عائشة - في

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٩).
(٢) الثقات لابن حبان (٢/ ٢٨٢).
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٥٢٠).
(٤) شذرات الذهب (١/ ٤٢).

خروجها للإصلاح للمسلمين وكان معها محرمها ابن أختها عبد الله بن الزبير(١).

قال ابن تيمية في الرد علىٰ الرافضة في هذه المسألة: فهي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لم تتبرج تبرج الجاهلية الأولىٰ، والأمر بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة مأمور بها، كما لو خرجت للحج والعمرة، أو خرجت مع زوجها في سفره، فإن هذه الآية قد نزلت في حياة النبي ﷺ وقد سافر بهن رسول الله ﷺ بعد ذلك، كما سافر في حجة الوداع بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وغيرها، وأرسلها مع عبد الرحمن أخيها فأردفها خلفه، وأعمرها من التنعيم، وحجة الوداع كانت قبل وفاة النبي ﷺ بأقل من ثلاثة أشهر، بعد نزول هذه الآية، ولهذا كان أزواج النبي ﷺ يحججن بعده كما كن يحججن معه، في خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره، وكان عمر يوكل بقطارهن عثمان، أو عبد الرحمن بن عوف، وإذا كان سفرهن لمصلحة جائزًا، فعائشة اعتقدت أن ذلك السفر مصلحة للمسلمين فتأولت في ذلك(٢).

ويقول ابن العربي: وأما خروجها إلىٰ حرب الجمل فما خرجت لحرب ولكن تعلق الناس بها وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة وتهارج الناس، ورجوا بركتها في الإصلاح، وطمعوا في الاستحياء منها إذا وقفت للخلق، وظنت هي ذلك، فخرجت مقتدية بالله في قوله: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء:١١٤]. والأمر بالإصلاح، مخاطب به جميع الناس من ذكر أو أنثىٰ حر أو عبد(٣).

وهذه بعض الأمور المهمة في خروجها:

١- هل أُكرهت السيدة عائشة علىٰ الخروج؟ زعم اليعقوبي أن الزبير بن العوام أكره السيدة عائشة علىٰ الخروج(٤)، وقال بهذا القول صاحب الإمامة

(١) الانتصار للصحب والآل: ص (٤٤٤).
(٢) منهاج السنة (٤/ ٣١٧ - ٥٧٠).
(٣) أحكام القرآن (٣/ ٥٦٩، ٥٧٠).
(٤) تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٨٠، ٢٠٩).

والسياسة[(١)]، وابن أبي الحديد[(٢)]، وكذلك فعل الدينوري[(٣)]، وألمحت الرواية التي ذكرها الذهبي بأن المتسلط عليها هو عبد الله بن الزبير[(٤)] - ابن أختها أسماء - وسار على هذه الروايات كثير من الباحثين، كمحمد سيد الوكيل[(٥)]؛ فقد زعم أن الزبير وطلحة شجعا عائشة على الخروج، وزاهية قدورة[(٦)] وغيرهما، وهذا غير صحيح، فقد قامت السيدة عائشة بالمطالبة بثأر عثمان منذ اللحظة التي علمت فيها بمقتله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقبل أن يصل الزبير وطلحة وغيرهما من كبار الصحابة إلى مكة؛ ذلك أنه قد روى أنها لما انصرفت راجعة إلى مكة أتاها عبد الله بن عامر الحضرمي فقال: ما ردك يا أم المؤمنين؟ قالت: ردّني أن عثمان قُتل مظلومًا، وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر، فاطلبوا دم عثمان تعزُّوا الإسلام. فكان عبد الله أول من أجابها[(٧)]، ولم يكن طلحة والزبير قد خرجا من المدينة، وإنما خرجا منها بعدما مر على مقتل عثمان أربعة أشهر[(٨)].

٢- هل كانت متسلطة على من معها؟ كان فيمن خرج معها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا جمع من الصحابة، ولم تكن السيدة عائشة المرأة المتسلطة التي تحرك الناس حيث شاءت - كما زعم بروكلمان[(٩)]، ولقد أكدت روايات الطبري تأييد أمهات المؤمنين لها، ولمن معها في السعي للإصلاح، بل وتأييد عدد غير قليل من أهل

---

(١) الإمامة والسياسة (١/ ٥٨، ٦٩).

(٢) شرح نهج البلاغة (٩/ ١٨).

(٣) الأخبار الطوال: ص (١٤٥).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٩٣).

(٥) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين: ص (٥٢٦).

(٦) عائشة أم المؤمنين: ص (١٨٤).

(٧) تاريخ الطبري (٥/ ٤٧٥).

(٨) تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٩).

(٩) تاريخ الشعوب الإسلامية: ص (١١١، ١١٤، ١١٧).

البصرة لها[١]، وكان هذا العدد غير القليل ممن لا يستهان بهم، فلقد وصفهم طلحة والزبير بأنهم خيار أهل البصرة ونجباؤهم، ووصفتهم السيدة عائشة بأنهم الصالحون، وما كان خروج هذا العدد من الصالحين إلا عن اعتقاد راسخ بجدوىٰ هذا الخروج وصواب مقصده، وكان أمير المؤمنين يعلم هذا، ويرد الزعم الذي زعمه البعض من أن الخارجين مع السيدة عائشة كانوا جموعًا من السفهاء والغوغاء والأوباش، فلقد وقف أمير المؤمنين بعد معركة الجمل بين القتلىٰ من فريق عائشة، يترحم عليهم ويذكر فضلهم[٢].

وسيأتي بيان ذلك أنه لم يكن خروجًا غوغائيًا، تحكمت فيه السيدة عائشة في أناس غير راشدين، بل كان خروجًا واعيًا شارك فيه بعض الصحابة الكبار[٣].

٣- موقف أزواج النبي ﷺ من الخروج للطلب بدم عثمان: كانت أزواج النبي ﷺ قد خرجن إلىٰ الحج في هذا العام فرارًا من الفتنة، فلما بلغ الناس بمكة أن عثمان قد قُتل أقمن بمكة، وكن قد خرجن منها فرجعن إليها، وجعلن ينتظرون ما يصنع الناس ويتحسسن الأخبار، فلما بويع عليّ خرج عدد من الصحابة من المدينة كارهين المقام بها بسبب الغوغاء من أهل الأمصار، فاجتمع بمكة منهم خلق كثير من الصحابة وأمهات المؤمنين[٤]، وكانت بقية أمهات المؤمنين قد وافقن عائشة علىٰ السير إلىٰ المدينة، فلما اتفق رأىٰ عائشة ومن معها من الصحابة علىٰ السير إلىٰ البصرة، رجعن عن ذلك وقلن: لا نسير

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٧٥).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٥٧٤).
(٣) دور المرأة السياسي: ص (٣٨٥).
(٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٤١).

إلىٰ غير المدينة[(١)]. كان الخروج في أمر عثمان إذن غير مختلف عليه بين أمهات المؤمنين، لكنهن اختلفن حين تغيرت الوجهة من المدينة إلىٰ البصرة، غير أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وافقت عائشة علىٰ السير إلىٰ البصرة، وإنما عزم عليها أخوها عبد الله كي لا تخرج، فلم يكن عدم خروجها ناتجًا عن اقتناع منها[(٢)]، وقالت لعائشة: إن عبد الله حال بيني وبين الخروج، وأرسلت إلىٰ عائشة بعذرها[(٣)]. وتكاد الروايات الشائعة تبدي أن أم سلمه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لم تكن ترىٰ رأي عائشة ومن معها في الخروج إلىٰ البصرة، وأنها كانت ترىٰ ما يراه علي[(٤)]، غير أن أقرب الروايات إلىٰ الصحة هي أنها أرسلت إلىٰ عليّ ابنها عمر ابن أبي سلمه قائلة: والله لهو أعز علي من نفسي، يخرج معك فيشهد مشاهدك. فخرج فلم يزل معه[(٥)].

وهي رواية عند التحقيق لا يتبين لنا منها أن هذا الإرسال لابنها يعني أنها كانت تخالف أمهات المؤمنين في القول بالإصلاح بين المسلمين، فعائشة نفسها ومن معها لم يكونوا يرون أنهم بهذا الخروج يخالفون عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أو يخرجون علىٰ خلافته كما رأينا، وكما سوف تؤكد لنا الأحداث، كما أننا لم نجد في الروايات الصحيحة ما يدل علىٰ خروجها علىٰ إجماع أمهات المؤمنين في أهمية السعي للإصلاح[(٦)]، وكانت أمهات المؤمنين يعلمن أن هذا الخروج في الإصلاح بين المسلمين مما يدخل في معنىٰ الفرض الكفائي، والضابط فيه أن

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٤١).

(٢) دور المرأة السياسي: ص (٣٨٦).

(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٧).

(٤) أنساب الأشراف (٤/ ٢٢٤).

(٥) أسد الغابة (٤/ ١٦٩)، الإصابة (٤/ ٤٨٧).

(٦) دور المرأة السياسي: ص (٣٨٧).

الطلب فيه ليس متوجهًا إلىٰ جميع المكلفين، بل هو إلىٰ ما فيه أهلية القيام به، لا علىٰ الجميع عمومًا، ولقد كانت أهلية القيام بهذا الإصلاح بين المسلمين متوافرة تمامًا في السيدة عائشة: مكانة وسنًا وعلمًا وقدرة، وكانت عائشة أكثرهن فقهًا بإجماع جمهور المسلمين[1]، كما أنها كانت تهتم بالأمور العامة، فكانت صاحبة شخصية ثقافية واسعة، تكونت منذ نشأتها في بيت أبي بكر العالم بأيام العرب وأنسابهم، ومن عيشها في بيت رسول الله ﷺ الذي خرجت منه أسس سياسة الدولة الإسلامية، ثم هي بنت الخليفة الأول للمسلمين، وقد أكد العلماء هذه المكانة للسيدة عائشة، فقد قال عروة بن الزبير: لقد صحبت عائشة، فما رأيت أحدًا قط كان أعلم بآية أنزلت، ولا بفريضة ولا بسنة، ولا بشعر، ولا أروىٰ له، ولا بيوم من أيام العرب، ولا بنسب، ولا بكذا، ولا بكذا.. ولا بقضاء، ولا بطب منها[2].

كان الشعبي يذكرها فيتعجب من فقهها وعلمها، ثم يقول: ما ظنكم بأدب النبوة؟! وكان عطاء يقول: كانت عائشة أفقه الناس، وأحسن الناس رأيًا في العامة[3].

وكان الأحنف بن قيس سيد بنىٰ تميم، وأحد بلغاء العرب يقول: سمعت خطبة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلىٰ، والخلفاء بعدهم.. فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم، ولا أحسن منه في عائشة. وكان معاوية يقول مثل هذا[4]. هذا وقد خرج أمهات المؤمنين مودعات للسيدة عائشة حين خرجت للبصرة،

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٣).
(٣) المصدر نفسه (٢/ ١٨٥).
(٤) المصدر نفسه (٢/ ١٨٣).

وفي ذلك معنىٰ من معاني المعاونة والتشجيع لها علىٰ أمرها[١].

٤- مرور السيدة عائشة علىٰ ماء الحوأب: ثبت مرور السيدة عائشة علىٰ ماء الحوأب من طرق صحيحة؛ فعن يحيىٰ بن سعيد بن القطان، عن إسماعيل ابن أبي خالد، عن قيس ابن حازم أن رسول الله ﷺ قال لأزواجه: «**كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب**»[٢]. ومن طريق شعبة عن إسماعيل ولفظ شعبة: أن عائشة لما أتت علىٰ الحوأب سمعت نباح الكلاب، فقالت: ما أظنني إلا راجعة، إن رسول الله ﷺ قال لنا: أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب. فقال لها الزبير: أترجعين؟ عسىٰ الله ﷻ أن يُصلح بك بين الناس[٣]. وبهذا اللفظ أخرجه يعلىٰ بن عبيد عن إسماعيل، وهو عند الحاكم[٤]، وقال الألباني: إسناده صحيح جدًا وقال: صححه من كبار أئمة الحديث: ابن حبان، والذهبي، وابن كثير، وابن حجر[٥]. فهذه الروايات الصحيحة، ليس فيها شيء من شهادة الزور أو التدليس الذي يتنزه عنه مقام الصحابة والذي زعمته الروايات الضعيفة[٦] التي سيأتي بيانها. إن المتأمل لهذه الروايات التي صححها العلماء لا يجد في أي منها ما يدل علىٰ نهي عن شيء، أو أمر بشيء لتفعله السيدة عائشة، بل إن ما يفهم منها هو تساؤله عن أيتهن التي يحدث أن تمر علىٰ ماء الحوأب؟ والروايات الدالة علىٰ النهي، والتي بها لفظة إياك في الأثر الوارد: «**إياك أن تكوني يا حميراء**»[٧] لم يصححها العلماء، وإنما ضعفت، ومن هنا فإن الصحيح الذي

(١) دور المرأة السياسي: ص (٣٨٩).
(٢) مسند أحمد (٦/ ٩٧).
(٣) مسند أحمد (٦/ ٩٧).
(٤) المستدرك (٣/ ١٢٠).
(٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٧٦٧) رقم (٤٧٤).
(٦) دور المرأة السياسي: ص (٤٠٥).
(٧) قال الذهبي: كل حديث فيه يا حميراء لا يصح، سير أعلام النبلاء (٢/ ١٦٧، ١٦٨)..

نذهب إليه هو أن مرور السيدة عائشة علىٰ ماء الحوأب لم يكن له الأثر السلبي الذي افتعلته الروايات الموضوعة، ولم يكن له الأثر البعيد علىٰ السيدة عائشة نفسها بحيث تفكر جديًّا في الرجوع عما خرجت له من إصلاح بين المسلمين، وسعىٰ لتسديد خطاهم، ولم يعد الأمر أن يكون «ظنًا» منها في احتمال الرجوع، وهذا هو ما عبرت عنه حين قالت: ما أظنني إلا راجعة وهو ظن لم يتلبث إلا يسيرًا ثم عاد هدفها واضحًا بعدما ذكرها الزبير بما عسىٰ الله أن يجريه علىٰ يديها من إصلاح بين المسلمين[١]، لقد كانت وما زالت مسألة ماء الحوأب والأحاديث المذكورة فيها مجالًا خصبًا للشيعة وغيرهم يطعنون بها علىٰ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ويدينون بها خروجها في شأن الطلب بدم عثمان، حتىٰ انتهىٰ بهم الأمر إلىٰ نفي صفة الاجتهاد عنها، بدعوىٰ مخالفتها - في زعمهم - لنهي الرسول ﷺ لها عن أن ترد ماء الحوأب، وقد ذكرت المصادر التاريخية هذه القصة، فقد جاءت عند الطبري في رواية طويلة، يرويها إسماعيل بن موسىٰ الفزاري قال عنه ابن عدي: أنكروا منه الغلو والتشيع[٢]. ويروي الفزاري هذا الخبر عن علىٰ بن عابس الأزرق، وهو ضعيف قاله ابن حجر والنسائي[٣]، وهو يروي هذا الخبر عن الخطاب الهجري وهو مجهول[٤]، وهذا الهجري المجهول، يرويه عن مجهول آخر هو صفوان بن قبيعة الأحمسي[٥]، ثم أخيرًا عن شخصية أشد جهالة هي شخصية العزني صاحب الجمل، وما هو بصاحب الجمل، وإنما صاحبه هو يعلىٰ بن أمية[٦].

---

(١) دور المرأة السياسي: ص (٤٠٦).

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال (١/ ٥٢٨)، ميزان الاعتدال (١/ ٤١٣).

(٣) تقريب التهذيب (١/ ٦٩٧).

(٤) تقريب التهذيب (٢/ ٣٩٢)، دور المرأة السياسي: ص (٤٠٠).

(٥) ميزان الاعتدال (٣/ ٤٣٤)، لسان الميزان (٣/ ٢٢٥)..

(٦) أسد الغابة (٥/ ٤٨٦)، دور المرأة السياسي: ص (٤٠٠).

وفي متن هذه الرواية ما يجد القارئ من رائحة التشيع والرفض الواضحة في آخر الرواية، حيث تزعم علىٰ لسان عليّ أنه كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرىٰ أحقيته بالخلافة علىٰ أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والصحيح الثابت من الروايات المحققة يدل علىٰ خلا ذلك تمامًا[(١)]. وعلىٰ أساس كل ما سبق يتضح لنا أن هذه الرواية غير صحيحة[(٢)]، وهناك روايات أخرىٰ وردت في هذا الموضوع، كلها باطلة سندًا ومتنًا، ومغزىٰ هذه الروايات وهدفها هو الطعن علىٰ كبار الصحابة وفضلائهم، وبيان أن مقصدهم من خروجهم هذا، هو تحقيق مطامع دنيوية شخصية من مال ورئاسة وغيرها، وأن الغاية تبرر الوسيلة، وأنهم لا يتورعون في سبيل ذلك عن إشعال الحرب والفتنة بين المسلمين، وتركز الروايات علىٰ الصحابيين الجليلين طلحة والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(٣)]، كما يريد مفتري هذه الروايات أن يبين ويؤكد أن هذين الصحابيين ومن معهما من أفراد المعسكر يتجرءون علىٰ انتهاك حرمات الله؛ فهم يقسمون ويحلفون لأم المؤمنين بأيمان مغلظة أن هذا ليس ماء الحوأب، وزيادة علىٰ ذلك أتوا بسبعين نفسًا - وفي رواية بخمسين نفسًا - يشهدون علىٰ صدق قولهم، فكان هذا العمل - كما افترىٰ المسعودي الشيعي الرافضي - أول شهادة زور في الإسلام[(٤)].

وتحاول هذه الروايات أن تظهر أن طلحة والزبير وأم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ليسوا علىٰ شيء من صفاء القلوب والاجتماع علىٰ هدف واحد، وتحاول أن تظهر أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بجانب طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفي قرارة نفسها أن يتولىٰ هو الخلافة، وذلك لأنه تيمي مثلها، كما تظهر هذه الروايات أن هناك تنافسًا داخليًا بين طلحة

(١) دور المرأة السياسي: ص (٤٠٢).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٣).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٨٣).
(٤) مروج الذهب (٢/ ٣٦٧).

والزبير، وحرصًا من كل واحد منهما أن يتولىٰ الإمارة، وهذه الروايات لا تخلو من ضعف قوىٰ، فبعضها منقطع السند أو فيها مجاهيل لا يعرفون، أو فيها كلا العيبين الفادحين[١]. ولقد تأثر كثير من الكتاب والمؤرخين بهذه الروايات واعتمدوا عليها وأسهموا في نشرها، وهي لا أساس لها، كالعقاد في عبقرية علىٰ، وطه حسين في علىٰ وبنوه[٢]، وغيرهما من الكتاب المعاصرين.

٥- أعمالهم في البصرة: عندما وصل طلحة والزبير وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن معهم إلىٰ البصرة نزلوا جانب الخريبة، ومن هناك أرسلوا إلىٰ أعيان وأشراف القبائل يستعينون بهم علىٰ قتلة عثمان، كان كثير من المسلمين في البصرة وغيرها، يودون ويرغبون في القود من قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا أن بعض هؤلاء يرون أن هذا من اختصاص الخليفة وحده، وأن الخروج في هذا الأمر بدون أمره وطاعته معصية، ولكن خروج هؤلاء الصحابة المشهود لهم بالجنة، وأعضاء الشورىٰ ومعهم أم المؤمنين عائشة حبيبة رسول الله ﷺ وأفقه النساء مطلقًا، ومطلبهم الشرعي لا غبار عليه ولا ينكره صحابي واحد، جعل الكثير من البصريين علىٰ اختلاف قبائلهم ينضمون إليهم، وأرسل الزبير إلىٰ الأحنف بن قيس السعدي التميمي يستنصره علىٰ الطلب بدم عثمان، والأحنف من رؤساء تميم وكلمته مسموعة، يقول الأحنف واصفًا هول الموقف:.. فأتاني أفظع أمر أتاني قط فقلت: إن خذلاني هؤلاء ومعهم أم المؤمنين وحواري رسول الله ﷺ لشديد[٣] إلا أنه اختار الاعتزال، فاعتزل معه ستة آلاف ممن أطاعه من قومه، وعصاه في هذا الأمر كثير منهم، ودخلوا في طاعة طلحة والزبير وأم المؤمنين[٤].

(١) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد: ص (١٣٣).
(٢) خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٣٢).
(٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد: ص (١٣٣).
(٤) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٥٦).

ويذكر الزهري أن عامة أهل البصرة تبعوهم[١]، وهكذا انضم إلىٰ طلحة والزبير وعائشة ومن معهم أنصار جدد لقضيتهم التي خرجوا من أجلها. وقد حاول ابن حنيف تهدئه الأمور والإصلاح قدر المستطاع إلا أن الأمور خرجت من يده حتىٰ قال أحدهم عن البصرة: قطعة من أهل الشام نزلت بين أظهرنا[٢]. وحتىٰ إن معاوية فيما بعد حاول الاستيلاء عليها بمساعدة أهلها[٣].

وتذكر بعض المصادر غير الموثقة أن عثمان بن حنيف رخص لحكيم بن جبلة في القتال، وهذا لا يثبت، والمصادر الصحيحة لم تثبت ذلك[٤].

٦- مقتل حُكَيم بن جبلة ومن معه من الغوغاء: أقبل حُكَيم بن جبلة بعدما خطبت عائشة رضي الله عنها في أهل البصرة، فأنشب القتال وأشرع أصحاب عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم رماحهم وأمسكوا ليمسكوا، فلم يتنه حكيم ومن معه، ولم يثن، وظل يقاتلهم، وطلحة والزبير كافُّون إلا ما دافعوا عن أنفسهم، وحكيم يذمر خيله ويركبهم بها[٥]، وعلىٰ الرغم من ذلك، فإنه عائشة رضي الله عنها ظلت حريصة علىٰ عدم إنشاب القتال، فأمرت أصحابها أن يتيامنوا بعيدًا عن المقاتلين، وظلوا علىٰ ذلك حتىٰ حجز الليل بينهم[٦]، حتىٰ إذا كان الصباح جاء حكيم بن جبلة وهو يبربر، وفي يده الرمح، وفي طريقه إلىٰ حيث عائشة رضي الله عنها ومن معها، جعل حكيم لا يمر برجل أو امرأة ينكر عليه أن يسب عائشة إلا قتله[٧]، وعندئذ

(١) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٤٥٦).
(٢) الطبقات (٦/ ٣٣٣).
(٣) فتح الباري (١٣/ ٢٦)، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد: ص (١٣٧).
(٤) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد: ص (١٣٧، ١٣٨).
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٤٩٤).
(٦) تاريخ الطبري (٥/ ٤٩٤).
(٧) المصدر نفسه (٥/ ٤٩٥).

غضبت عبد القيس إلا من كان اغتُمر منهم، فقالوا لحكيم: فعلت بالأمس وعدت لمثل ذلك اليوم، والله لا نَدَعُك حتىٰ يقيدك الله، فرجعوا وتركوه، ومضىٰ حكيم بن جبلة فيمن غزا معه عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحصره من نزاع القبائل كلها، فلقد كانوا قد عرفوا أن لا مقام لهم بالبصرة، فاجتمعوا إليه، ووافقوا أصحاب عائشة، فاقتتلوا قتالًا شديدًا[(١)]، وظل منادي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يناديهم ويدعوهم إلىٰ الكفّ فيأبون[(٢)]، وجعلت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول: لا تقتلوا إلا من قاتلكم. لكن حكيمًا لم يُرع للمنادىٰ، وظل يُسَعَّر القتال، عندئذ وبعد ما تبينت للزبير وطلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا طبيعة هؤلاء الذين يقاتلون، وأنهم لا يتورعون ولا ينتهون عن حرمة، وأن لهم هدفًا في إنشاب القتال، قالا: الحمد لله الذي جمع لنا ثأرنا من أهل البصرة، اللهم لا تبق منهم أحدًا، وأقد منهم اليوم، فاقتلهم، فجادُّوهم القتال، ونادوا: من لم يكن من قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فليكفف عنا، فإننا لا نريد إلا قتلة عثمان، ولا نبدأ أحدًا، فاقتتلوا أشد القتال[(٣)]، فلم يفلت من قتلة عثمان من أهل البصرة إلا واحد، وكان منادىٰ الزبير وطلحة قد نادىٰ: ألا من كان فيكم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم[(٤)]. وكان فريق من هؤلاء الجهال والغوغاء - كما قالت عائشة - قد غادوها في بيتها في الغَلَس ليقتلوها، وكانوا قد ذهبوا حتىٰ سُدَّة بيتها، ومعهم الدليل، إلا أن الله دفع عنها بنفر من المسلمين كانوا قد أحاطوا بيتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فدارت عليهم الرحىٰ وأطاف بهم المسلمون فقتلوهم[(٥)]، واستطاع الزبير وطلحة ومن معهم أن يسيطروا علىٰ البصرة وكانوا

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٩٩).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٤٩٩).
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٤٩٩).
(٤) المصدر نفسه (٥/ ٥٠١).
(٥) المصدر نفسه (٥/ ٥٠٣).

بحاجة إلىٰ طعام ومؤنة غذائية، وقد مرت عليهم أسابيع، وهم ليسوا في ضيافة أحد، فتوجه جيش الزبير إلىٰ دار الإمارة ومن ثم إلىٰ بيت المال ليرزقوا أصحابهم، وأخلىٰ سبيل عثمان بن حنيف واتجه إلىٰ علىٰ[1]، وبذلك تمت سيطرة طلحة والزبير وأم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ البصرة وقتلوا عددًا كبيرًا ممن شارك في الهجوم علىٰ المدينة، قدر بسبعين رجلًا من أبرزهم زعيم ثوار البصرة حكيم بن جبلة، والذي كان حريصًا علىٰ القتال وإشعال الحرب، وكان الزبير أمير المؤمنين؛ فقد بويع علىٰ ذلك[2].

٧- رسائل السيدة عائشة إلىٰ الأمصار الأخرىٰ: كانت السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حريصة علىٰ إيضاح وجه الحق فيما حدث من قتال مع أهل البصرة، فكتبت إلىٰ أهل الشام والكوفة واليمامة، وكتبت إلىٰ أهل المدينة أيضًا تخبرهم بما صنعوا وصاروا إليه، وكان فيما كتبت به لأهل الشام: إنا خرجنا لوضع الحرب وإقامة كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي يردُّنا عن ذلك. فبايعنا خيار أهل البصرة ونجباؤهم، وخالفنا شرارهم ونُزَّاعهم، فردُّونا بالسلاح، وقالوا فيما قالوا: نأخذ أم المؤمنين رهينة أن أمرتْهم بالحق وحثتهم عليه، فأعطاهم الله عَزَّ وَجَلَّ سنة المسلمين مرة بعد مرة، حتىٰ إذا لم يبق حجة ولا عذر استبسل قتلة عثمان أمير المؤمنين، فلم يفلت منهم إلا حُرْقُوص بن زهير والله مقيده. وإنّا نناشدكم الله - سبحانه - في أنفسكم إلا ما نهضتم بمثل ما نهضنا به، فنلقىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ وتلقونه وقد أعذرنا وقضينا الذي علينا[3].

٨- الخلاف بين عثمان بن حنيف وجيش عائشة والزبير وطلحة: روىٰ الطبري عن أبي مخنف عن يوسف بن يزيد، عن سهل بن سعد قال: لما أخذوا

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٣)
(٢) أنساب الأشراف (٢/ ٩٣)
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٥٠١).

عثمان بن حنيف أرسلوا أبان ابن عثمان بن عفان إلىٰ عائشة يستشيرونها في أمره، قالت: اقتلوه، فقالت لها امراة: نشدتك الله يا أم المؤمنين في عثمان وصحبته لرسول الله ﷺ، قالت: ردوا أبانًا، فردُّوه، فقالت: احبسوه ولا تقتلوه. قال: لو علمت أنك تدعينني لهذا لم أرجع. فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا شعر لحيته، فضربوه أربعين سوطًا، ونتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه[1]، وفي سند هذه الرواية أبو مخنف وهو شيعي رافضي محترق، وهذه الرواية لم تثبت من طريق صحيح يمكن أن يعول عليه، والصحابة الكرام ينزهون عن مثل هذه المثلة القبيحة. والذي يفهم من رواية سيف أن الغوغاء هم الذين فعلوا ذلك، وأن طلحة والزبير رضي الله عنهما استشنعاه، واستعظماه وبعثا بالخبر إلىٰ عائشة فقالت: خلوا سبيله وليذهب حيث شاء[2]، وهذه الرواية عارضت تفصيلات أبي مخنف فهي لم تذكر الأمر بقتله أو حبسه أو الأمر بنتف شعر وجهه، وقد اختار هذه الرواية النويري وابن كثير[3]، وذكر الذهبي أن مجاشع بن مسعود قد قتل قبل دخول دار عثمان بن حنيف[4]، وحتىٰ لو فرض عدم قتل مجاشع بن مسعود فليست إليه القيادة حتىٰ يصدر هذه الأوامر[5].

سابعًا: خروج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى الكوفة:

لم يكن الصحابة رضي الله عنهم في المدينة يؤيدون خروج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من المدينة، فقد تبين ذلك حينما همّ عليّ بالنهوض إلىٰ الشام، ليزور

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٩٧).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٤٩٧).
(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٣٣).
(٤) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري: ص (٣٥٩).
(٥) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري: ص (٣٥٩).

أهلها وينظر ما هو رأي معاوية وما هو صانع[١]، فقد كان يرىٰ أن المدينة لم تعدُ تمتلك المقومات التي تملكها بعض الأمصار في تلك المرحلة فقال: إن الرجال والأموال بالعراق[٢]، فلما علم أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه بهذا الميل قال للخليفة: يا أمير المؤمنين، أقمت بهذه البلاد لأنها الدرع الحصينة، ومهاجرة رسول الله ﷺ ، وبها قبره ومنبره ومادة الإسلام، فإن استقامت لك العرب كنت كمن كان، وإن تشغب عليك قوم رميتهم بأعدائهم، وإن ألجئت حينئذ إلىٰ السير سرت وقد أعذرت..، فأخذ الخليفة بما أشار به أبو أيوب وعزم المقامة بالمدينة وبعث العمال علىٰ الأمصار[٣]. ولكن حدث كثير من المستجدات السياسية التي أرغمت الخليفة علىٰ مغادرة المدينة، وقرر الخروج للتوجه إلىٰ الكوفة ليكون قريبًا.. من أهل الشام[٤]، وأثناء استعداده للخروج، بلغه خروج عائشة وطلحة والزبير إلىٰ البصرة[٥]، فاستنفر أهل المدينة ودعاهم إلىٰ نصرته، وحدث تثاقل من بعض أهل المدينة بسبب وجود الغوغاء في جيش علىٰ، وطريقة التعامل معهم، فكان كثير من أهل المدينة يرون أن الفتنة ما زالت مستمرة، فلابد من التروي حتىٰ تنجلي الأمور أكثر، وهم يقولون: لا والله ما ندري كيف نصنع، فإن هذا الأمر لمشتبه علينا ونحن مقيمون حتىٰ يضيء لنا ويسفر.وروىٰ الطبري أن عليًا رضي الله عنه خرج في تعبئته التي كان تعبي بها إلىٰ الشام وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين في سبعمائة رجل[٦]، والأدلة علىٰ تثاقل كثير من أهل المدينة عن إجابة أمير المؤمنين للخروج كثيرة،

---

(١) الثقات لابن حبان (٢/ ٢٨٣)

(٢) الثقات لابن حبان (٢/ ٢٨٣)

(٣) الثقات لابن حبان (٢/ ٢٨٣).

(٤) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص (١٨٣).

(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٥٠٧).

(٦) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨١).

منها: خطب الخليفة التي شكا فيها من هذا التثاقل[(١)]، وظاهرة اعتزال كثير من الصحابة بعد مقتل عثمان كما اتضح ذلك، كما أن رجالًا من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد مقتل عثمان فلم يخرجوا إلا إلىٰ قبورهم[(٢)]. وقد عبر أبو حميد الساعدىٰ الأنصاري - وهو بدري - عن ألمه لمقتل الخليفة عثمان فقال: اللهم إن لك عليَّ أن لا أضحك حتىٰ ألقاك. فقد كانوا يعدون الخروج من المدينة في تلك المرحلة يقود إلىٰ الانزلاق في الفتنة التي يخشون عواقبها[(٣)]، علىٰ سلامة ما مضىٰ لهم من جهاد مع رسول الله ﷺ[(٤)]، وما سبق ذكره لا يعنىٰ أنه لم يشارك أحد من الصحابة في مسيرة الخليفة، بل شارك البعض، لكنهم كانوا قليلًا، قال الشعبي: لم يشهد موقعة الجمل من أصحاب رسول الله غير علىٰ وعمار وطلحة والزبير، فإن جاءوا بخامس فأنا كذاب[(٥)]، وفي رواية: من حدثك أنه شهد الجمل ممن شهد بدرًا أكثر من أربع نفر فكذبه؛ كان علىٰ وعمار في ناحية وطلحة والزبير في ناحية[(٦)]، وفي رواية: لم ينهض مع علىٰ إلىٰ البصرة غير ستة نفر من البدريين ليس لهم سابع[(٧)].

وبهذا يكون المقصود في الرواية السابقة من الصحابة أهل بدر، وعلىٰ كل حال فإن من شارك في الفتنة من الأنصار قليل. قال ابن سيرين والشعبي: وقعت الفتنة بالمدينة وأصحاب النبي ﷺ أكثر من عشرة آلاف، فما يعدون من خف

---

(١) الطبقات (٣/ ٢٣٧).
(٢) الأنصار في العصر الراشدي: ص (١٦٤).
(٣) الأنصار في العصر الراشدي: ص (١٦٤).
(٤) الأنصار في العصر الراشدي: ص (١٦٤).
(٥) تاريخ خياط: ص (١٦)، مصنف ابن أبي شيبة (٨/ ٧١٠).
(٦) الأنصار في العصر الراشدي: ص (١٦٥).
(٧) الخلافة الراشدة من تاريخ ابن كثير، كنعان: ص (٣٥٦).

فيها عشرين رجلًا؛ فسميت حرب علىٰ وطلحة والزبير وصفين فتنة[1]، فيتضح مما سبق أن عدد الصحابة الذين خرجوا مع الخليفة علىٰ إلىٰ البصرة كان قليلًا ولا يمكن الجزم بمشاركتهم في حرب الجمل، فمع شدة تلك الموقعة وكثرة أحداثها لم تذكر المصادر مشاركات الصحابة فيها أو شهداء أو جرحىٰ[2]. إن إحدىٰ الروايات تقول: خرج معه من نشط من الكوفين والبصريين متخففين في سبعمائة رجل[3]. والذي يظهر من هذه الرواية أنها أقرب إلىٰ واقع تلك المرحلة، وأكثر انسجامًا مع سير الأحداث، ومع موقف أهل المدينة الذي كان يتراوح بين الميل للعزلة والتثاقل عن المشاركة في الأحداث[4].

١- نصيحة عبد الله بن سلام لأمير المؤمنين علي: حاول عبد الله بن سلام صاحب رسول الله ﷺ أن يثني عزم أمير المؤمنين عليّ عن الخروج، فأتاه وقد استعد للمسير، وأظهر له خوفه عليه ونهاه أن يقدم علىٰ العراق قائلًا: أخشىٰ أن يصيبك ذباب السيف، كما أخبره بأنه لو ترك منبر رسول الله ﷺ، فلن يراه أبدًا، كان عليّ يعلم هذه الأشياء من رسول الله ﷺ فقال: وايم الله لقد أخبرني به رسول الله ﷺ، ولكن من مع عليّ من البصريين والكوفيين بلغت بهم الجرأة أن قالوا لعلىٰ: دعنا فلنقتله، فقد أصبح قتل المسلمين ممن يقف في طريقهم، أو يحسون بخطره علىٰ حياتهم بالقول أو العمل أمرًا هينًا لا يرون به بأسًا، وفي قولهم وتهجمهم هذا ما يدل علىٰ قلة الورع وعدم إنزال الصحابة الكرام منازلهم التي أمر رسول الله ﷺ الناس بعده بها، ولكن عليًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نهاهم قائلًا: إن عبد الله بن سلام رجل صالح[5].

---

(١) الخلافة الراشدة من تاريخ ابن كثير كنعان: ص (٣٥٦).
(٢) الأنصار في العصر الراشدىٰ: ص (١٦٥).
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨١).
(٤) الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدىٰ من الخلاف: ص (٣٨٨).
(٥) مسند أبىٰ يعلىٰ (١/ ٣٨١).

٢- نصيحة الحسن بن علي لوالده: خرج أمير المؤمنين من المدينة وعندما بلغ الربذة عسكر فيها بمن معه، ووفد عليه عدد من المسلمين بلغوا المائتين[(١)]، وفي الربذة قام إليه ابنه الحسن رضي الله عنهما وهو باك لا يخفىٰ حزنه وتأثره علىٰ ما أصاب المسلمين من تفرق واختلاف، وقال الحسن لوالده: قد أمرتك فعصيتني، فتُقتل غدًا بمضيعة لا ناصر لك، فقال علىٰ: إنك لا تزال تخن[(٢)] خنين الجارية، وما الذي أمرتني فعصيتك؟ قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان رضي الله عنه أن تخرج من المدينة فيُقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قُتل ألا تبايع حتىٰ يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر، ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس في بيتك حتىٰ يصطلحوا، فإن كان الفساد كان علىٰ يدي غيرك، فعصيتني في ذلك كله. قال: أي بنىٰ، أما قولك: لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما قولك: لا تبايع حتىٰ تأتىٰ بيعة الأمصار، فإن الأمر أمر أهل المدينة، وكرهنا أن يضيع هذا الأمر، وأما قولك حين خرج طلحة والزبير، فإن ذلك كان وهنًا علىٰ أهل الإسلام، والله ما زلت مقهورًا مذ وليت، منقوصًا لا أصل إلىٰ شيء مما ينبغي، وأما قولك: أجلس في بيتك، فكيف لي بما قد لزمني، أو من تريدني؟ أتريدني أن أكون مثل الضبع التي يحاط بها، ويقال: دباب دباب[(٣)]، ليست ههنا حتىٰ يحل عرقوباها ثم نُخرج، وإذا لم أنظر فيما لزمني من هذا الأمر ويعنيني، فمن ينظر فيه؟ فكف عنك أي بنىٰ[(٤)]. كان موقف أمير المؤمنين علىٰ حازمًا في هذه المشكلة وواضحًا ولم يستطع أحد أن يثنيه عن عزمه.

وأرسل علىٰ رضي الله عنه من الربذة يستنفر أهل الكوفة ويدعوهم إلىٰ نصرته،

---

(١) أنساب الأشراف (٢/ ٤٥)، خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٤٣).

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٢)

(٣) **دباب كقطام**: دعاء الضبع للضبع.

(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٢).

وكان الرسولان محمد بن أبي بكر الصديق، ومحمد بن جعفر ولكنهما لم ينجحا في مهمتهما، إذ إن أبا موسىٰ الأشعري والىٰ الكوفة من قبل علىٰ، ثبط الناس ونهاهم عن الخروج والقتال في الفتنة وأسمعهم ما سمعه من رسول الله ﷺ من التحذير من الاشتراك في الفتنة[١]، فأرسل علىٰ بعد ذلك هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، ففشل في مهمته، لتأثير أبي موسىٰ عليهم[٢].

٣- استنفار أمير المؤمنين علي لأهل الكوفة من ذي قار: تحرك علىٰ بجيشه إلىٰ ذي قار فعسر به بعد ثماني ليال من خروجه من المدينة، وهو في تسعمائة رجل تقريبًا[٣]، فبعث للكوفة في هذه المرة عبد الله بن عباس فأبطأوا عليه، فأتبعه بعمار بن ياسر والحسن بن علىٰ، وعزل أبا موسىٰ الأشعري واستعمل قرظة بن كعب بدلًا منه[٤].

وكان للقعقاع دور عظيم في إقناع أهل الكوفة، فقد قام فيهم وقال: إني لكم ناصح وعليكم شفيق، وأحب أن ترشدوا، ولأقولن لكم قولًا هو الحق،... والقول الذي هو القول إنه لابد من إمارة تنظم الناس وتنزع الظالم، وتعز المظلوم، وهذا عليٌّ يلي ما ولىٰ، وقد أنصف في الدعاء، وإنما يدعو إلىٰ الإصلاح، فانفروا وكونوا في هذا الأمر بمرأىٰ ومسمع[٥]. وكان للحسن بن علىٰ أثر واضح، فقد قام خطيبًا في الناس وقال: أيها الناس، أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلىٰ إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولو النهي أمثل في العاجلة وخير من العاقبة، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا علىٰ ما ابتلينا به

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٥١٤)، مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ١٢) إسناده حسن.
(٢) خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٤٤)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٨٦).
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٥١٩ - ٥٢١).
(٤) فتح الباري (١٣/ ٥٣)، التاريخ الصغير (١/ ١٠٩).
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٥١٦).

وابتليتم[١]. ولبىٰ كثير من أهل الكوفة وخرجوا مع عمار والحسن إلىٰ علىٰ ما بين سبعة إلىٰ سبة آلاف رجل، ثم انضم إليهم من أهل البصرة ألفان من عبد القيس، ثم توافدت عليه القبائل إلىٰ أن بلغ جيشه عند حدوث المعركة اثنىٰ عشر ألف رجل تقريبًا[٢].

وعندما التقىٰ أهل الكوفة بأمير المؤمنين علىٰ بذي قار قال لهم: يا أهل الكوفة، أنتم وليتم شوكة العجم وملوكهم وفضضتم جموعهم، حتىٰ صارت إليكم مواريثهم، فأعنتم حوزتكم، واغتنم الناس علىٰ عدوهم، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة، فإن يرجعوا فذاك ما نريد، وإن يلجوا داويناهم بالرفق، وبايناهم حتىٰ يبدءونا بظلم، ولن ندع أمرًا فيه صلاح إلا آثرناه علىٰ ما فيه الفساد إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله[٣].

٤- اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية: وهذا القول ينطبق علىٰ حال الصحابة في هذه الفتنة، فمع اختلافهم في الرأي، لم يدخل قلب أحد الضَّغن علىٰ أخيه، وإليك هذه القصة التي حدثت بالكوفة، فقد روىٰ البخاري عن أبي وائل قال: دخل أبو موسىٰ الأشعري، وأبو مسعود وعقبة بن عمرو الأنصاري علىٰ عمّار حين بعثه عليٌّ إلىٰ أهل الكوفة يستنفرهم، فقالا: ما رأيناك أتيت أمرًا أكره عندنا من إسراعك في هذا الأمر منذ أسلمت. فقال عمار: ما رأيت منكما منذ أسلمتما أمرًا أكره عندي من إبطائكما في هذا الأمر.. وفي رواية: فقال أبو مسعود - وكان موسرًا -: يا غلام هات حلتين فأعط إحداهما أبا موسىٰ، والأخرىٰ عمارًا، وقال: روحا فيه إلىٰ الجمعة. فأنت ترىٰ أبا مسعود وعمارًا وكلاهما يرىٰ الآخر مخطئًا ومع ذلك فأبو مسعود يكسو عمارًا حلة ليشهد بها

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٥١٦).
(٢) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٤٥٦، ٤٥٧).
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٥١٩).

الجمعة لأنه كان بثياب السفر وهيئة الحرب، فكره أبو مسعود أن يشهد الجمعة في تلك الثياب، وهذا تصرف يدل علىٰ غاية الود مع أن كليهما جعل تصرف صاحبه نحو الفتنة عيبًا، فعمار يرىٰ إبطاء أبي موسىٰ وأبي مسعود عن تأييد علىٰ عيبًا، وأبو موسىٰ وأبو مسعود رأيا إسراع عمار في تأييد أمير المؤمنين علىٰ عيبًا، وكلاهما له حجته التي اقتنع بها؛ فمن أبطأ فذلك لما ظهر لهم من ترك مباشرة القتال في الفتنة، تمسكًا بالأحاديث الواردة في ذلك وما في حمل السلاح علىٰ المسلم من الوعيد، وكان عمّار علىٰ رأىٰ عليًّ في قتال الباغين والناكثين، والتمسك بقوله: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي﴾ [الحجرات:٩] وحمل الوعيد الوارد في القتال علىٰ من كان متعديًا علىٰ صاحبه، وكلا الفريقين لم يكن حريصًا علىٰ قتل صاحبه، ويتعلق الطرفان بأدنىٰ سبب لمنع الاشتجار قبل أن يقع، ومضىٰ الالتحام إن وقع، لأن الطرفين كانا كارهين الاقتتال(١).

٥- تساؤلات علىٰ الطريق:

أ- ما سأله أبو رفاعة بن رافع بن مالك العجلان الأنصاري لما أراد الخروج من الرّبذة، فقال: يا أمير المؤمنين، أي شيء تريد؟ وإلىٰ أين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح، إن قبلوا منا وأجابونا إليه، قال: فإن لم يجيبونا إليه؟ قال: ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر، قال: فإن لم يرضوا؟ قال: ندعهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعنا منهم، قال: فنعم إذًا. فسمع تلك السلسلة من الأسئلة والإجابات فاطمأن إليها وارتاح لها، وقال: لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول، وقال:

دراكهــا دراكهــا قبــل الفــوت وانفـر بنـا واسْـمُ بنـا نحـو الـصوت

لا وَأَلَــتْ نفســي إن هبـت الـمــوت(٢)

(١) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (٢/ ٣٠٤).

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٥١٠).

ب- أهل الكوفة يسألون عليًا بمن فيهم الأعور بن بنان المنقرىٰ: لما قدم أهل الكوفة إلىٰ أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ذي قار، قام إليه أقوام من أهل الكوفة يسألونه عن سبب قدومهم، فقام إليه فِيمن قام الأعور بن بُنان المنْقريّ، فقال له عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عليَّ الإصلاح وإطفاء النائرة[١]، لعل الله يجمع شمل هذه الأمة بنا ويضع حربهم، وقد أجابوني، قال: فإن لم يجيبونا؟ قال: تركناهم ما تركونا. قال: فإن لم يتركونا؟ قال: دفعناهم عن أنفسنا، قال: فهل لهم مثل ما عليهم من هذا؟ قال: نعم[٢].

جـ- أبو سلامة الدألاني، ممن سأل أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: أترىٰ لهؤلاء القوم حجّة فيما طلبوا من هذا الدم، إن كانوا أرادوا الله عَزَّ وَجَلَّ بذلك؟ قال: نعم. قال: فترىٰ لك حجة بتأخيرك ذلك؟ قال: نعم، إنّ الشيء إذا كان لا يدرك فالحكم فيه أحوطه وأعمّه نفعًا، قال: فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غدًا؟ قال: إني لأرجو ألاّ يقتل أحد نقيّ قلبه لله منّا ومنهم إلا أدخله الله الجنة[٣].

د- وسأل مالك بن حبيب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فقال: ما أنت صانع إذا لقيت هؤلاء القوم؟ قال: قد بان لنا ولهم أن الإصلاح، الكفّ عن هذا الأمر، فإن بايعونا فذلك، فإن أبوا وأبينا إلا القتال فصدع لا يلتئم، قال: فإن ابتلينا فما بال قتلانا؟ قال: من أراد الله عَزَّ وَجَلَّ نفعه ذلك وكان نجاءه[٤].

إن هدف أمير المؤمنين الإصلاح وإطفاء الفتنة، وإن القتال ليس واردًا في تدابيره، لأنه إن حصل، فهو داء لا يُرجىٰ شفاؤه، أما من يقتل بين الطرفين فهو مرهون بنيّته، سواء قاتل مع أمير المؤمنين أو قاتل ضده، وبذلك يقرر أمير

---

(١) **النائرة**: العداوة.

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٠)، تاريخ الطبري (٥/ ٥٢٩).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٠).

(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٥٢)، الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي: ص (٤٠٦).

المؤمنين أن المسلمين الذين خرجوا في هذا الأمر، بعد استشهاد عثمان ﵁ يبتغون الإصلاح والقضاء علىٰ الفتنة مجتهدون وأجرهم علىٰ قدر إخلاص نواياهم ونقاء قلوبهم.

ثامنًا: محاولات الصلح:

قبل أن يتحرك علىٰ ﵁ بجيشه نحو البصرة أقام في ذي قار أيامًا، وكان غرضه ﵁ القضاء علىٰ هذه الفرقة والفتنة بالوسائل السلمية، وتجنيب المسلمين شر القتال والصدام المسلح بكل ما أُوتي من قوة وجهد، وكذلك الحال بالنسبة لطلحة والزبير، وقد اشترك في محاولات الصلح عدد من الصحابة وكبار التابعين ممن اعتزلوا الأمر، منهم:

١- عمران بن حصين ﵁: فقد أرسل في الناس يخذل الفريقين جميعًا، ثم أرسل إلىٰ بني عدي - وهم جمع كبير انضموا للزبير - فجاء رسوله وقال لهم في مسجدهم: أرسلني إليكم عمران بن حصين صاحب رسول الله ﷺ ينصحكم ويحلف بالله الذي لا إله إلا هو لأن يكون عبدًا حبشيًّا مجدعًا يرعىٰ أعنزًا في رأس جبل حتىٰ يدركه الموت، أحب إليه من أن يرمىٰ في أحد من الفريقين بسهم أخطأ أو أصاب، فأمسكوا فدىٰ لكم أبي وأمي. فقال القوم: دعنا منك، فإنا والله لا ندع ثقل رسول الله ﷺ لشيء أبدًا[١].

٢- كعب بن سور: أحد كبار التابعين، فقد بذل كل جهد، وكلف نفسه فوق طاقتها، وقام بدور يعجز عنه كثير من الرجال، فقد استمر في محاولة الصلح إلىٰ أن وقع المحذور، وذهب ضحية جهوده؛ إذ قُتل وهو بين الصفين يدعو هؤلاء ويدعو هؤلاء إلىٰ تحكيم كتاب الله وكف السلاح[٢].

---

(١) الطبقات لابن سعد (٤/ ٨٧).

(٢) الطبقات لابن سعد (٧/ ٩٢)

٣- القعقاع بن عمرو التميمي: أرسل أمير المؤمنين عليٌّ القعقاع بن عمرو التميمي رضي الله عنهما في مهمة الصلح إلىٰ طلحة والزبير، وقال: القَ هذين الرجلين، فادعهما إلىٰ الألفة والجماعة، وعظّم عليهما الاختلاف والفرقة. وذهب القعقاع إلىٰ البصرة، فبدأ بعائشة رضي الله عنها وقال لها: ما أقدمك يا أماه إلىٰ البصرة؟ قالت له: يا بني من أجل الإصلاح بين الناس. فطلب القعقاع منها أن تبعث إلىٰ طلحة والزبير ليحضرا، ويكلمهما في حضرتها وعلىٰ مسمع منها.

* محاورة القعقاع لطلحة والزبير: ولما حضرا سألهما عن سبب حضورهما، فقالا كما قالت عائشة: من أجل الإصلاح بين الناس. فقال لهما: أخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عَرفناه لنصلحنَّ معكم، ولئن أنكرناه لا نصلح، قالا له: قتلة عثمان، رضي الله عنه، ولابد أن يُقتلوا، فإن تُركوا دون قصاص كان هذا تركًا للقرآن، وتعطيلًا لأحكامه، وإن اقْتُصَّ منهم كان هذا إحياء للقرآن. قال القعقاع: لقد كان في البصرة ستُّمائة من قتلة عثمان وأنتم قتلتموهم إلا رجلًا واحدًا، وهو حرقوص بن زهير السعدي، فلما هرب منكم احتمىٰ بقومه من بني سعد، ولما أردتم أخذه منهم وقَتْله منعكم قومه من ذلك، وغضب له ستة آلاف رجل اعتزلوكم، ووقفوا أمامكم وقفة رجل واحد، فإنه تركتم حرقوصًا ولم تقتلوه، كنتم تاركين لما تقولون وتنادون به وتطالبون عليًا به، وإن قاتلتم بني سعد من أجل حرقوص، وغلبوكم وهزموكم وأديلوا عليكم، فقد وقعتم في المحذور، وقوَّيتموهم، وأصابكم ما تكرهون، وأنتم بمطالبتكم بحرقوص أغضبتم ربيعة ومضر، من هذه البلاد، حيث اجتمعوا علىٰ حربكم وخذلانكم، نصرة لبني سعد، وهذا ما حصل مع علىٰ، ووجود قتلة عثمان في جيشه.

* الحل عند القعقاع: التأني والتسكين ثم القصاص: تأثرت أمُّ المؤمنين ومن معها بمنطق القعقاع وحجته المقبولة؛ فقالت له: فماذا تقول أنت يا قعقاع؟ قال: أقول: «هذا أمر دواؤه التسكين، ولابد من التأني في الاقتصاص من

قتلة عثمان، فإذا انتهت الخلافات، واجتمعت كلمة الأمة علىٰ أمير المؤمنين تفرغ لقتلة عثمان، وإن أنتم بايعتم عليًا واتفقتم معه، كان هذا علامة خير، وتباشير رحمة، وقدرة علىٰ الأخذ بثأر عثمان، وإن أنتم أبيتم ذلك، وأصررتم علىٰ المكابرة والقتال كان هذا علامة شر، وذهابًا لهذا الملك، فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولًا، ولا تُعرَّضونا للبلاء، فتتعرضوا له، فيصرعنا الله وإياكم، وايم الله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه، وإني لخائف أن لا يتم، حتىٰ يأخذ الله حجته من هذه الأمة التي قلَّ متاعها، ونزل بها ما نزل، فإنّ ما نزل بها أمر عظيم، وليس كقتل الرجل الرجل، ولا قتل النفر الرجل، ولا قتل القبيلة القبيلة». اقتنعوا بكلام القعقاع المقنع الصادق المخلص، ووافقوا علىٰ دعوته إلىٰ الصلح، وقالوا له: قد أحسنت وأصبت المقالة، فارجع، فإن قدم عليٌ، وهو علىٰ مثل رأيك، صلح هذا الأمر إن شاء الله. عاد القعقاع إلىٰ علي في «ذي قار» وقد نجح في مهمته، وأخبر عليًا بما جرىٰ معه، فأُعجب علي بذلك، وأوشك القوم علىٰ الصلح، كرهه من كرهه، ورضيه من رضيه[1].

* بشائر الاتفاق بين الفريقين: لما عاد القعقاع وأخبره بما فعل، أرسل عليّ رضي الله عنه رسولين[2] إلىٰ عائشة والزبير ومن معهما يستوثق مما جاء به القعقاع بن عمرو، فجاءا عليًا، بأنه علىٰ ما فارقنا عليه القعقاع فأقدم، فارتحل عليّ حتىٰ نزل بحيالهم، فنزلت القبائل إلىٰ قبائلهم، مضر إلىٰ مضر، وربيعة إلىٰ ربيعة، واليمن إلىٰ اليمن، وهم لا يشكون في الصلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلىٰ بعض، ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح[3]، وكان أمير المؤمنين علىٰ رضي الله عنه لما نوىٰ الرحيل قد أعلن قراره الخطير: ألا وإني راحل غدًا

(١) البداية والنهاية (٧/ ٧٣٩)، تاريخ الطبري (٥/ ٥٢١).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٥٢٥).
(٣) المصدر نفسه (٥/ ٥٣٩).

فارتحلوا - يقصد إلىٰ البصرة - ألا ولا يرتحلن غدًا أحد أعان علىٰ عثمان بشيء في شيء من أمور الناس[(١)].

تاسعًا: نشوب القتال:

١- دور السبئية في نشوب الحرب: كان في عسكر علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه، ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره[(٢)]، وحرص أتباع ابن سبأ علىٰ إشعال الفتنة وتأجيج نيرانها حتىٰ يفلتوا من القصاص[(٣)]. فلما نزل الناس منازلهم واطمأنوا، خرج علىٰ وخرج طلحة والزبير، فتوافقوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه فلم يجدوا أمرًا، هو أمثل من الصلح وترك الحرب حين رأوا أن الأمر أخذ في الانقشاع، فافترقوا علىٰ ذلك، ورجع عليّ إلىٰ عسكره، ورجع طلحة والزبير إلىٰ عسكرهما، وأرسل طلحة والزبير إلىٰ رؤساء أصحابهما، وأرسل علىٰ إلىٰ رؤساء أصحابه، ماعدا أولئك الذين حاصروا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فبات الناس علىٰ نية الصلح والعافية وهم لا يشكون في الصلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلىٰ بعض، لا يذكرون ولا ينوون إلاّ الصّلح. وبات الذين أثاروا الفتنة بشر ليلة باتوها قط؛ إذ أشرفوا علىٰ الهلاك وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها، وقال قائلهم: أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما، وأما علىٰ فلم نعرف أمره حتىٰ كان اليوم؛ وذلك حين طلب من الناس أن يرتحلوا في الغد ولا يرتحل معه أحد أعان علىٰ عثمان بشيء، ورأىٰ الناس فينا - والله - واحد، وإن يصطلحوا مع علىٰ فعلىٰ دمائنا[(٤)]. وتكلم ابن

---

(١) المصدر نفسه (٥/ ٥٢٥).

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٥٢٦).

(٣) المصدر نفسه (٥/ ٥٢٧).

(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٥٢٦).

السوداء عبد الله بن سبأ - وهو المشير فيهم - فقال: يا قوم إن عزّكم في خلطة الناس فصانعوهم، وإذا التقىٰ الناس غدًا فانشبوا القتال، ولا تفرغوهم للنظر، فإذا من أنتم معه لا يجد بدًا من أن يمتنع، ويشغل الله عليًا وطلحة والزبير ومن رأىٰ رأيهم عما تكرهوه، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون[1] فاجتمعوا علىٰ هذا الرأي بإنشاب الحرب في السّر، فغدوا في الغلس وعليهم ظلمة، وما يشعر بهم جيرانهم، فخرج مضريّهم إلىٰ مضريهم، وربيعيهم إلىٰ ربيعيّهم، ويمانيهم إلىٰ يمانّيهم، فوضعوا فيهم السيوف، فثار أهل البصرة، وثار كل قوم في وجوه الذين باغتوهم، وخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس من مصر، فبعثا إلىٰ الميمنة، وهم ربيعة يرأسها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، والميسرة، يرأسها عبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد وثبتا في القلب، فقالا: ما هذا؟ قالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلًا، فقالا: ما علمنا أن عليًا غير منته حتىٰ يسفك الدّماء ويستحل الحرمة، وإنه لن يطاوعنا، ثم رجعا بأهل البصرة، وقصف أهل البصرة أولئك حتىٰ ردّوهم إلىٰ عسكرهم[2]، فسمع علىٰ وأهل الكوفة الصوت، وقد وضع السبئية رجلًا قريبًا من علىٰ ليخبره بما يريدون، فلما قال: ما هذا؟ قال ذلك الرجل: ما فجئنا إلا وقوم منهم بيتونا فرددناهم، وقال عليّ لصاحب ميمنته: ائت الميمنة، وقال لصاحب ميسرته: ائت الميسرة، والسبئية لا تفتر إنشابًا[3]. وعلىٰ الرغم من تلك البداية للمعركة فإن الطرفين ما لبثا يملكان الرويّة حتىٰ تتضح الحقيقة، فعلىٰ ومن معه يتفقون علىٰ ألا يبدءوا بالقتال حتىٰ يبدءوا طلبًا للحجة واستحقاقًا علىٰ الآخرين بها، وهم مع ذلك لا يقتلون مدبرًا،

(١) المصدر نفسه (٥/ ٥٢٧).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٥٤١).
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٥٤١).

ولا يجهزون علىٰ جريح، ولكن السبئية لا تفتر إنشابًا[١]، وفي الجانب الآخر ينادي طلحة وهو علىٰ دابته وقد غشيه الناس فيقول: يا أيها الناس أتنصتون؟ فجعلوا يركبونه ولا ينصتون، فما زاد أن قال: أف أف فراش نار وذبان طمع[٢]، وهل يكون فراش النار وذبان الطمع غير أولئك السبئية؟ بل إن محاولات الصلح لتجرىٰ حتىٰ آخر لحظة من لحظات المعركة.

ومن خلال هذا العرض يتبين أثر ابن سبأ وأعوانه «السبئية» في المعركة ويتضح - بما لا يدع مجالًا للشك - حرص الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ الإصلاح وجمع الكلمة؛ وهذا هو الحق الذي تثبته النصوص وتطمئن إليه النفوس[٣].

وقبل الحديث عن جولات المعركة نشير إلىٰ أن أثر السبئية في معركة الجمل مما يكاد يجمع عليه العلماء سواء أسموهم بالمفسدين، أو بأوباش الطائفتين، أو أسماهم البعض بقتلة عثمان، أو نبزوهم بالسفهاء، أو بالغوغاء، أو أطلقوا عليهم صراحة السبئية[٤].. وإليك بعض النصوص التي تؤكد ذلك:

أ- جاء في أخبار البصرة لعمر بن شبَّة أن الذين نسب إليهم قتل عثمان خشوا أن يصطلح الفريقان علىٰ قتلهم، فأنشبوا الحرب بينهم حتىٰ كان ما كان[٥].

ب- قال الإمام الطحاوىٰ: فجرت فتنة الجمل علىٰ غير اختيار من علىٰ ولا من طلحة، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين[٦].

جـ- وقال الباقلاني:.. وتم الصلح والتفرق علىٰ الرضا، فخاف قتلة عثمان

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٥٤١).
(٢) تاريخ خليفة بن خياط: ص (١٨٢).
(٣) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام: ص (١٩٢، ١٩٣).
(٤) المصدر نفسه: ص (١٩٤).
(٥) فتح الباري (١٣/ ٥٦).
(٦) شرح العقيدة الطحاوية: ص (٥٤٦).

من التمكن منهم، والإحاطة بهم، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا، ثم اتفقت آراؤهم علىٰ أن يفترقوا فرقتين، ويبدءوا بالحرب سحرة في المعسكرين ويختلطوا، ويصيح الفريق الذي في عسكر عليٰ: غدر طلحة والزبير، ويصيح الفريق الذي في عسكر طلحة والزبير: غدر عليٰ، فتم لهم ذلك علىٰ ما دبروه ونشبت الحرب، فكان كل فريق منهم دافعًا لمكروه عن نفسه ومانعًا من الإشاطة بدمه، وهذا صواب من الفريقين وطاعة لله تعالىٰ إذ وقع، والامتناع منهم علىٰ هذا السبيل، فهذا هو الصحيح المشهور، وإليه نميل، وبه نقول(١).

د- ونقل القاضي عبد الجبار: أقوال العلماء، باتفاق رأي عليٰ وطلحة والزبير وعائشة - رضوان الله عليهم - علىٰ الصلح، وترك الحرب، واستقبال النظر في الأمر، وأنّ من كان في المعسكر من أعداء عثمان كرهوا ذلك، وخافوا أن تتفرغ الجماعة لهم، فدبّروا في إلقاء ما هو معروف، وتمّ ذلك(٢).

هـ- ويقول القاضي أبو بكر بن العربي: وقدم عليّ علىٰ البصرة، وتدانوا ليتراءوا، فلم يتركهم أصحاب الأهواء، وبادروا بإراقة الدماء، واشتجرت الحرب، وكثرت الغوغاء علىٰ البوغاء، كل ذلك حتىٰ لا يقع برهان، ولا يقف الحال علىٰ بيان، ويخفىٰ قتلة عثمان، وإنّ واحدًا في الجيش يفسد تدبيره، فكيف بألف(٣).

ويقول ابن حزم:.. وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة والتدبير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم، فدفع القوم عن أنفسهم حتىٰ خالطوا عسكر عليّ، فدفع أهله عن أنفسهم، كل طائفة تظن - ولا شك - أن الأخرىٰ بدأتها القتال،

---

(١) التمهيد: ص (٢٣٣).
(٢) تثبيت دلائل النبوة للهمداني: ص (٢٩٩).
(٣) العواصم من القواصم: ص (١٥٦، ١٥٧).

واختلط الأمر اختلاطًا، ولم يقدر أحد علىٰ أكثر من الدفاع عن نفسه، والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شن الحرب وإضرابها، فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها، مدافعة عن نفسها، ورجع الزبير وترك الحرب بحالها، وأتىٰ طلحة سهم غارب، وهو قائم لا يدري حقيقة ذلك الاختلاط، فصادف جرحًا في ساقه كان أصابه يوم أحد بين يدي رسول الله ﷺ ، فانصرف ومات من وقته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقتل الزبير بوادي السباع- بعد انسحابه من المعركة- علىٰ أقل من يوم من البصرة، فهكذا كان الأمر[(١)]. ويقول الذهبي: كانت وقعة الجمل أثارها سفهاء الفريقين[(٢)]. ويقول: إن الفريقين اصطلحا وليس لعلي ولا لطلحة قصد القتال، بل ليتكلموا في اجتماع الكلمة، فترامي أوباش الطائفتين بالنبل، وشبت نار الحرب، وثارت النفوس[(٣)].

وفي كتاب «دول الإسلام»: والتحم القتال من «الغوغاء» وخرج الأمر عن علي وطلحة والزبير[(٤)].

ويقول الدكتور سليمان بن حمد العودة: ولنا بعد ذلك أن نقول: وما المانع أن تكون رواية الطبري المصرَّحة بدور «السبئية» في الجمل، تفسّر هذا التعميم، وتحدد تلك المسميات التي وردت في نقولات هؤلاء العلماء؟ وحتىٰ لو لم تكن هذه الطوائف الغوغائية ذات صلة مباشرة بالسبئية ولم تكن لها أهداف كأهدافهم، فأي مانع يمنع القول إن هذه شكلت أرضية استغلها ابن سبأ وأعوانه «السبئية»، كما هي العادة في بعض الحركات الغوغائية التي تستغل من قبل

---

(١) الفصل في الملل والنحل (٤/ ١٥٧، ١٥٨).

(٢) العبر (١/ ٣٧)، عبد الله بن سبأ للعودة: ص (١٩٥).

(٣) تاريخ الإسلام (١/ ١٥)، عبد الله بن سبأ للعودة: ص (١٩٥).

(٤) تاريخ الإسلام (١/ ١٥)، عبد الله بن سبأ للعودة: ص (١٩٥).

المفسدين؟![1].

ولا ننسىٰ أن للفتنة وأجوائها دورًا في الإسهام بتلك الأحداث، فمما لا شك فيه أن الناس في الفتن قد تحجب عنهم أشياء يراها غيرهم رأىٰ العين، وقد يتأولون فيها صانعين أشياء يرىٰ من سواهم حقيقته ناصعة لا تحتاج إلىٰ عناء، وكفىٰ بسواد الفتنة حاجبًا عن التروي والإبصار[2]، ولا نبعد كثيرًا؛ فهذا الأحنف بن قيس- وهو أحد الذين عايشوا أحداث الجمل - يخرج وهو يريد نصرة علي بن أبي طالب، حتىٰ لقيه أبو بكرة، فقال: يا أحنف ارجع فإني سمعته ﷺ يقول: «**إذا تَوَاجَه المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار**»، فقلت أو قيل: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «**إنه كان قد أراد قتل صاحبه**»[3]. إن القتال مع عليّ كان حقًا وصوابًا ومن قتل معه فهو شهيد وله أجران، ولكن أبا بكرة رضي الله عنه حمل حديثًا ورد في غبر الحالة التي قاتل فيها عليٌّ علىٰ حالة قتال الباغين، وهو فهم منه رضي الله عنه ولكنه فهم في غير محله. ومن هذه الرواية ندرك أن عقبات متعددة واجهت عليًّا رضي الله عنه في معركته مع الآخرين، منها أمثال هذه الفتاوىٰ التي هي أثر عن ورع أكثر منها أثرًا عن فتوىٰ تصيب محلها[4]. هذا وقد امتنع الأحنف من الدخول مع علي رضي الله عنهما، فلم يشهد الجمل مع أحد من الفريقين[5]، ونقترب أكثر فإذا الزبيرَ رضي الله عنه - وهو طرف أساسي في المعركة - يكشف لنا عن حقيقة الأمر: إن هذه لهي الفتنة التي كنا نحدّث عنها، فقال له مولاه: أتسميها فتنة وتقاتل فيها؟ قال: ويحك؛ إنا نبصر ولا نبصر، ما

(١) عبد الله بن سبأ للعودة: ص (١٩٥).
(٢) المصدر نفسه: ص (١٩٦).
(٣) مسلم (٤/ ٢٢١٣)، ك الفتن.
(٤) الأساس في السنة وفقهها، السيرة النبوية (٤/ ١٧١١).
(٥) صحيح مسلم علىٰ شرح النووي (١٨/ ١٠).

كان أمر قط إلا علمت موضع قدمي فيه، غير هذا الأمر، فإني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر[(١)]. ويشير إلىٰ ذلك طلحة فيقول: بينما نحن يد واحدة علىٰ من سوانا، إذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضًا[(٢)]. وفي الطرف الآخر يؤكد أصحاب علىٰ رضي الله عنه علىٰ الفتنة فيقول عمار رضي الله عنه في الكوفة عن خروج عائشة: إنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكنها مما ابتليتم[(٣)].

٢- الجولة الأولىٰ في معركة الجمل: زاد السبئيّون في الجيشين من جهودهم في إنشاب القتال، ومهاجمة الفريق الآخر، وإغراء كل فريق بخصمه، وتهييجه علىٰ قتاله، ونشبت المعركة عنيفة قاسية حامية شرسة، وهي معركة الجمل، وسميت بذلك لأنَّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، كانت في المعركة في الجولة الثانية وسط جيش البصرة، تركب الجمل الذي قدمه لها يعلىٰ بن أمية في مكة، حيث اشتراه من اليمن، وخرجت علىٰ هذا الجمل من مكة إلىٰ البصرة، ثم ركبته أثناء المعركة، وكانت المعركة يوم الجمعة في السادس عشر من جمادىٰ الثانية، سنة ست وثلاثين، في منطقة «الزابوقة» قرب البصرة، حزن عليّ لما جرىٰ، ونادىٰ مناديه: كفوا عن القتال أيها الناس: ولم يسمع نداءه أحد، فالكل كان مشغولًا بقتال خصمه[(٤)]، كانت معركة الجمل علىٰ جولتين: الجولة الأولىٰ كان قائدا جيش البصرة فيها طلحة والزبير، واستمرت من الفجر حتىٰ قبيل الظهيرة[(٥)]، ونادىٰ علىٰ في جيشه، كما نادىٰ طلحة والزبير في جيشهما: لا تقتلوا مدبرًا، ولا تُجهزوا علىٰ جريح، ولا تلحقوا خارجًا من المعركة تاركًا

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٥٠٦).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٥٠٦).
(٣) المصدر نفسه (٥/ ٥١٦).
(٤) المصدر نفسه (٥/ ٥٤١).
(٥) المصدر نفسه (٥/ ٥٤١، ٥٤٣)، الخلفاء الراشدون للخالدىٰ: ص (٢٤٥).

لها[١]. وقد كان الزبير، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصىٰ ابنه عبد الله بقضاء دينه فقال: إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإني لا أراني إلا سأقتل مظلومًا، وإن أكبر همي دَيْني[٢]. وأثناء ذلك جاء رجل إلىٰ الزبير، وعرض عليه أن يقتل عليًا، وذلك بأن يندس مع جيشه، ثم يفتك به، فأنكر عليه بشدة، وقال: لا؛ لا يفتك مؤمن بمؤمن، أو أن الإيمان قيَّد الفتك[٣]، فالزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ليس له غرض في قتل علىٰ أو أي شخص آخر بريء من دم عثمان، وقد دعا أمير المؤمنين عليٌّ الزبير، فكلمه بألطف العبارة، وأجمل الحديث، وقيل ذكره بحديث سمعه من رسول الله ﷺ يقول له -أي: الزبير- «لتقاتلنه وأنت له ظالم[٤]» - وهذا الحديث ليس له إسناد صحيح[٥]. وبعض الروايات ترجع السبب في انصراف الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبيل المعركة لما علم بوجود عمار بن ياسر في الصف الآخر وهو وإن لم يرو عن رسول الله ﷺ: «**تقتل عمار الفئة الباغية**»[٦]، فلعله سمعه من بعض إخوانه من الصحابة لشهرته[٧]، وبعضها يرجع السبب في انصرافه إلىٰ شكه في صحة موقفه[٨]، من هذه الفتنة - كما يسميها -، وفي رواية ترجع السبب في انصرافه إلىٰ أن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ذكره بالقرابة القوية من علىٰ؛ إذ قال له: أين صفية بنت عبد المطلب حيث تقاتل بسيفك علي بن أبي طالب بن عبد المطلب[٩]. فخرج

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٥٤١).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٥٤٣)، الخلفاء الراشدون للخالدي: ص (٢٤٥).
(٣) مسند أحمد (٣/ ١٩).
(٤) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص (٢٠١)
(٥) المدينة النبوية فجر الإسلام (٢/ ٣٢٤)، المطالب العلية رقم (٤٤٦٨).
(٦) مسند أحمد (١/ ٤٧ - ٤٩)، (١١/ ٣٨).
(٧) خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٥٤).
(٨) المصدر نفسه ص (١٥٤)، تاريخ الطبري (٥/ ٥٠٦).
(٩) الطبقات (٣/ ١١٠).

الزبير من المعركة، فلقيه ابن جرموز فقتله[١]. فالزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان علىٰ وعىٰ لهدفه - وهو الإصلاح - ولكنه لما رأىٰ حلول السلاح مكان الإصلاح رجع، ولم يقاتل، وقول ابن عباس: تقاتل بسيفك علي بن أبي طالب؟ فيه حذف مفهومه: أم جئت للإصلاح وجمع الشمل؟[٢] وعلىٰ إثر هذا الحديث انصرف الزبير وترك الساحة، وربما كانت عوامل متعددة ومتداخلة أسهمت في خروج الزبير من ساحة المعركة، وأما طلحة بن عبيد الله القائد الثاني لجيش البصرة، فقد أصيب في بداية المعركة، إذ جاءه سهم غرب لا يعرف من رماه، فأصابه إصابة مباشرة، ونزف دمه بغزاره فقالوا له: يا أبا محمد، إنك لجريح، فاذهب وادخل البيوت لتعالج فيها، فقال طلحة لغلامه: احملني، وابحث لي عن مكان مناسب، فأدخل البصرة، ووضع في دار فيها ليعالج، ولكن جرحه ما زال ينزف حتىٰ توفىٰ في البيت، ثم دفن في البصرة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣]، وأما الرواية التي تشير إلىٰ تحريض الزبير وطلحة علىٰ القتال وأن الزبير لما رأىٰ الهزيمة علىٰ أهل البصرة ترك المعركة ومضىٰ، فهذه الرواية لا تصح[٤]، وهذا الخبر يعارضه ما ثبت من عدالة الصحابة، رضوان الله عليهم، كما أنه يخالف الروايات الصحيحة التي تنص علىٰ أن أصحاب الجمل ما خرجوا إلا للإصلاح، فكيف ينسجم هذا الفعل من الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مع الهدف الذي خرج من مكة إلىٰ البصرة من أجله ألا وهو الإصلاح بين الناس؟! وبالفعل فإن موقف الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان السعي في الإصلاح حتىٰ آخر لحظة، وهذا ما أخرجه الحاكم من طريق أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلىٰ، وفيه أن الزبير، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سعىٰ في الصلح بين الناس ولكن قامت

---

(١) الطبقات (٣/ ١٠)، تاريخ خليفة: ص (١٨٦).

(٢) المدينة النبوية فجر الإسلام (٢/ ٢٤٨).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٣).

(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٥٤٠).

المعركة واختلف أمر الناس ومضىٰ الزبير وترك القتال[(١)]، وكذلك طلحة؛ فقد جاء من أجل الإصلاح وليس من أجل إراقة الدماء، وأما عن مقتل طلحة رضي الله عنه فقد كان عند بدء القتال كما صرح بذلك الأحنف بن قيس[(٢)].

ويخرج الزبير من ميدان المعركة، ويموت طلحة رضي الله عنهما، وبسقوط القتلىٰ والجرحىٰ من الجانبين تكون قد انتهت الجولة الأولىٰ من معركة الجمل، وكانت الغلبة فيها لجيش علي، وكان علىٰ رضي الله عنه يراقب سير المعركة ويرىٰ القتلىٰ والجرحىٰ في الجانبين، فيتألم ويحزن، وأقبل عليٌّ علىٰ ابنه الحسن، وضمّه إلىٰ صدره، وصار يبكي ويقول له: يا بُني، ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عامًا. فقال الحسن: يا أبت، لقد كنت نهيتك عن هذا، فقال علىٰ: ما كنت أظن أن الأمر سيصل إلىٰ هذا الحد، وما طعمُ الحياة بعد هذا؟ وأيُّ خير يُرجىٰ بعد هذا؟[(٣)].

٣- الجولة الثانية: وصل الخبر إلىٰ أم المؤمنين بما حدث من القتال، فخرجت علىٰ جملها تحيط بها القبائل الأزدية، ومعها كعب الذي دفعت إليه مصحفًا يدع الناس إلىٰ وقف الحرب، تقدمت أم المؤمنين وكلها أمل أن يسمع الناس كلامها لمكانتها في قلوب الناس؛ فتحجز بينهم وتطفئ هذه الفتنة التي بدأت تشتعل[(٤)]، وحمل كعب بن سور المصحف، وتقدم أمام جيش البصرة، ونادىٰ جيش علىٰ قائلًا: يا قوم، أنا كعب بن سور، قاضي البصرة، أدعوكم إلىٰ كتاب الله، والعمل بما فيه، والصلح علىٰ أساسه. وخشي السبئيون في مقدمة جيش علىٰ أن تنجح محاولة كعب فرشقوه بنبالهم رشقة رجل واحد، فلقي

---

(١) المستدرك (٣/ ٣٦٦)، استشهاد عثمان: ص (٢٠٠).

(٢) تاريخ خليفة: ص(١٨٥)، استشهاد عثمان: ص (٢٠٢).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٥٢١).

(٤) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٤٥٦)

وجه الله، ومات والمصحف في يده[١]، وأصابت سهام السبئيين ونبالهم جمل عائشة وهودجها، فصارت تنادي، وتقول: يا بني، الله، الله، اذكروا الله ويوم الحساب، وكفوا عن القتال. والسبئيون لا يستجيبون لها، وهم مستمرون في ضرب جيش البصرة، وكان علىٰ من الخلف يأمر بالكف عن القتال، وعدم الهجوم علىٰ البصريين، لكن السبئيين في مقدمة جيشه لا يستجيبون له، ويأبون إلا إقدامًا وهجومًا وقتالًا، ولما رأت عائشة عدم استجابتهم لدعوتها، ومقتل كعب بن سور أمامها، قالت: أيها الناس، العنوا قتلة عثمان وأشياعهم. وصارت عائشة تدعو علىٰ قتلة عثمان وتلعنهم، وضج أهل البصرة بالدعاء علىٰ قتلة عثمان وأشياعهم، ولعنهم، وسمع عليٌّ الدعاء عاليًا في جيش البصرة فقال: ما هذا؟ قالوا: عائشة تدعو علىٰ قتلة عثمان، والناس يدعون معها. قال علي: ادعوا معي علىٰ قتلة عثمان وأشياعهم والعنوهم. وضجّ جيش علىٰ بلعن قتل عثمان والدعاء عليهم[٢]، وقال علىٰ: اللهم لعن قتلة عثمان في السهل والجبل[٣]. اشتدت الحرب واشتعلت وتشابك القوم وتشاجروا بالرماح، وبعد تقصف الرماح، استلوا السيوف فتضاربوا بها حتىٰ تقصفت[٤]، ودنا الناس بعضهم من بعض[٥]، ووجّه السبئيون جهودهم لعقر الجمل وقتل عائشة أم المؤمنين، فسارع جيش البصرة لحماية عائشة وجملها، وقاتلوا أمام الجمل، وكان لا يأخذ أحد بخطام الجمل إلا قُتل، حيث كانت المعركة أمام الجمل في غاية الشدة والقوة والعنف والسخونة، حتىٰ أصبح الهودج كأنه قنفذ مما رمىٰ فيه من

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٣).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٣).
(٣) مصنف أبي شيبة (١٥/ ٢٦٨)
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٥٨)
(٥) الطبقات (٥/ ٢)

النبل[١]، وقتل حول الجمل كثير من المسلمين من الأزد وبنیٰ ضبة وأبناء وفتيان قريش بعد أن أظهروا شجاعة منقطعة النظير[٢]، وقد أصيبت عائشة بحيرة شديدة وحرج فهي لا تريد القتال ولكنه وقع رغمًا عنها، وأصبحت في وسط المعمعة، وصارت تنادي بالكف، فلا مجيب، وكان كل من أخذ بخطام الجمل قتل، فجاء محمد بن طلحة (السجاد) وأخذ بخطامة وقال لأمه أم المؤمنين: يا أماه ما تأمرين؟ فقالت: كن كخيري ابني آدم - أي كف يدك - فأغمد سيفه بعد أن سلة فُقتل رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]، كما قتل عبد الرحمن ابن عتاب بن أسيد، الذي حاول أن يقتل الأشتر حتىٰ لو قتل معه؛ وذلك أنه صارعه فسقطا علىٰ الأرض جميعًا، فقال ابن عتاب لمن حوله: اقتلوني[٤] ومالكًا، لحنقه عليه لما كان له من دور بارز في تحريض الناس علىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولكن الأشتر لم يكن معروفًا بمالك، ولم يك قد حان أجله ولو قال الأشتر لابتدرته سيوف كثيرة[٥]، وأما عبد الله بن الزبير، فقد قاتل قتالًا منقطع النظير، ورمىٰ بنفسه بين السيوف، فقد استخرج من بين القتلىٰ وبه بضع وأربعون ضربة وطعنة، كان أشدها وآخرها ضربة الأشتر؛ إذ من حنقه علىٰ ابن الزبير لم يرض أن يضربه وهو جالس علىٰ فرسه بل وقف في الركابين فضربه علىٰ رأسه ظانًا أنه قتله[٦]، واستحر القتل أيضًا في بني عدي وبني ضبة والأزد، وقد أبدىٰ بنو ضبة حماسة وشجاعة وفداء لأم المؤمنين، وقد عبر أحد رؤسائهم وهو عمر بن يثربىٰ الضبي برجزه.

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٣)، تاريخ خليفة: ص (١٩٠)
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٤).
(٣) نسب قريش: ص (٢٨١)، التاريخ الصغير للبخاري (١/ ١١٠)
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٢٨)
(٥) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد: ص (١٥٩).
(٦) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٢٨).

نحن بني ضبة أصحاب الجمل ... ننازل الموت إذا الموت نزل
الموت عندنا أحلى من العسل ... ننعي ابن عفان بأطراف الأسل[(١)]

أدرك أمير المؤمنين علىٰ رضي الله عنه بما أوتي من حنكة وقوة ومهارة عسكرية فذة - أن في بقاء الجمل استمرارًا للحرب، وهلاكًا للناس، وأن أصحاب الجمل لن ينهزموا أو يكفوا عن الحرب ما بقيت أم المؤمنين في الميدان، كما أن في بقائها خطرًا علىٰ حياتها؛ فالهودج الذي هي فيه أصبح كالقنفذ من السهام[(٢)]، فأمر علىٰ نفرًا من جنده منهم محمد بن أبي بكر «أخو أم المؤمنين» وعبد الله بن بديل أن يعرقبا الجمل ويخرجا عائشة من هودجها إلىٰ الساحة -، أي يضربا قوائم الجمل بالسيف - فعقروا الجمل[(٣)]، واحتمل أخوها محمد وعبد الله بن بديل الهودج حتىٰ وضعاه أمام علىٰ، فأمر به علىٰ، فأدخل في منزل عبد الله بن بديل[(٤)]، وصدق حدس علىٰ رضي الله عنه العسكري، فما إن زال السبب أو الدافع الذي دفع البصريين إلىٰ الإقبال علىٰ الموت بشغف، وأخرجت أم المؤمنين من الميدان، حتىٰ ولوا الأدبار منهزمين. ولو لم يتخذ هذا الإجراء لاستمرت الحرب إلىٰ أن يفنىٰ جيش البصرة أصحاب الجمل، أو ينهزم جيش علي، وعندما بدأت الهزيمة نادىٰ علي أو مناديه في جيشه أن لا يتبعوا مدبرًا ولا يجهزوا علىٰ جريح، ولا يغنموا إلا ما حمل إلىٰ الميدان أو المعسكر من عتاد أو سلاح فقط، وليس لهم ما وراء ذلك من شيء، ونهاهم أن يدخلوا الدور، ليس هذا فحسب، بل قال لمن حاربه من أهل البصرة: من وجد له شيئًا من متاع عند

---

(١) تاريخ خليفة: ص (١٩٠)
(٢) أنساب الأشراف للبلاذري (٢/ ٤٣)
(٣) أعلام الحديث للخطابي (٣/ ١٦١١).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٨٦، ٢٨٧)

أحد من أصحابه، فله أن يسترده، فجاء رجل إلىٰ جماعة من جيش علي وهم يطبخون لحمًا في قدر له فأخذ منهم القدر وكفأ ما فيها حنقًا عليهم[١].

٤- عدد القتلىٰ: أسفرت هذه الحرب الضروس عن عدد من القتلىٰ اختلفت في تقديره الروايات، وذكر المسعودي أن هذا الاختلاف في تقدير عدد القتلىٰ مرجعه إلىٰ أهواء الرواة[٢] فيذكر قتادة أن قتلىٰ يوم الجمل عشرون ألفًا[٣]، ويظهر أن فيها مبالغة كبيرة، لأن عدد الجيشين حول هذا العدد أو أقل، أما أبو مخنف الرافضي الشيعي، فقد بالغ كثيرًا - بحكم ميوله - وقد أساء من حيث يظن أنه أحسن؛ إذ ذكر أن العشرين ألفًا هم من أهل البصرة[٤]، وأما سيف فيذكر أنهم عشرة آلاف نصفهم من أصحاب علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ونصفهم من أصحاب عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وفي رواية أخرىٰ قال: وقيل خمسة عشر ألفًا، خمسة آلاف من أهل الكوفة، وعشرة آلاف من أهل البصرة، نصفهم قتل في المعركة الأولىٰ ونصفهم في الجولة الثانية[٥]، والروايتان ضعيفتان للانقطاع وغيره، وفيهما مبالغة أيضًا، ويذكر عمر بن شبيه بسنده أن القتلىٰ يزيدون علىٰ ستة آلاف، إلا أن الرواية ضعيفة سندًا[٦]، أما اليعقوبي، فقد جاوز هؤلاء جميعًا؛ إذ وضع عدد القتلىٰ اثنين وثلاثين ألفًا[٧]، وهذه الأرقام مبالغ فيها جدًا، وكان من أسباب المبالغة:

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٨٦، ٢٨٧)
(٢) مروج الذهب (٣/ ٣٦٧).
(٣) مروج الذهب (٣/ ٣٦٧).
(٤) تاريخ خليفة بن خياط (١٨٦)
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٥٤٢ - ٥٥٥).
(٦) تاريخ خليفة بن خياط (١٨٦)
(٧) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٥٤٦)، فتح الباري (١٣/ ٦٢).

أ- رغبة أعداء الصحابة من السبئية وأتباعهم، في توسيع دائرة الخلاف بين أبناء الأمة التي يجمعها حب الصحاب والاقتداء بهم بعد رسول الله ﷺ .

ب- إسهام بعض الشعراء والجهلة من أبناء القبائل، في تضخيم ما جرىٰ وتكبيره، ليتناسب مع ما يصنعونه من أشعار ينسبونها إلىٰ بعض زعمائهم وفرسانهم، فضلًا عن وجود قصاص السمر، ورواة الأخبار الذين يجلبون اهتمام الناس بهم، من خلال الأحداث المثيرة التي يتحدثون عنها.

ج- إيجاد الثقة في نفوس أتباع الغوغاء والسبئية لإثبات نجاح خططهم وتدابيرهم[(١)] أما عن العدد الحقيقي لقتلىٰ معركة الجمل فقد كان ضئيلًا جدًا للأسباب التالية:

* قصر مدة القتال، حيث أخرج ابن أبي شيبه بإسناد صحيح[(٢)]، أن القتال نشب بعد الظهر فما غربت الشمس وحول الجمل أحد ممن كان يذب عنه.

* الطبيعة الدفاعية للقتال حيث كان كل فريق يدافع عن نفسه ليس إلا.

* قياسًا بعدد شهداء المسلمين في معركة اليرموك «ثلاثة آلاف شهيد»، ومعركة القادسية «ثمانية آلاف وخمسمائة شهيد»، وهي التي استمرت عدة أيام، فإن العدد الحقيقي لقتلىٰ معركة الجمل يعد ضئيلًا جدًا، هذا مع الأخذ بالاعتبار شراسة تلك المعارك وحدَّتها لكونها من المعارك الفاصلة في تاريخ الأمم.

* أورد خليفة بن خياط بيانًا بأسماء من حفظ من قتلىٰ يوم الجمل فكانوا قريبًا من المائة[(٣)]، فلو فرضنا أن عددهم كان مائتين وليس مائة، فإن هذا يعنىٰ أن قتلىٰ معركة الجمل لا يتجاوز المائتين. وهذا هو الرقم الذي ترجَّح لدىٰ

---

(١) الإنصاف: ص (٤٥٥).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٥٤٦)، فتح الباري (١٣/ ٦٢).

(٣) تاريخ خليفة: ص (١٨٧، ١٩٠).

الدكتور خالد بن محمد الغيث في رسالته «استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري- دراسة نقدية»(١).

٥- هل يصح قتل مروان بن الحكم لطلحة بن عبيد الله؟ أشار كثير من الروايات إلىٰ أن قاتل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، هو مروان بن الحكم(٢)، ولكن بعد دراسة تلك الروايات أتضح براءة مروان بن الحكم من تلك التهمة وذلك للأسباب التالية:

أ- قال ابن كثير: ويقال إن الذي رماه بهذا السهم مروان بن الحكم، وقد قيل: إن الذي رماه بهذا السهم غيره، وهذا عندي أقرب وإن كان الأول مشهورًا، والله أعلم(٣).

ب- قال ابن العربي: قالوا إن مروان قتل طلحة بن عبيد الله، ومن يعلم هذا إلا علام الغيوب، ولم ينقله ثبت(٤).

جـ- قال محب الدين الخطيب: وهذا الخبر عن طلحة ومروان لقيط لا يُعرف أبوه ولا صاحبه(٥).

د- بطلان السبب الذي قيل أن مروان قتل طلحة رضي الله عنه، من أجله، وهو اتهام مروان لطلحة بأنه أعان علىٰ قتل عثمان رضي الله عنه، وهذا السبب المزعوم غير صحيح حيث إنه لم يثبت من طريق صحيح أن أحدًا من الصحابة قد أعان علىٰ قتل عثمان رضي الله عنه.

هـ- كون مروان وطلحة رضي الله عنهما، من صف واحد يوم الجمل وهو صف

---

(١) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص (٢١٥).

(٢) الطبقات (٣/ ٢٢٣)، تاريخ المدينة (٤/ ١١٧٠)، تاريخ خيفة: ص (١٨٥).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٨).

(٤) العواصم من القواصم: ص (١٥٧ - ١٦٠).

(٥) العواصم من القواصم: ص (١٥٧ - ١٦٠).

المنادين بالإصلاح بين الناس[١].

وأن معاوية رضي الله عنه، قد ولىٰ مروان علىٰ المدينة ومكة، فلو صح ما بدر من مروان لما ولاه معاوية رضي الله عنه، علىٰ رقاب المسلمين، وفي أقدس البقاع عند الله.

ز- وجود رواية لمروان بن الحكم في صحيح البخاري[٢] - مع ما عرف عن البخاري رحمه الله من الدقة وشدة التحري في أمر من تقبل روايته - فلو صح قيام مروان بقتل طلحة رضي الله عنه، لكان هذا سببًا كافيًا لرد روايته والقدح في عدالته[٣].

٦- نداء أمير المؤمنين بعد الحرب: ما إن بدأت الحرب تضع أوزارها، حتىٰ نادىٰ منادي علىٰ: أن لا يجهزوا علىٰ جريح، ولا يتبعوا مدبرًا، ولا يدخلوا دارًا، ومن ألقىٰ السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، وليس لجيشه من غنيمة إلا ما حمل إلىٰ ميدان المعركة من سلاح وكراع، وليس لهم ما وراء ذلك من شيء، ونادىٰ منادي أمير المؤمنين فيمن حاربه من أهل البصرة من وجد شيئًا من متاعه عند أحد من جنده، فله أن يأخذه[٤]، وقد ظن بعض الناس في جيش علىٰ أن عليًا سيقسم بينهم السبي، فتكلموا به ونشروه بين الناس، ولكن سرعان ما فاجأهم علي رضي الله عنه، حين أعلن في ندائه: وليس لكم أم ولد، والمواريث علىٰ فرائض الله، وأي امرأة قُتل زوجها فلتعتد أربعة أشهر وعشرًا، فقالوا مستنكرين متأولين: يا أمير المؤمنين تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا نساؤهم؟ فقال علي: كذلك السيرة في أهل القبلة، ثم قال: فهاتوا سهامكم وأقرعوها علىٰ عائشة فهي رأس الأمر وقائدهم، ففرقوا وقالوا: نستغفر الله،

---

(١) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص (٢٠٢).

(٢) فتح الباري (٢/ ٥٢٠)، استشهاد عثمان: ص (٢٠٣).

(٣) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص (٢٠٢).

(٤) خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٦٨) عبد الحميد، مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٨٦)

وتبين لهم أن قولهم وظنهم خطأ فاحش، ولكن ليرضيهم قسم عليهم رضي الله عنه من بيت المال خمسمائة خمسمائة[(١)].

٧- تفقده للقتلىٰ وترحمه عليهم: بعد انتهاء المعركة خرج علىٰ يتفقد القتلىٰ مع نفر من أصحابه، فأبصر محمد بن طلحة (السجاد) فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أما والله لقد كان شابًا صالحًا، ثم قعد كئيبًا حزينًا... ودعا للقتلىٰ بالمغفرة، وترحم عليهم وأثنىٰ علىٰ عدد منهم بالخير والصلاح[(٢)]، وعاد إلىٰ منزله فإذا امرأته وابنتاه يبكين علىٰ عثمان وقرابته والزبير وطلحة وغيرهم من أقاربهم القرشيين. فقال لهن: إني لأرجو أن نكون من الذين قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧﴾ [الحجر:٤٧]. ثم قال: ومن هم إن لم نكن؟! ومن هم إن لم نكن؟! فما زال يردد ذلك حتىٰ وددت أنه سكت[(٣)].

٨- مبايعة أهل البصرة: كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حريصًا علىٰ وحدة الصف، واحترام رعايا الدولة، ومعاملتهم المعاملة الكريمة، وكان لهذه المعاملة أثر بالغ في مبايعة أهل البصرة لأمير المؤمنين علىٰ، وكان أمير المؤمنين قد وضع الأسرىٰ في مساء يوم الجمل في موضع خاص، فلما صلىٰ الغداة طلب موسىٰ بن طلحة بن عبيد الله، فقربه ورحب به وأجلسه بجواره وسأله عن أحواله وأحوال إخوته، ثم قال له: إنا لم نقبض أرضكم هذه ونحن نريد أن نأخذها، إنما أخذناها مخافة أن ينتهبها الناس، ودفع له غلتها وقال: يا ابن أخي وأتنا في الحاجة إذا كانت لك، وكذلك فعل مع أخيه عمران بن طلحة فبايعاه، فلما رأىٰ الأسارىٰ ذلك دخلوا علىٰ عليٍّ رضي الله عنه يبايعونه، فبايعهم وبايع الآخرين

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٨٦)

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٦١)، المستدرك (٣/ ١٠٣، ١٠٤، ٣٧٥)

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٦٨ - ٢٦٩)

علىٰ راياتهم قبيلة قبيلة[(١)]، كما سأل عن مروان بن الحكم وقال: يعطفني عليه رحم ماسة، وهو مع ذلك سيد من شباب قريش، وقد أرسل مروان إلىٰ الحسن والحسين وابن عباس رضي الله عنهم ليكلموا عليًا فقال علىٰ: هو آمن فليتوجه حيث شاء، ولكن مروان إزاء هذا الكرم والنبل، لم تطاوعه نفسه أن يذهب حتىٰ بايعه[(٢)]، كما أن مروان رضي الله عنه أثنىٰ علىٰ فعال أمير المؤمنين علىٰ فقال لابنه الحسن: ما رأيت أكرم غلبة من أبيك، ما كان إلا أن ولَّينا يوم الجمل حتىٰ نادىٰ مناديه: ألا لا يتبع مدبر، ولا يذفف علىٰ جريح[(٣)].

وبذلك تمت بيعة أهل البصرة لأمير المؤمنين علىٰ، وولىٰ عليهم ابن عمه عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، وولىٰ علىٰ خراجها زياد بن أبيه، وأراد عليّ رضي الله عنه أن يمكث فيها مدة أطول، لولا أن مالكًا (الأشتر) أعجلة من ذلك؛ وذلك أن الأشتر كان يطمع في أن يلي ولاية، فلما علم بأن ابن عباس ولىٰ إمارة البصرة غضب وسار في قومه، فخشي علىٰ رضي الله عنه منه شرًا وفتنة، فاستعجل ببقية جيشه، وأدركه، وعاتبه علىٰ سيره وأظهر أنه لم يسمع عنه شيئًا[(٤)].

٩- تأثره من مقتل طلحة رضي الله عنه: وإن عليًا لما دار بين القتلىٰ رأىٰ طلحة مقتولًا فجعل يمسح عن وجهه التراب[(٥)] ثم قال: عزيز عليّ أبا محمد أن أراك مُجندلًا في الأودية، ثم قال: إلىٰ الله أشكو عُجري وبُجري[(٦)] وترحم عليه وقال: ليتني مت قبل هذا بعشرين سنة[(٧)].

---

(١) الطبقات (٣/ ٢٢٤) بسند حسن، المستدرك (٣/ ٣٧٦، ٣٧٧).
(٢) سنن سعيد بن منصور (٢/ ٣٣٧)
(٣) فتح الباري (١٣/ ٦٢).
(٤) فتح الباري (١٣/ ٥٧)، خلافة علىٰ، عبد الحميد: ص (١٧٤).
(٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٨).
(٦) سرائري وأحزاني التي تموج في جوفي.
(٧) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين صـ ٥٢٨.

١٠- حديث أبي بكرة عن رسول الله ﷺ: «**إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**»(١).

قال القرطبي: قال علماؤنا: ليس هذا الحديث حديث أبي بكرة - في أصحاب النبي ﷺ، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ [الحجرات:٩، ١٠]. فأمر الله تعالىٰ بقتال الفئة الباغية، ولو أمسك المسلمون عن قتال أهل البغي لتعطلت فريضة من فرائض الله.

وهذا يدل علىٰ أن قوله: «**القاتل والمقتول في النار**» ليس في أصحاب النبي ﷺ، لأنهم إنما قاتلوا علىٰ التأويل. قال الطبري: لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل وكسر السيوف، لما أقيم حد ولا أبطل باطل، ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلًا إلىٰ استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين، وسبي نسائهم، وسفك دمائهم، بأن يتحزبوا عليهم، ويكف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا: هذه فتنة قد نهينا عن القتال فيها، وأمرنا بكف الأيدي والهرب منها(٢).

وقال النووي: وأما كون القاتل والمقتول فمحمولة علىٰ من لا تأويل له ويكون قتالهما عصبية ونحوها، ثم كونه في النار معناه مستحق لها وقد يجازىٰ بذلك، وقد يعفو الله تعالىٰ عنه، هذا مذهب أهل الحق.. وعلىٰ هذا يتأول كل ما جاء من نظائره.

واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة، رضي الله عنهم، ليست بداخلة في هذا

---

(١) مسلم. ك الفتن (٤/ ٢٣٣).

(٢) التذكرة (٢/ ٢٣٢، ٢٣٣).

الوعيد، ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم والإمساك عما شجر بينهم، وتأويل قتالهم وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا، بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفه باغ، فوجب عليه قتاله ليرجع إلىٰ أمر الله، وكان بعضهم مصيبًا وبعضهم مخطئًا معذورًا في الخطأ في الاجتهاد، والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه، وكان علىٰ رضي الله عنه هو المحق المصيب في تلك الحروب، هذا هو مذهب أهل السنة، وكانت القضايا مشتبهة حتىٰ إن جماعة من الصحابة تحيروا فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولم يتيقنوا الصواب ثم تأخروا عن مساعدتهم[(١)].

١١- تاريخ معركة الجمل: اختلف المؤرخون في تاريخ وقعة الجمل إلىٰ أقوال كثيرة منها:

أ- أخرج خليفة بن خياط من طريق قتادة أن الفريقين التقيا يوم الخميس في النصف من جمادىٰ الآخرة سنة ست وثلاثين، وكانت الوقعة يوم الجمعة[(٢)].

ب- أخرج عمر بن شبَّة أن الوقعة كانت في النصف من جمادىٰ الآخرة سنة ست وثلاثين[(٣)].

جـ- أخرج الطبري من طريق الواقدىٰ أن الواقعة كانت يوم الخميس لعشر خلون من جمادىٰ الآخرة سنة ست وثلاثين[(٤)].

د- ذكر المسعودي أن الوقعة كانت يوم الخميس في العاشر من جمادىٰ الأولىٰ[(٥)]، غير أن أرجح الأقول هو ما أخرجه خليفة بن خياط من طريق قتادة

---

(١) شرح صحيح مسلم (٨/ ٢٢٧، ٢٢٨).
(٢) تاريخ خليفة بن خياط: ص (١٨٤، ١٨٥).
(٣) فتح الباري (١٣/ ٦١).
(٤) استشهاد عثمان: ص (٢٠٦)
(٥) مروج الذهب (٢/ ٣٦٠).

حيث إن إسناد روايته يعد أصح ما في الباب.

١٢- أفلا نكف عنهن وهن مسلمات؟ جاء أمير المؤمنين إلىٰ الدار التي فيها أم المؤمنين عائشة، فاستأذن وسلم عليها ورحبت به، وإذا النساء في دار بني خلف يبكين علىٰ من قُتل، منهم عبد الله وعثمان ابنا خلف، فعبد الله قتل مع عائشة، وعثمان قتل مع علىٰ، فلما دخل علي قالت له صفية امرأة عبد الله، أم طلحة الطلحات: أيتم الله منك أولادك كما أيتمت أولادي. فلم يرد عليها علىٰ شيئًا، فلما خرج أعادت عليه المقالة أيضًا فسكت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين أتسكت عن هذه المرأة وهي تقول ما تسمع؟ فقال: ويحك إنا أمرنا أن نكف عن النساء وهن مشركات، أفلا نكف عنهن وهن مسلمات؟![1].

١٣- اعتذار أبي بكرة الثقفي عن إمارة البصرة: جاء عبد الرحمن بن أبي بكرة الثقفي إلىٰ أمير المؤمنين فبايعه فقال له علىٰ: أين المريض؟ - يعني: أباه - فقال: إنه والله مريض يا أمير المؤمنين، وإنه علىٰ مسرتك لحريص. فقال: امش أمامي، فمضىٰ إليه فعاده، واعتذر إليه أبو بكرة فعذره، وعرض عليه البصرة فامتنع وقال: رجل من أهلك يسكن إليه الناس، وأشار عليه بابن عباس فولاه علىٰ البصرة، وجعل معه زياد بن أبيه علىٰ الخراج وبيت المال، وأمر ابن عباس أن يسمع من زياد[2].

١٤- موقف أمير المؤمنين علىٰ ممن ينال من عائشة: قال رجل: يا أمير المؤمنين، إن علىٰ الباب رجلين ينالان من عائشة، فأمر عليٌّ القعقاع بن عمرو أن يجلد كل واحد منهما مائة، وأن يخرجهما من ثيابهما[3]، وقد قام القعقاع بذلك.

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٣٥٧).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٣٥٧).

(٣) المصدر نفسه (٧/ ٢٥٨).

١٥- دفاع عمار بن ياسر عن أم المؤمنين عائشة: عن محمد بن عريب قال: قام رجل فذكر عائشة عند علىٰ، فجاء عمار فقال: من هذا الذي يتناول زوجة نبينا؟ اسكت مقبوحًا منبوذًا مذمومًا مدحورًا[١]. وجاء في رواية: اغرب مقبوحًا، أتؤذي حبيبة رسول الله ﷺ ؟![٢] وجاء في رواية: ذكرت عائشة عند علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال: حليلة رسول الله ﷺ [٣].

عاشرًا: بين عائشة أم المؤمنين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

عائشة أم المؤمنين هي الصديقة بنت الصديق أبي بكر عبد الله بن عثمان، وأمها أم رومان بنت عويمر الكنانية، ولدت بعد المبعث بأربع سنوات أو خمس، تزوجها النبي ﷺ وهي بنت ست ودخل بها وهي بنت تسع سنين، وكان دخوله بها في شوال في السنة الأولىٰ، وقيل في السنة الثانية من الهجرة، وهي المبرأة من فوق سبع سماوات، وكانت أحب أزواج النبي ﷺ إليه، ولم يتزوج بكرًا غيرها، وكانت أفقه نساء الأمة علىٰ الإطلاق، فكان الأكابر من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، إذا أشكل عليهم الأمر في الدين استفتوها، وقد توفىٰ عنها النبي ﷺ وهي في الثامنة عشرة من عمرها، وكانت وفاتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في سنة ثمان وخمسين ليلة السابع عشر من رمضان، وصلىٰ عليها أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ودفنت في البقيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها[٤]، ومناقبها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كثيرة مشهورة فقد وردت أحاديث صحيحة بخصائص انفردت بها عن سواها من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وأرضاهن منها:

---

(١) فضائل الصحابة (٢/ ١١٠)

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٧٩)

(٣) المصدر نفسه (٢/ ١٧٦)

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٥ - ٢٠١)، طبقات ابن سعد (٨/ ٥٨)، البداية والنهاية (٨/ ٩٥).

١- مجيء الملك بصورتها إلىٰ النبي ﷺ في سرقة[(١)] من حرير قبل زواجها به ﷺ: فقد روىٰ الشيخان من حديث عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أريتك في المنام ثلاث ليال جاءني بك الملك في سرقة من حرير فيقول: هذه امرأتك فاكشف عن وجهك، فإذا أنت هي فأقول: إن يك هذا من الله يمضه**»[(٢)].

٢- أحب أزواج النبي ﷺ: وقد صرح بمحبتها لما سئل ﷺ عن أحب الناس إليه، فقد روىٰ البخاري بإسناده إلىٰ عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه علىٰ جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**»، قلت: فمن الرجال؟ قال: «**أبوها**»[(٣)].

قال الحافظ الذهبي: وهذا خبر ثابت علىٰ رغم أنوف الروافض، وما كان عليه الصلاة والسلام ليحب إلا طيبًا، وقد قال: «**لو كنت متخذًا خليلًا من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكن أخوة الإسلام أفضل**»، فأحب أفضل رجل في أمته، وأفضل امرأة في أمته، فمن أبغض حبيبي رسول الله ﷺ فهو حرىٰ أن يكون بغيضًا إلىٰ الله ورسوله، وحبه عليه الصلاة والسلام لعائشة كان أمرًا مستفيضًا[(٤)].

٣- نزول الوحي علىٰ النبي ﷺ وهو في لحافها دون غيرها من نسائه عليه الصلاة والسلام: فقد روىٰ البخاري بإسناده إلىٰ هشام بن عروة عن أبيه قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلىٰ أم سلمه فقلن: يا أم سلمه والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث

---

(١) النهاية لابن الأثير (٢/ ٣٦٢).
(٢) مسلم رقم (٢٤٣٨).
(٣) البخاري رقم (٤٣٥٨).
(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤٣).

كان أو حيث ما دار، قالت: فذكرت ذلك أم سلمه للنبي ﷺ قالت: فأعرض عني، فلما عاد إليَّ ذكرت له ذلك فأعرض عنىٰ، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: «يا أم سلمه لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل عليَّ الوحي في لحاف امرأة منكن غيرها»[(١)].

وقال الذهبي: وهذا الجواب منه دال علىٰ أن فضل عائشة علىٰ سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهي وراء حبه لها، وأن ذلك الأمر من أسباب حبه لها[(٢)].

٤- أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أرسل إليها سلامه مع النبي ﷺ: فقد روىٰ البخاري بإسناده إلىٰ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ يومًا: «**يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام**»، فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترىٰ ما لا أرىٰ - تريد رسول الله ﷺ[(٣)].

٥- بدأ النبي ﷺ بتخييرها عند نزول آية التخيير، وقرن ذلك بإرشادها إلىٰ استشارة أبويها في ذلك الشأن لعلمه أن أبويها لا يأمرانها بفراقه، فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة؛ فاستن بها بقية أزواجه ﷺ، فقد روىٰ الشيخان بإسنادهما إلىٰ عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: إني ذاكر لك أمرًا فلا عليك أن لا تعجلي حتىٰ تستأمري أبويك. قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه قالت: ثم قال: إن الله - جل ثناؤه- قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب:٢٨، ٢٩] قالت: فقلت: ففي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج رسول

---

(١) البخاري رقم (٣٧٧٥)، ك فضائل الصحابة.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤٣).

(٣) البخاري، ك فضائل الصحابة رقم (٣٧٦٨).

الله ﷺ مثل ما فعلت(١).

٦- نزول آيات من كتاب الله بسببها، فمنها ما هو في شأنها خاصة ومنها ما هو للأمة عامة: فأما الآيات الخاصة بها والتي تدل علىٰ عظم شأنها ورفعة مكانتها شهادة الباري جل وعلا لها بالبراءة مما رميت به من الإفك والبهتان، وهو قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور:١١] إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النور:٢٦]. قال ابن القيم: ومن خصائصها أن الله ـ برأها مما رماها به أهل الإفك، وأنزل في عذرها وبراءتها وحيًا يتلىٰ في محاريب المسلمين وصلواتهم إلىٰ يوم القيامة، وشهد لها بأنها من الطيبات، ووعدها المغفرة والرزق الكريم. وأخبر ـ أن ما قيل فيها من الإفك كان خيرًا لها، ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شرًا لها ولا خافضًا من شأنها، بل رفعها الله بذلك وأعلىٰ قدرها وأعظم شأنها، وصار لها ذكرًا بالطيب والبراءة بين أهل الأرض والسماء، فيا لها من منقبة ما أجلها! وتأمل هذا التشريف والإكرام الناشئ عن فرط تواضعها واستصغارها لنفسها حيث قالت: لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بوحي يُتلىٰ، ولكن كنت أرجو أن يرىٰ رسول الله ﷺ رؤيا يبرئني الله بها(٢). فهذه صديقة الأمة وأم المؤمنين وحب رسول الله ﷺ، وهي تعلم أنها بريئة منه مظلومة، وأن قاذفيها ظالمون مفترون عليها، وقد بلغ أذاهم إلىٰ أبويها وإلىٰ رسول اله ﷺ(٣).

قال ابن كثير: ولما تكلم فيها أهل الإفك بالزور والبهتان غار الله فأنزل براءتها في عشر آيات من القرآن تُتلىٰ علىٰ الزمان.. وقد أجمع العلماء علىٰ

---

(١) البخاري، ك التفسير رقم (٤٧٨٩).
(٢) البخاري رقم (٤١٤١).
(٣) جلاء الإفهام: ص (١٢٤، ١٢٥).

تكفير من قذفها بعد براءتها[(١)].وأما ما نزل بسببها من الآيات وهي للأمة عامة فآية التيمم وكانت رحمة وتسهيلًا لسائر الأمة، فقد روىٰ البخاري بإسناده إلىٰ عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت، فأرسل رسول الله ﷺ ناسًا من أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء، فلما أتوا النبي ﷺ شكوا ذلك إليه، فنزلت آية التيمم فقال أسيد بن حضير: جزاك الله خيرًا، فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله لك وللمسلمين فيه خيرًا[(٢)].

٧- كان رسول الله ﷺ يحرص علىٰ أن يمرض في بيتها: فقد كانت وفاته ﷺ بين سحرها ونحرها وفي يومها، وجمع الله بين ريقه وريقها في آخر ساعة من ساعاته في الدنيا، وأول ساعة من الآخرة، ودفن في بيتها[(٣)]، فقد روىٰ البخاري بإسناده إلىٰ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن رسول الله ﷺ لما كان في مرضه جعل يدور في نسائه ويقول: أين أنا غدًا؟ حرصًا علىٰ بيت عائشة، قالت: فلما كان يومي سكن[(٤)]، وعند مسلم عنها أيضًا قالت: إن كان رسول الله ﷺ ليتفقد يقول: «**أين أنا اليوم، أين أنا غدًا؟**» استبطاء ليوم عائشة، قالت: فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري[(٥)]، وروىٰ البخاري أيضًا بإسناده عنها: أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: «**أين أنا غدًا، أين أنا غدًا؟**» يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه بأن يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتىٰ مات عندها. قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور عليَّ فيه في بيتي، فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحري، وخالط ريقه ريقي، ثم قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه مسواك يستن به، فنظر إليه رسول الله، فقلت له:

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ٩٥)، تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٦٨).

(٢) البخاري، رقم (٣٣٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٩)، البداية والنهاية (٨/ ٩٥).

(٤) البخاري، ك فضائل الصحابة رقم (٣٧٧٤).

(٥) مسلم، ك الصحابة رقم (٢٤٤٣).

أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن، فأعطانيه فقصمته، ثم مضغته، فأعطيته رسول الله ﷺ فاستن به، وهو مستند إلىٰ صدري. وفي رواية أخرىٰ بزيادة: فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة[(١)].

٨- إخباره ﷺ بأنها من أصحاب الجنة: فقد روىٰ الحاكم بإسناده إلىٰ عائشة رضي الله عنها، قالت: قلت: يا رسول الله، من أزواجك في الجنة؟ قال: أما إنك منهن؟ قالت: فخيل إليّ أن ذاك أنه لم يتزوج بكرًا غيري[(٢)]. وروىٰ البخاري بإسناده إلىٰ القاسم بن محمد أن عائشة اشتكت فجاء ابن عباس فقال: يا أم المؤمنين تقدمين علىٰ فرط صدق علىٰ رسول الله ﷺ، وعلىٰ أبي بكر[(٣)]. وفي هذا فضيلة عظيمة لعائشة رضي الله عنها، حيث قطع لها بدخول الجنة إذ لا يقول ذلك إلا بتوقيف[(٤)].

٩- فضل عائشة علىٰ النساء كفضل الثريد علىٰ سائر الطعام: ما رواه الشيخان بإسنادهما إلىٰ عبد الله بن عبد الرحمن أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**فضل عائشة علىٰ النساء كفضل الثريد علىٰ سائر الطعام**»[(٥)].

قال النووي: قال العلماء: معناه: أن الثريد من كل طعام أفضل من المرق، فثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد، وثريد ما لا لحم فيه أفضل من مرقه، والمراد بالفضيلة نفعه والتشبع منه وسهولة مساغه، والالتذاذ به وتيسر تناوله، وتمكن الإنسان من أخذ كفايته منه بسرعة وغير ذلك، فهو أفضل من المرق كله ومن سائر الأطعمة، وفضل عائشة علىٰ النساء زائد كزيادة فضل الثريد علىٰ

---

(١) البخاري، رقم (٤٤٥٠، ٤٤٥١).

(٢) المستدرك (٤/ ١٣) صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) البخاري، رقم (٣٧٧١).

(٤) فتح الباري، (٧/ ١٠٨)

(٥) البخاري، رقم (٣٧٧٠).

غيره من الأطعمة. وليس في هذا تصريح بتفضيلها علىٰ مريم وآسية لاحتمال أن المراد تفضيلها علىٰ نساء هذه الأمة[(١)].

هذه بعض الأحاديث التي أشارت إلىٰ فضل السيدة عائشة ومكانتها وسبقها؛ وعلو شأنها في الدين، وعظيم مكانتها، ومع هذا فقد تعرضت السيدة عائشة أم المؤمنين للطعن والتجريح والكذب والافتراء من قبل الشيعة الرافضة ومن تأثر برواياتهم المختلفة، وآثارهم الموضوعة، وجاءوا لآثار صحاح، وأحاديث مسندة صحيحة وأوّلوها علىٰ غير حقيقتها ومرادها، كما فعل ذلك صاحب كتاب «ثم اهتديت» وهو لم يأت بجديد وإنما سار علىٰ منهج أسلافه ممن سبقوه من الشيعة الروافض، وطعن في أم المؤمنين عائشة بقول عمار: والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالىٰ ابتلاكم بها ليعلم إياه تطيعون أم هي[(٢)]. وليس في قول عمار هذا ما يطعن به علىٰ عائشة رضي الله عنها بل فيه أعظم فضيلة لها، وهي أنها زوجة نبينا ﷺ في الدنيا والآخرة، فأي فضل أعظم من هذا؟! فإن غاية كل مؤمن رضا الله والجنة، وعائشة رضي الله عنها قد تحقق لها ذلك بشهادة عمار رضي الله عنه الذي كان مُخالفًا لها في الرأي في تلك الفتنة، وأنها ستكون في أعلىٰ الدرجات في الجنة بصحبة رسول الله ﷺ[(٣)]، وبهذا قد جاء الحديث الصحيح المرفوع للنبي ﷺ، علىٰ ما روىٰ الحاكم في المستدرك من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة؟ قالت: بلىٰ والله، قال: فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة[(٤)].

فيكون هذا الحديث من أعظم فضائل عائشة رضي الله عنها ولذا أورد البخاري الأثر

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٥/ ٢٠٨، ٢٠٩).
(٢) البخاري، ك فضائل الصحابة رقم (٣٧٧٢).
(٣) الانتصار للصحب والآل ص: (٤٤٨).
(٤) المستدرك (٤/ ١٠)

السابق عن عمار في مناقب عائشة رضي الله عنها[١]، وأما قوله في الجزء الأخير من الأثر: ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها[٢].

فليس بمطعن على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبيان ذلك من وجوه:

أ- أن قول عمار هذا يمثل رأيه، وعائشة رضي الله عنها ترى خلاف ذلك، وأن ما هي عليه هو الحق، وكل منهما صحابي جليل، عظيم القدر في الدين والعلم، فليس قول أحدهما حجة على الأخر[٣].

ب- أن غاية ما في قول عمار هو مخالفتها أمر الله في تلك الحالة الخاصة، وليس كل مخالف مذمومًا حتى تقوم عليه الحجة بالمخالفة ويعلم أنه مخالف، وإلا فهو معذور إن لم يتعمد المخالفة، فقد يكون ناسيًا أو متأولًا فلا يؤخذ بذلك.

جـ- أن عمارًا رضي الله عنه ما قصد بذلك ذم عائشة ولا انتقاصها، وإنما أراد أن يبين خطأها في الاجتهاد نصحًا للأمة، وهو مع هذا يعرف لأم المؤمنين قدرها وفضلها[٤]، وقد جاء في بعض روايات هذا الأثر عن عمار أن عمارًا سمع رجلًا يسب عائشة، فقال: اسكت مقبوحًا منبوذًا، والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أطيعوه أو إياها[٥].

وأما قول الشيعة الروافض؛ أن النبي ﷺ قام خطيبًا، فأشار نحو مسكن عائشة فقال: ههنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان، وطعنهم على عائشة رضي الله عنها بذلك وزعمهم أن الرسول ﷺ أراد أن الفتنة تخرج من بيتها. فهذا الكلام فيه تضليل وقلب للحقائق، وتدليس على من لا علم عنده من العامة، وذلك

---

(١) البخاري رقم (٣٧٧٢).
(٢) البخاري رقم (٣٧٧٢).
(٣) الانتصار للصحب والآل: ص (٤٤٨).
(٤) الانتصار للصحب والآل: ص (٤٥٠، ٤٥١).
(٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٨).

بتفسيره قول الراوي: فأشار (نحون مسكن عائشة) علىٰ أن الإشارة كانت لبيت عائشة وأنها سبب الفتنة، والحديث لا يدل علىٰ هذا بأي وجه من الوجوه، وهذه العبارة لا تحتمل هذا الفهم عند من له أدنىٰ معرفة بمقاصد الكلام، فإن الراوي قال: أشار نحو مسكن عائشة، ولم يقل: إلىٰ جهة مساكن عائشة، والفرق بين التعبيرين واضح وجلي، وهذه الرواية التي ذكرها أخرجها البخاري في كتاب فرض الخمس[١]، وهذا الحديث قد جاء مخرجًا في كتب السنة من الصحيحين وغيرهما من عدة طرق وبأكثر من لفظ، وجاء النص فيها علىٰ البلاد المشار إليها بما يدحض دعوىٰ الشيعة الروافض، ويغنىٰ عن التكلف في الرد عليهم بأي شيء آخر، وها هي ذي بعض روايات الحديث من عدة طرق عن ابن عمر رضي الله عنهما، فعن ليث عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول: «**ألا إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان**»[٢]، وعن عبيد بن عمر قال: حدثني نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قام عند باب حفصة فقال بيده نحو المشرق: «الفتنة من حيث يطلع قرن[٣] الشيطان» قالها مرتين أو ثلاثًا، وعن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال وهو مستقبل المشرق: «**ها إن الفتنة ههنا، ها إن الفتنة ههنا، ها إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان**»[٤].

وفي هذا الروايات تحديد صريح للجهة المشار إليها وهي جهة المشرق، وفيها تفسير للمقصود بالإشارة في الرواية التي ذكرها الشيعة الروافض[٥]، كما جاء في بعض الروايات الأخرىٰ للحديث تحديد البلاد المشار إليها، فعن نافع

---

(١) البخاري رقم (٣١٠٤).
(٢) البخاري رقم (٧٠٩٣)، مسلم رقم (٢٩٠٥).
(٣) مسلم، ك الفتن (٤/ ٢٢٢٩).
(٤) مسلم، ك الفتن (٤/ ٢٢٢٩).
(٥) الانتصار للصحب والآل: ص (٤٥٣).

عن ابن عمر قال: ذكر النبي ﷺ فقال: «**اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا**»، قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا، فأظنه قال في الثالثة: «**هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان**»[(١)].

وعن سالم بن عبد الله بن عمر أنه قال: يا أهل العراق، ما أسألكم عن الصغيرة وأَرْكَبكم للكبيرة، سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الفتنة تجيء من ههنا وأَوْمَأَ بيده نحو المشرق، من حيث يطلع قرنا الشيطان[(٢)].

وفي بعض الروايات جاء ذكر بعض من يقطن تلك البلاد من القبائل ووصف حال أهلها، فعن أبي مسعود قال: أشار رسول الله ﷺ بيده نحو اليمن فقال: «**ألا إن الإيمان ههنا، وإن القسوة وغلظ القلب في الفدادين**[(٣)]**، وعند أصول أذناب الإبل، حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر**»[(٤)].

فدلت هذه الروايات دلالة قطعية علىٰ بيان مراد النبي ﷺ من قوله: الفتنة (ههنا) وأن المقصود بذلك بلاد المشرق، حيث جاءت الروايات مصرحة بهذا، كما جاء في بعضها وصف أهل تلك البلاد وتعيين بعض قبائلها، مما يظهر به بطلان ما ادعىٰ الشيعة الروافض من أن الإشارة كانت إلىٰ بيت عائشة، فإن هذا قول باطل، ورأىٰ ساقط، لم يفهمه أحد وما قال به سوىٰ الشيعة الروافض[(٥)].

١٠- المفاضلة بين عائشة وخديجة وفاطمة رضي الله عنهن: قال ابن تيمية: وأفضل نساء هذه الأمة خديجة وعائشة وفاطمة، وفي تفضيل بعضهن

---

(١) البخاري رقم (٧٠٩٥).

(٢) مسلم، ك الفتنة من المشرق (٤/ ٢٢٢٩).

(٣) **الفدادون**: الذين تعلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم.

(٤) البخاري رقم (٣٣٠٢)، الانتصار للصحب والآل ص (٤٥٥).

(٥) الانتصار للصحب والآل: ص (٤٥٥).

علىٰ بعض نزاع[(١)].. وسئل ابن تيمية عن خديجة وعائشة أمي المؤمنين أيهما أفضل؟ فأجاب: بأن سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام ونصرها وقيامها في الدين لم تشاركها فيه عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين، وتأثير عائشة في آخر الإسلام وحمل الدين وتبليغه إلىٰ الأمة وإدراكها من العلم ما لم تشاركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها[(٢)]، وقال ابن حجر: وقيل انعقد الإجماع علىٰ أفضلية فاطمة وبقىٰ الخلاف بين عائشة وخديجة[(٣)]، وقال في شرح حديث أبي هريرة أن جبريل أتىٰ النبي ﷺ وأمره أن يقرئ خديجة السلام من ربها وفيه قال السهيلي: استدل بهذه القصة أبو بكر بن داود علىٰ أن خديجة أفضل من عائشة لأن عائشة سلم عليها جبريل من قبل نفسه، وخديجة أبلغها السلام من ربها، وزعم ابن العربي أنه لا خلاف في أن خديجة أفضل من عائشة، ورد بأن الخلاف ثابت قديمًا، وإن كان الراجح أفضلية خديجة بهذا وبما تقدم[(٤)].

عند التحقيق والنظر في النصوص الواردة في تفضيل كل واحدة منهن رضي الله عنهن نجد أنها تدل علىٰ أفضلية خديجة وفاطمة ثم عائشة رضي الله عنهن، وذلك لقوله ﷺ: «**لقد فضلت خديجة علىٰ نساء أمتي**»[(٥)]، وقال ﷺ: «**أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية**»[(٦)]، قال ابن حجر: وهذا نص صريح لا يحتمل التأويل[(٧)]، وقال ﷺ: «**حسبك من نساء العالمين: مريم ابنة عمران وخديجة**

(١) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٣٩٤).
(٢) المصدر نفسه (٤/ ٣٩٣).
(٣) فتح الباري (٧/ ١٠٩).
(٤) فتح الباري (٧/ ١٣٩).
(٥) فتح الباري (٧/ ١٣٥).
(٦) الإحسان لابن حبان (٩/ ٧٣)، صحيح الجامع للألباني (١/ ٣٧١).
(٧) فتح الباري (٧/ ١٣٥).

بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون»[(١)].

وهذا نص في أن خديجة رضي الله عنها أفضل نساء الأمة، ثم إن اللفظ الوارد في تفضيل فاطمة رضي الله عنها وهو قوله ﷺ: «**يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة؟**»[(٢)]. وفي لفظ: «**سيدة نساء أهل الجنة**»[(٣)]، فهو صريح لا لبس فيه ولا يحتمل التأويل، وهو نص في أنها أفضل نساء الأمة وسيدة نساء أهل الجنة، وقد شاركت أمها في هذا التفضيل فهي وأمها أفضل نساء أهل الجنة، وهي وأمها أفضل نساء الأمة، بهذا وردت النصوص[(٤)]، وأما ما ورد في تفضيل عائشة رضي الله عنها، في قوله ﷺ: «**فضل عائشة علىٰ النساء كفضل الثريد علىٰ سائر الطعام**» فهو لفظ لا يستلزم الأفضلية المطلقة كما قال ابن حجر[(٥)]: وليس فيه تصريح بأفضلية عائشة رضي الله عنها، علىٰ غيرها، لأن فضل الثريد علىٰ غيره من الطعام إنما هو لما فيه من تيسير المئونة وسهولة الإساغة، وكان أجلَّ طعمتهم يومئذ، وكل هذه الخصال لا تستلزم ثبوت الأفضلية له من كل وجهة، فقد يكون مفضولًا بالنسبة لغيره من جهات أخرىٰ[(٦)].

فالحديث إذًا دال علىٰ أفضلية عائشة رضي الله عنها، علىٰ سائر نساء هذه الأمة ماعدا خديجة وفاطمة رضي الله عنهما، لورود الدليل علىٰ ذلك مما قيد تلك الأفضلية لعائشة رضي الله عنها[(٧)]، وأما ما ورد من حديث عمرو بن العاص لما سأل النبي ﷺ:

---

(١) فضائل الصحابة (٢/ ٧٥٥) رقم (١٣٢٥)، وصححه الألباني في تخريج المشكاة (٣/ ١٧٤٥).

(٢) البخاري رقم (٦٢٨٥).

(٣) فتح الباري (٧/ ١٠٥).

(٤) العقيدة في أهل البيت: ص (٩٧).

(٥) فتح الباري (٧/ ١٠٧).

(٦) المصدر نفسه (٦/ ٤٤٧).

(٧) العقيدة في أهل البيت: ص (٩٧).

أي النساء أحب إليك؟ فقال ﷺ: «**عائشة**»[1].

فقد أشار ابن حبان إلىٰ أنه مقيد في نسائه ﷺ إذ عقد عنوانًا في صحيحة فقال: ذكر خبر وهم في تأويله من لم يحكم صناعة الحديث، وساق تحته حديث عمرو بلفظ: قلت: يا رسول الله أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**»، فقلت: إني لست أعني النساء وإنما أعني الرجال، فقال: أبو بكر أو قال: أبوها. ثم قال ابن حبان: أذكر الخبر الدال علىٰ أن مخرج السؤال كان عن أهله دون سائر النساء من فاطمة وغيرها، وأخرج بسنده عن أنس قال: سئل رسول الله ﷺ: من أحب الناس إليك؟ قال: «**عائشة**» قيل له: ليس عن أهلك نسألك، قال: فأبوها[2].

وبهذا يتبين أن عائشة، تلي خديجة وفاطمة في الفضل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. إذًا فكل ما ورد من دليل علىٰ عموم تفضيلها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مقيد بالنص الوارد في خديجة وفاطمة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولا ينكر أن لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، من الفضائل كالعلم مثلًا ما تختص به عن خديجة وفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، إلا أنه لا يلزم من ثبوت خصوصية شيء من الفضائل ثبوت الفضل المطلق[3]، وعلىٰ كل حال فليس فضل إحداهن علىٰ الأخرىٰ بمطعن علىٰ المفضولة، بل في هذا أكبر دليل علىٰ علو مكانة هؤلاء النساء الثلاث فاطمة وخديجة وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم؛ حيث إن الخلاف لم يخرج عنهن في أنهن أفضل نساء الأمة، فما الذي يضر أم المؤمنين عائشة لو كانت ثالثة نساء الأمة في الفضل؟! وهل هذا مدعاة لاحترامها وتقديرها أم للنيل منها والطعن فيها، كما يفعل الشيعة الروافض؟![4].

---

(١) البخاري رقم (٤٣٥٨).

(٢) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٩/ ١١).

(٣) فتح الباري (٧/ ١٠٨)

(٤) الانتصار للصحب والآل: ص (٤٦١).

* هل استباحت السيدة عائشة أم المؤمنين قتال المسلمين في معركة الجمل؟ قد تقدم أنها ما خرجت لذلك وما أرادت القتال، وقد نقل الزهري عنها أنها قالت بعد موقعة الجمل: إنما أريد أن يحجز بين الناس مكاني، ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال، ولو علمت ذلك لم أقف ذلك الموقف أبدًا(١).

وهذا القول بأن السيدة عائشة استباحت قتال المسلمين باطل لا يثبت أمام الروايات الصحيحة التي بينت أن عائشة ما خرجت إلا للإصلاح كما مر معنا، وإنما هذه الأقوال من الروايات التي وضعتها الشيعة الروافض، والتي شوهت تاريخ صدر الإسلام، وجعلت مما حدث بين علىٰ وطلحة والزبير وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حربًا أهلية، وتأثر بعض الباحثين بتلك الروايات حتىٰ قال بعضهم: وأسرت عائشة، ويصورون المسألة كحرب أهلية مخطط لها، وهو قول طبيعي من باحثين لا يستقون معلوماتهم في هذا الشأن إلا من الروايات المقدوحة، ومن المصادر غير الموثوق بها مثل الإمامة والسياسة، والأغاني، ومروج الذهب، وتاريخ اليعقوبي، بل وتاريخ التمدن الإسلامي لجورجىٰ زيدان.

* هل يصح هذا الحديث: تقاتلين عليًا وأنت له ظالمة؟ إنه لا يعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة، ولا له إسناد معروف، وهو بالموضوعات المكذوبة أشبه منه بالأحاديث الصحيحة، بل هو كذب قطعًا، فإن عائشة لم تقاتل، ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين الناس.. لا قاتلت ولا أمرت بقتال، هكذا ذكر غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار(٢).

* أمير المؤمنين علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرد عائشة إلىٰ مأمنها معززة مكرمة: جهز أمير المؤمنين علىٰ عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب وزاد ومتاع، وأخرج معها من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء

---

(١) المغازىٰ للزهري: ص (١٥٤).

(٢) منهاج السنة (٢/ ١٨٥).

أهل البصرة المعروفات وقال: تجهز يا محمد «ابن الحنفية»، فبلغها، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتىٰ وقف لها، وحضر الناس، فخرجت علىٰ الناس، وودعوها وودعتهم وقالت: يا بنىٰ، تعتب بعضنا علىٰ بعض استبطاء واستزادة، فلا يعتدين أحد منكم علىٰ أحد بشيء بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنا عندي علىٰ معتبتىٰ من الأخيار.. وقال علىٰ: يا أيها الناس، صدقت والله برت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيك ﷺ في الدنيا والآخرة. وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ست وثلاثين، وشيعها عليٌّ أميالًا وسرح بنيه معها[(١)] يومًا.

وبتلك المعاملة الكريمة من أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نراه قد اتبع ما أوصاه به نبي الأمة ﷺ عندما قال له: «**إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر**». قال: أنا يا رسول الله؟ قال: «**نعم**». قال: أنا؟ قال: «**نعم**». قلت: فأنا أشقاهم يا رسول الله. قال: «**لا، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلىٰ مأمنها**»[(٢)].

وقد خالف الصواب من ظن أن خروج أم المؤمنين إلىٰ البصرة كان لشيء في نفسها من علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لموقفه منها في حديث الإفك حين رماها المنافقون بالفاحشة فاستشاره النبي ﷺ في فراقها. فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك[(٣)].

وهذا الكلام الذي قاله علىٰ إنما حمله عليه ترجيح جانب النبي ﷺ، لما رأي عنده من القلق والغم بسبب القول الذي قيل، وكان شديد الغيرة، فرأىٰ علىٰ أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلىٰ أن يتحقق براءتها، فيمكن

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٥٨١).

(٢) مسند أحمد (٦/ ٣٩٣).

(٣) البخاري رقم (٤٧٨٦).

رجعتها، ويستفاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدها[(١)].

قال النووي: رأىٰ علىٰ أن ذلك هو المصلحة في حق النبي ﷺ، واعتقد ذلك لما رأىٰ من انزعاجه، فبذل جهده في النصيحة، لإرادة راحة خاطره ﷺ[(٢)].

وعلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لم ينل عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بأدنىٰ كلمة يفهم منها أنه قد عرض بأخلاقها أو تناولها بسوء، فإنه علىٰ الرغم من قوله للنبي ﷺ: لم يضيق الله عليك[(٣)]، إلا أنه عاد فقال لرسول الله ﷺ ناصحًا: وسل الجارية تصدقك[(٤)].

فهو قد دعاه إلىٰ التحري أولًا قبل أن يفارقها، أي أنه قد رجع عن نصيحته الأولىٰ بالمفارقة إلىٰ نصيحة أخرىٰ بسؤال الجارية، وتحري الحقيقة[(٥)]، وقد سأل رسول الله ﷺ الجارية التي كانت أكثر التصاقًا بعائشة، فأكدت أنها ما علمت من أمر عائشة إلا خيرًا، وقد خرج رسول الله ﷺ من يومه الذي سأل فيه الجارية، واستعذر من عبد الله بن أبيٍّ قائلًا: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمت علىٰ أهلي إلا خيرًا[(٦)].

لقد كانت نصيحة علىٰ في صالح عائشة، فقد ازداد ﷺ قناعة بما علم من خير في أهله[(٧)]. ولم يكن موقف علىٰ في حادثة الإفك هو الذي جعل عائشة تغضب منه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لأجله، أو تحقد الحقد الذي يجعلها تتهمه زورًا بقتل عثمان، وتخرج عليه مؤلبة الأعداد الهائلة من المسلمين، كما زعم كثير من الباحثين ممن تورط في روايات الشيعة الرافضة التي لفقوها ووضعوها.

---

(١) دور المرأة السياسي: ص (٤٦٢).
(٢) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (٥/ ٦٣٤).
(٣) البخاري رقم (٤٧٨٦).
(٤) البخاري رقم (٤٧٨٦).
(٥) دور المرأة السياسي: ص (٤٦٢).
(٦) البخاري رقم (٤٧٨٦).
(٧) دور المرأة السياسي: ص (٤٦٢).

* ندمهم علىٰ ما حصل منهم: قال ابن تيمية:.. وهكذا عامة السابقين، ندموا علىٰ ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزّبير وعليٌّ وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم[(١)].

أ- فأمير المؤمنين علىٰ ورد عنه عندما نظر وقد أخذت السيوف مأخذها من الرجال، أنه قال: لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة[(٢)].

ب- وروىٰ نعيم بن حماد، بسنده إلىٰ الحسن بن علىٰ، أنه قال لسليمان بن صرد: لقد رأيت عليًا حين اشتد القتال وهو يلوذ بي، ويقول: يا حسن، لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة[(٣)].

جـ- وعن الحسن بن علي قال: أراد أمير المؤمنين علىٰ أمرًا، فتتابعت الأمور، فلم يجد منزعًا[(٤)].

د- وعن سليمان بن صرد، عن الحسن بن علىٰ أنه سمع عليًا يقول - حين نظر إلىٰ السيوف قد أخذت القوم-: يا حسن أكل هذا فينا؟ ليتني مت قبل هذا بعشرين أو أربعين سنة[(٥)].

هـ- وأما عائشة: فقد ورد عنها أنها كانت تقول حين تذكر وقعة الجمل: وددت أني كنت جلست كما جلس أصحابي، وكان أحب إليّ أن أكون ولدت من رسول الله ﷺ بضعة عشر، كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، ومثل عبد الله بن الزبير[(٦)].

---

(١) المنتقىٰ من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، ص (٢٢٢).
(٢) الفتن لنعيم بن حماد (١/ ٨٠).
(٣) الفتن لنعيم بن حماد (١/ ٨٠).
(٤) المصدر نفسه (١/ ٨١).
(٥) أحداث وأحاديث فتنة الهرج. ص (٢١٧).
(٦) الفتن، نعيم بن حمّاد (١/ ٨١).

ووكانت إذا قرأت قوله تعالىٰ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب:٣٣] تبكي حتىٰ تبل خمارها(١).

ز- قالت عائشة: وددت أن لو كان لي عشرون ولدًا من رسول الله ﷺ وكلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأني ثكلتهم، ولم يكن ما كان مني يوم الجمل(٢).

حـ- قال ابن تيمية: فإن عائشة لم تقاتل، ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين، وظّنت أنّ خروجها مصلحة للمسلمين، ثم تبين لها فيما بعد أنّ ترك الخروج كان أولىٰ، فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتىٰ تبلّ خمارها، وهكذا عامّة السابقين ندموا علىٰ ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعليّ وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم(٣).

ط- قال الذهبي: ولا ريب أن عائشة ندمت ندمة كلية علىٰ مسيرها إلىٰ البصرة، وحضورها يوم الجمل، وما ظّنت أن الأمر يبلغ ما بلغ(٤).

▪ معركة صفين (٣٧ هـ):

أولًا: تسلسل الأحداث التي قبل المعركة:

١- أم حبيبة بنت أبي سفيان ترسل النعمان بن بشير بقميص عثمان إلىٰ معاوية وأهل الشام: لما قُتل عثمان رضي الله عنه، أرسلت أم المؤمنين، أم حبيبة بنت أبي سفيان إلىٰ أهل عثمان؛ أرسلوا إليّ بثياب عثمان التي قُتل فيها، فبعثوا إليها بقميصه مضرّجًا بالدم، وبخصلة الشعر التي نتفت من لحيته، ثم دعت النعمان

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٧٧)، الطبقات (٨/ ٨١).

(٢) الطبقات (٨/ ٨١).

(٣) المنتقىٰ من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض: ص (٢٢٢، ٢٢٣).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٧٧).

بن بشير، فبعثته إلىٰ معاوية، فمضىٰ بذلك وبكتابها[(١)]، وجاء في رواية: خرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مضمخ بالدماء، ومعه أصابع نائلة التي أصيبت حين دافعت عنه بيدها[(٢)]، وكانت نائلة بنت الفرافصة الكلبية زوج عثمان كلبية شامية[(٣)]، فورد النعمان علىٰ معاوية بالشام، فوضعه معاوية علىٰ المنبر ليراه الناس، وعلق الأصابع في كم القميص يرفع تارة ويوضع تارة، والناس يتباكون حوله، وحث بعضهم بعضًا علىٰ الأخذ بثأره[(٤)]، وجاء شرحبيل ابن السمط الكندي وقال لمعاوية، كان عثمان خليفتنا، فإن قويت علىٰ الطلب بدمه وألا فاعتزلنا[(٥)]. وآلي رجال الشام أن لا يمسوا النساء ولا يناموا علىٰ الفرش حتىٰ يقتلوا قتلة عثمان ومن عرض دونهم بشيء أو تفنىٰ أرواحهم[(٦)]، وكان ذلك ما يريده معاوية، فقد كانت الصورة التي نقلها النعمان بن بشير إلىٰ أهل بشعة بشعة؛ مقتل الخليفة، سيوفًا مصلته من الغوغاء علىٰ رقاب الناس، بيت المال منتهكًا مسلوبًا، وأصابع نائلة مقطوعة، فهاجت النفوس والعواطف، واهتزت المشاعر، وتأثرت بها القلوب، وذرفت منها العيون، ولا غرابة بعد هذا إطلاقًا أن نرىٰ إصرار معاوية ومن معه من أهل الشام بالإصرار علىٰ المطالبة بدم عثمان، وتسليم القتلة للقصاص قبل البيعة، وهل نتصور أن يتم مقتل أمير المؤمنين وسيد المسلمين من حاقدين محتلين متآمرين، ولا يتماوج العالم الإسلامي من أقصاه إلىٰ أقصاه للقصاص من أصحاب هذه الجريمة البشعة؟![(٧)].

---

(١) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين: ص (٣٥٩).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٥٣٩).
(٣) تاريخ الدعوة الإسلامية، محمد جميل: ص (٣٩٨).
(٤) البداية والنهاية (٧/ ٥٣٩)
(٥) الأنساب (٤/ ٤١٨)، تاريخ الدعوة الإسلامية: ص (٣٩٨).
(٦) تاريخ الطبري (٥/ ٦٠٠)
(٧) معاوية بن أبىٰ سفيان للغضبان: ص (١٧٨ – ١٨٣).

٢- دوافع معاوية في عدم البيعة: كان معاوية، رضي الله عنه، واليًا على الشام في عهد عمر وعثمان، رضي الله عنهما، ولما تولى الخلافة عليٌّ أراد عزله وتولية عبد الله بن عمر، فاعتذر بن عمر، فأرسل عليٌّ سهل بن حنيف بدلًا منه، إلا أنه ما كاد يصل مشارف الشام (وادي القرى) حتى عاد من حيث جاء، إذ لقيته خيل لمعاوية عليها حبيب بن مسلمة الفهري، فقالوا له: إن كان بعثك عثمان فحيهلا بك وإن كان بعثك غيره فارجع[1].

لقد امتنع معاوية وأهل الشام عن البيعة ورأوا أن يقتص عليّ رضي الله عنه من قتلة عثمان ثم يدخلون البيعة[2]، وقالوا: لا نبايع من يؤوى القتلة[3]، وتخوفوا على أنفسهم من قتلة عثمان الذين كانوا في جيش على، فرأوا أن البيعة لعلي لا تجب عليهم، وأنهم إذا قاتلوا على ذلك كانوا مظلومين، قالوا: لأن عثمان قتل مظلومًا باتفاق المسلمين، وقتلته في عسكر على، وهم غالبون لهم شوكة، فإذا بايعنا ظلمونا واعتدوا علينا وضاع دم عثمان، وكان معاوية رضي الله عنه يرى أن عليه مسئولية الانتصار لعثمان والقود من قاتليه، فهو ولى دمه، والله يقول: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ [الإسراء:٣٣]، لذلك جمع معاوية الناس، وخطبهم بشأن عثمان وأنه قتل مظلومًا على يد سفهاء منافقين لم يقدروا الدم الحرام، إذ سفكوه في الشهر الحرام في البلد الحرام، فثار الناس، واستنكروا وعلت الأصوات - وكان منهم عدد من أصحاب رسول الله ﷺ، فقام أحدهم - واسمه مرة بن كعب - فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما تكلمت، وذكر الفتن فقربها، فمر رجل متقنع في ثوب، فقال: هذا يومئذ على الهدى، فقمت إليه، فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت عليه بوجهه فقلت:

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٦).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٢٩).
(٣) العواصم من القواصم: ص (١٦٢)..

هذا؟ قال: نعم[١].

وهناك حديث آخر له تأثيره في طلب معاوية القود من قتلة عثمان وكان منشطًا ودافعًا قويًا للتصميم علىٰ تحقيق الهدف، وهو: عن النعمان بن بشير عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: أرسل رسول الله ﷺ، فكان من آخر كلمة أن ضرب منكبه، فقال: «**يا عثمان إن الله عسىٰ أن يلبسك قميصًا، فإن أرادك المنافقون علىٰ خلعه فلا تخلعه حتىٰ تلقاني**» ثلاثًا، فقلت لها: يا أم المؤمنين فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيته والله ما ذكرته، قال: فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرض بالذي أخبرته حتىٰ كتب إلىٰ أم المؤمنين أن اكتبي إلىٰ به، فكتبت إليه به كتابًا[٢].

لقد كان الحرص الشديد علىٰ تنفيذ حكم الله في القتلة السبب الرئيسي في رفض أهل الشام بزعامة معاوية بن أبي سفيان بيعة علي بن أبي طالب، ورأوا أن تقديم حكم القصاص مقدم علىٰ البيعة، وليس لأطماع معاوية في ولاية الشام، أو طلبه ما ليس له بحق، إذ كان يدرك إدراكًا تامًا أن هذا الأمر في بقية الستة من أهل الشورىٰ، وأن عليًا أفضل منه وأولىٰ بالأمر منه[٣]، وقد انعقدت البيعة له بإجماع الصحابة بالمدينة، وكان اجتهاد معاوية يخالف الصواب.

٣- معاوية يرد علىٰ أمير المؤمنين عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: بعث عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتبًا كثيرة إلىٰ معاوية فلم يرد عليه جوابها، وتكرر ذلك مرارًا إلىٰ الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر، ثم بعث معاوية طُومارًا[٤] مع رجل، فدخل به علىٰ عليّ فقال له عليٌ: ما وراءك؟ قال: جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القَوَد[٥]، كلهم

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٢٤٠).

(٢) مسند أحمد رقم (٢٤٠٤٥)

(٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علىٰ: ص (١١٢).

(٤) **الطومار**: الصحيفة.

(٥) **القود**: القاتل بالقتيل.

موتور[١] تركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان، وهو علىٰ منبر دمشق، فقال علي: اللهم إنيّ أبرأ إليك من دم عثمان. ثم خرج رسول معاوية من بين يدي علىٰ فهمَّ به أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان يريدون قتله، فما أفلت إلا بعد جهد[٢].

٤- تجهيز أمير المؤمنين علي لغزو الشام واعتراض الحسن علىٰ ذلك: بعد وصول رد معاوية لأمير المؤمنين علىٰ، عزم الخليفة علىٰ قتال أهل الشام، كتب إلىٰ قيس بن سعد بمصر يستنفر الناس لقتالهم، وإلىٰ أبي موسىٰ بالكوفة، وبعث إلىٰ عثمان بن حُنيف بذلك، وخطب الناس فحثّهم علىٰ ذلك، وعزم علىٰ التجهز، وخرج من المدينة، واستخلف عليها قُثم بن العباس، وهو عازم أن يقاتل بمن أطاعه من عصاه وخرج من أمره ولم يبايعه مع الناس، وجاء إليه ابنه الحسن بن علي فقال: يا أبه دَعْ هذا فإنّ فيه سفك دماء المسلمين، ووقوع الاختلاف بينهم، فلم يقبل منه ذلك، بل صمم علىٰ القتال، ورتّب الجيش، فدفع اللواء إلىٰ محمد بن الحنفية، وجعل ابن العباس علىٰ الميمنة، وعمر بن أبي سلمه علىٰ الميسرة، وقيل: جعل علىٰ الميسرة عمرو بن سفيان بن عبد الأسد، وجعل علىٰ مقدمته أبا ليلىٰ بن عمر بن الجراح ابن أخي أبي عبيدة، واستخلف علىٰ المدينة قثم بن العباس، ولم يبق شيء إلا أن يخرج من المدينة قاصدًا الشام، حتىٰ جاءه ما شغله عن ذلك[٣]، وقد تم تفصيل ذلك من خروج عائشة وطلحة والزبير إلىٰ البصرة إلىٰ معركة الجمل.

٥- بعد معركة الجمل أرسل أمير المؤمنين عليٌّ جرير بن عبد الله إلىٰ معاوية: ذُكر أن المدة بين خلافة أمير المؤمنين علىٰ إلىٰ فتنة السبئية الثانية أو ما

---

(١) **الموتور**: صاحب الثأر.

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٠).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٠، ٢٤١).

يُسمىٰ البصرة أو معركة الجمل، خمسة أشهر وواحد وعشرون يومًا، وبين دخوله الكوفة شهر، وبين ذلك وخروجه إلىٰ صفين ستة أشهر[١]، وروىٰ شهران أو ثلاثة[٢] وقد كان دخول أمير المؤمنين الكوفة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين، فقيل له: انزل بالقصر الأبيض، فقال: لا، إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله، فأنا أكره لذلك، فنزل في الرحبة وصلىٰ بالجامع الأعظم ركعتين ثم خطب الناس فحثهم علىٰ الخير، ونهاهم عن الشر، ومدح أهل الكوفة في خطبته هذه، ثم بعث إلىٰ جرير بن عبد الله وكان علىٰ همذان من زمان عثمان، وإلىٰ الأشعث بن قيس وهو علىٰ نيابة أذربيجان من أيام عثمان يأمرهما أن يأخذا البيعة له علىٰ من هُنالك ثم يُقبلان إليه، ففعلا ذلك، فلما أراد علىٰ أن يبعث إلىٰ معاوية رضي الله عنه يدعوه إلىٰ بيعته، قال جرير بن عبد الله البجلىٰ: أنا أذهب إليه يا أمير المؤمنين، فإنّ بيني وبينه وُدًا، فآخذ لك البيعة منه، فقال الأشتر: لا تبعثه يا أمير المؤمنين، فإني أخشىٰ أن يكون هواه معه. فقال علىٰ: دعه. فبعثه وكتب معه كتابًا إلىٰ معاوية يعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار علىٰ بيعته، ويخبره بما كان في وقعة الجمل، ويدعوه إلىٰ الدخول فيما دخل فيه الناس، فلمّا انتهىٰ إليه جرير بن عبد الله، أعطاه الكتاب وطلب معاوية عمرو بن العاص ورءوس أهل الشام فاستشارهم، فأبوا أن يبايعوا حتىٰ يقتل قتلة عثمان، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتىٰ يقتلهم عن آخرهم، فرجع جرير إلىٰ علىٰ فأخبره بما قالوا، فقال الأشتر: ألم أنْهك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريرًا؟ فلو كنت بعثتني لما فتح معاوية بابًا إلا أغلقته.

فقال له جرير: لو كنت ثمّ لقتلوك بدم عثمان، فقال الأشتر: والله لو بعثتني لم يُعْيِني جواب معاوية، ولأعجلنّه عن الفكرة، ولو أطاعني فيك أمير المؤمنين

---

(١) مروج الذهب (٢/ ٣٦٠).

(٢) التاريخ الصغير للبخاري (١/ ١٠٢).

لحبسك وأمثالك حتىٰ يستقيم أمر هذه الأمَّة. فقام جرير مُغْضبًا فأقام بقرقيساء، وكتب إلىٰ معاوية يخبره بما قال وقيل له، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه[(١)]، وهكذا كان الأشتر سببًا في إبعاد الصحابي جرير بن عبد الله الذي كان واليًا علىٰ قرقيسياء وعلىٰ غيرها ورأسًا في قبيلته بجيلة، ويضطره إلىٰ مفارقة أمير المؤمنين علي. وهذا الصحابي جرير بن عبد الله البجلي قال: ما رآني رسول الله ﷺ إلا تبسم في وجهي، وقال ﷺ: «**يطلع عليكم من هذا الباب رجل من خير ذي يمن، علىٰ وجهه مسحةُ مَلَك**»[(٢)].

٦- مسير أمير المؤمنين إلىٰ الشام: استعد أمير المؤمنين علي لغزو الشام، فبعث يستنفر الناس[(٣)]، وجهز جيشًا ضخمًا اختلفت الروايات في تقديره، وكلها روايات ضعيفة[(٤)] إلا رواية واحدة حسنة الإسناد ذكرت أنه سار في خمسين ألفًا[(٥)].

وكان مكان تجمع جند أمير المؤمنين بالنخيلة، وهو علىٰ ميلين من الكوفة آنذاك، فتوافدت عليه القبائل من شتىٰ إقليم العراق[(٦)]، واستعمل أمير المؤمنين عليٌّ أبا مسعود الأنصاري، وبعث من النخيلة زياد بن النضر الحارثي طليعة في ثمانية آلاف مقاتل، وبعث شريح بن هانئ في أربعة آلاف، ثم خرج علىٰ رضي الله عنه بجيشه إلىٰ المدائن (بغداد) فانضم إليه فيها من المقاتلة وولىٰ عليها سعد بن

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٦٥).
(٢) مسلم رقم (٢٤٧٥).
(٣) الإصابة (١/ ١٢٣، ١٢٤).
(٤) من قال: مائة وخمسون ألفًا أو يزيدون، البداية والنهاية (٧/ ٢٦٠)، مائة وعشرون ألفًا: المعرفة والتاريخ (٣/ ١٣) بسند منقطع، وقدر بتسعين ألفًا: تاريخ خليفة بن خياط: ص (١٩٣).
(٥) تاريخ خليفة: ص (١٩٣).
(٦) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد: ص (١٨٨).

مسعود الثقفي، ووجه منها طليعة في ثلاثة آلاف إلىٰ الموصل[١]، وسلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طريق الجزيرة الرئيسي علىٰ شط الفرات الشرقي حتىٰ بلغ قرب قرقيسياء، فأتته الأخبار بأن معاوية قد خرج لملاقاته وعسكر بصفين، فتقدم علىٰ إلىٰ الرقة، وعبر منها الفرات غربًا ونزل علىٰ صفين[٢].

٧- خروج معاوية إلىٰ صفين: كان معاوية جادًا في مطاردة قتلة عثمان، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد استطاع أن يترصد بجماعة ممن غزوا المدينة من المصريين أثناء عودتهم وقتلهم، ومنهم أبو عمرو بن بديل الخزاعىٰ[٣]، ثم كانت له أيد في مصر وشيعة في أهل «خربتا» تطالب بدم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد استطاعت هذه الفرقة إيقاع الهزيمة بمحمد بن أبي حذيفة في عدة مواجهات عام ٣٦ هـ، كما استطاع أيضًا أن يوقع برءوس مدبري ومخططي غزو المدينة من المصريين، مثل عبد الرحمن بن عديسىٰ، وكنانة بن بشر، ومحمد بن حذيفة فحبسهم في فلسطين، وذلك في الفترة التي سبقت خروجه إلىٰ صفين، ثم قتلهم في شهر ذي الحجة عام ٣٦ هـ[٤]، وعندما علم معاوية بتحرك جيش العراق جمع مستشاريه من أعيان أهل الشام، وخطب فيهم وقال: إن عليًا نهد إليكم في أهل العراق.. فقال ذو الكلاع ألحميري: عليك أمرأىٰ وعلينا امفعال[٥].

وكان أهل الشام قد بايعوا معاوية علىٰ الطلب بدم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والقتال[٦]، وقد قام عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بتجهيز الجيش وعقد الألوية، وقام في الجيش خطيبًا يحرضهم، فقال: إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم وأوهنوا شوكتهم،

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٦٠٣)
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٦٠٤).
(٣) المحن لأبي العرب التميمي: ص (١٢٤)، خلافة علي، عبد الحميد: ص (١٩١).
(٤) خلافة علي، عبد الحميد: ص (١٩١).
(٥) لغة حمير في إبدال لام (أل) التعريف ميمًا؛ أي: عليك الرأي وعلينا الفعال.
(٦) أنساب الأشراف (٢/ ٥٢).

وفلوا حدهم، ثم إن أهل البصرة مخالفون لعلىٰ قد وترهم وقتلهم، وقد تفانت صناديد أهل الكوفة يوم الجمل، وإنما سار في شرذمة قليلة، ومنهم من قد قتل خليفتكم، فالله الله في حقكم أن تضيعوه وفي دمكم أن تبطلوه[١]، وسار معاوية في جيش ضخم، اختلفت الروايات في تقديره، وكلها روايات منقطعة أسانيدها، وهي عين الروايات التي قدرت جيش علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقدر بمائة ألف وعشرين ألفًا[٢]، وقدر بسبعين ألف مقاتل، وقدر بأكثر من ذلك بكثير[٣]، إلا أن الأقرب للصواب أنهم ستون ألف مقاتل، فهي وإن كانت منقطعة الإسناد إلا أن راويها صفوان بن عمرو السكسىٰ، حمصي من أهل الشام ولد عام (٧٢ هـ) وهو ثبت ثقة، وقد أدرك خلقًا ممن شهد صفين، كما يتبين من دراسة ترجمته[٤]، والإسناد إليه صحيح[٥]، وكان قادة جيش معاوية علىٰ النحو التالي: عمرو بن العاص علىٰ خيول أهل الشام كلها، والضحاك بن قيس علىٰ رجالة الناس كلهم، وذو الكلاع الحميري علىٰ ميمنة الجيش، وحبيب بن مسلمة علىٰ ميسرة الجيش، وأبو الأعور السلمي علىٰ المقدمة.

هؤلاء هم القادة الكبار وتحت كل قائد من هؤلاء قادة وزعوا حسب القبائل، وكان هذا الترتيب عند مسيرهم إلىٰ صفين، ولكن أثناء الحرب تغير بعض القادة وظهر قادة آخرون مما اقتضته الظروف، ولعل هذا يكون السبب في اختلاف أسماء القادة في بعض المصادر[٦].

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٦٠١).
(٢) خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٩٤)، المعرفة والتاريخ (٣/ ٣١٣).
(٣) خلافة علي: ص (١٩٤)، تاريخ خليفة: ص (١٩٣).
(٤) سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٨٠).
(٥) خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٩٤).
(٦) امتداد العرب في صدر الإسلام صالح العلي: ص (٧٣)، خلافة علي: ص (١٩٤).

وبعث معاوية أبا الأعور السلمي مقدمة للجيش، وكان خط سيرهم إلىٰ الشمال الشرقي من دمشق، ولما بلغ صفين أسفل الفرات، عسكر في سهل فسيح، إلىٰ جانب شريعة في الفرات، ليس في ذلك المكان شريعة غيرها، وجعلها في حيزه[(١)].

٨- القتال علىٰ الماء: وصل جيش علىٰ رضي الله عنه إلىٰ صفين، حيث عسكر معاوية، ولم يجد موضعًا فسيحًا سهلًا يكفي الجيش، فعسكر في موضع وعر نوعًا ما؛ إذ أغلب الأرض صخور ذات كدي وأكمات[(٢)]، فوجئ جيش العراق بمنع معاوية عنهم الماء، فهرع البعض إلىٰ علىٰ رضي الله عنه يشكون إليه هذا الأمر، فأرسل علىٰ إلىٰ الأشعت بن قيس فخرج في ألفين ودارت أول معركة بين الفريقين انتصر فيها الأشعت واستولىٰ علىٰ الماء[(٣)]، إلا أنه قد وردت رواية تنفي وقوع القتال في أصله مفادها أن الأشعت بن قيس جاء إلىٰ معاوية فقال: الله الله يا معاوية في أمة محمد ﷺ! هبوا أنكم قتلتم أهل العراق، فمن للبعوث والذراري؟ إن الله يقول: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات:٩] قال معاوية: فما تريد؟ قالوا: خلوا بيننا وبين الماء. فقال لأبي الأعور: خلَّ بين إخواننا وبين الماء[(٤)].

وقد كان القتال علىٰ الماء في أول يوم تواجها فيه في بداية شهر ذي الحجة فاتحة شر علىٰ الطرفين المسلمين، إذ استمر القتال بينهما متواصلًا طوال هذا الشهر، وكان القتال علىٰ شكل كتائب صغيرة، فكان علي رضي الله عنه يخرج من جيشه كتيبة صغيرة يؤمر عليها أميرًا، فتقتتلان مرة واحدة في اليوم، في الغداة أو العشي،

---

(١) صفين، نصر بن مزاحم: ص (١٦٠، ١٦١).
(٢) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد: ص (١٩٦).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٤).
(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤١)، مرويات أبي مخنف: ص (٢٩٦).

وفي بعض الأحيان تقتتلان مرتين في اليوم، وكان أغلب من يخرج من أمراء الكتائب في جيش علي، الأشتر، وحجر بن عدي، وشبث بن ربعي، وخالد بن المعتمر، ومعقل بن يسار الرياحي، ومن جيش معاوية أغلب من يخرج، حبيب بن مسلمة، وعبد الرحمن بن خالد ابن الوليد، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب، وأبو الأعور السلمي، وشرحبيل بن السمط، وقد تجنبوا القتال بكامل الجيش خشية الهلاك والاستئصال، وأملًا في وقوع صلح بين الطرفَين، تصان به الأرواح الدماء[1].

٩- الموادعة بينهما ومحاولات الصلح: ما إن دخل شهر المحرم، حتىٰ بادر الفريقان إلىٰ الموادعة والهدنة طمعًا في صلح يحفظ دماء المسلمين، فاستغلوا هذا الشهر في المراسلات بينهم، ولكن المعلومات عن مراسلات هذه الفترة - شهر المحرم - وردت من طرق ضعيفة[2]، مشهورة، إلا أن ضعفها لا ينفي وجودها، كان البادئ بالمراسلة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأرسل بشير بن عمرو الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وشبث بن ربعي التميمي إلىٰ معاوية، رضي الله عنه، يدعوه كما دعاه من قبل إلىٰ الدخول في الجماعة والمبايعة، فرد معاوية عليه برده السابق المعروف، بتسليم قتلة عثمان أو القود منهم أولًا، ثم يدخل في البيعة، وقد تبين لنا موقف علىٰ من هذه القضية[3]، كما أن قراء الفريقين، قد عسكروا في ناحية من صفين، وهم عدد كبير، قد قاموا بمحاولات للصلح بينهما، فلم تنجح تلك المحاولات لالتزام كل فريق منهما برأيه وموقفه[4]، وقد حاول اثنان من الصحابة، وهما أبو الدرداء، وأبو أمامة،

---

(١) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص (١٩٧، ١٩٨)، البداية والنهاية (٧/ ٢٦٦)

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٦١٢، ٦١٣)، خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٩٩).

(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٦١٣)، خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٩).

(٤) المصدر نفسه (٥/ ٦١٤).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، الصلح بين الفريقين، فلم تنجح مهمتهما أيضًا لنفس الأسباب السابقة، فتركا الفريقين ولم يشهدا معهما أمرهما[(١)]، وكذلك حضر مسروق بن الأجدع - أحد كبار التابعين- فوعظ، وخوف ولم يقاتل[(٢)].

وقد انتقد ابن كثير التفصيلات الطويلة التي جاءت في روايات أبي مخنف ونصر بن مزاحم، بخصوص المراسلات بين الطرفين فقال: «... ثم ذكر أهل السير كلامًا طويلًا جرىٰ بينهم وبين علىٰ، وفي صحة ذلك عنهم وعنه نظر، فإن في مطاري ذلك الكلام من علىٰ ما ينتقص فيه معاوية وأباه، وأنهما إنما دخلا في الإسلام ولم يزالا في تردد فيه، وغير ذلك، وأنه قال في ذلك: لا أقول إن عثمان قُتل مظلومًا ولا ظالمًا؛... وهذا عندي لا يصح من علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»[(٣)].

ثانيًا: نشوب القتال:

عادت الحرب علىٰ ما كانت عليه في شهر ذي الحجة من قتال الكتائب والفرق والمبارزات الفردية، خشية الالتحام الكلي إلىٰ أن مضىٰ الأسبوع الأول منه، وكان عدد الوقعات الحربية بين الفريقين إلىٰ هذا التاريخ أكثر من سبعين وقعة، وذكر أنها تسعون[(٤)] إلا أن عليًا أعلن في جيشه أن غدًا الأربعاء سيكون الالتحام الكلي لجميع الجيش، ثم نبذ معاوية يخبره بذلك[(٥)]، فثار الناس في تلك الليلة إلىٰ أسلحتهم يصلحونها ويحدونها، وقام عمرو بن العاص بإخراج الأسلحة من المخازن لمن يحتاج من الرجال ممن فل سلاحه، وهو يحرض الناس علىٰ الاستبسال في القتال[(٦)]، وبات جميع الجيشين في مشاورات

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٧).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٦٩).

(٤) الأنباء بتواريخ الخلفاء: ص (٥٩)، صفين: ص (٢٠٢)، شذرات الذهب (١/ ٤٥).

(٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٣).

(٦) سنن سعيد بن منصور (٢/ ٢٤٠) ضعيف.

وتنظيم للقيادات والألوية.

١- اليوم الأول: أصبح الجيشان في يوم الأربعاء قد نظمت صفوفهم ووزعوا حسب التوزيع المتبع في المعارك الكبرىٰ: قلب وميمنة وميسرة، فكان جيش علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ النحو التالي[١]: علي بن أبي طالب علىٰ القلب، وعبد الله بن عباس علىٰ الميسرة، وعمار بن ياسر علىٰ الرجالة، ومحمد بن الحنفية، حامل الراية، وهشام بن عتبة (المرقال) حامل اللواء، والأشعث بن قيس علىٰ الميمنة. وأما جيش الشام، فمعاوية في كتيبة الشهباء أصحاب البيض والدروع علىٰ تل مرتفع، وهو أمير الجيش، وعمرو بن العاص قائد خيل الشام كلها، وذو الكلاع الحميري علىٰ الميمنة علىٰ أهل اليمن، وحبيب بن مسلمة الفهرىٰ علىٰ الميسرة علىٰ مضر، والمخارق بن الصباح الكلاعي حامل اللواء[٢]، وتقابلت الجيوش الإسلامية، ومن كثرتها قد سدت الأفق. ويقول كعب بن جعيل التغلبي أحد شعراء العرب وذلك عندما رأىٰ الناس في ليلة الأربعاء وقد ثبتوا إلىٰ نبالهم وسيوفهم يصلحونها استعدادًا لهذا اليوم:

أصبحت الأمة في أمر عجب والملك مجموع غدًا لمن غلب

فقلت قولًا صادقًا غير كذب إن غدًا تهلك أعلام العرب[٣]

وتذكر بعض الروايات الضعيفة أن عليًّا خطب في جيشه، وحرضهم علىٰ الصبر والإقدام والإكثار من ذكر الله[٤]، وتذكر أيضًا أن عمرو بن العاص قد استعرض جيشه، وأمرهم بتسوية الصفوف وإقامتها[٥]، وهذه الروايات لا يوجد

(١) تاريخ خليفة بن خياط: ص (١٩٣)
(٢) تاريخ خليفة بن خياط: ص (١٩٣)
(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٣)، تاريخ الطبري (٥/ ٢٦٢).
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٦٢٢)
(٥) الطبقات (٤/ ٢٥٥).

يوجد مانع من الأخذ بها، لأن كل قائد يحرض جيشه ويحمسه، ويهتم بكل ما يؤدي به إلىٰ النصر. والتحم الجيشان في قتال عنيف، استمر محتدمًا إلىٰ غروب الشمس لا يتوقف إلا لأداء الصلاة، ويصلي كل فريق في معسكره وبينهما جثث القتلىٰ في الميدان تفصل بينهما، وسأل أحد أفراد جيش عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين انصرافه من الصلاة، فقال: ما تقول في قتلانا وقتلاهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: من قتل منا ومنهم يريد وجه الله والدار الآخرة دخل الجنة[(١)]. وقد صبر بعضهم علىٰ بعض فلم يغلب أحد أحدًا، ولم ير موليًا حتىٰ انتهىٰ ذلك اليوم. وفي المساء خرج علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ ساحة القتال فنظر إلىٰ أهل الشام، فدعا ربه قائلًا: اللهم اغفر لي ولهم[(٢)].

٢- اليوم الثاني: في يوم الخميس تذكر الروايات أن عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد غلس بصلاة الفجر واستعد للهجوم، وغيَّر بعض القيادات، فوضع عبد الله بن بديل الخزاعي علىٰ الميمنة بدلًا من الأشعث بن قيس الكندي الذي تحول إلىٰ الميسرة[(٣)]، وزحف الفريقان نحو بعضهما واشتبكوا في قتال عنيف أشد من سابقه، وبدأ أهل العراق في التقدم وأظهروا تفوقًا علىٰ أهل الشام، واستطاع عبد الله بن بديل أن يكسر ميسرة معاوية، وعليها حبيب بن مسلمة، ويتقدم باتجاه كتيبة معاوية (الشهباء)، وأظهر شجاعة وحماسًا منقطع النظير، وصاحب هذا التقدم الجزئي، تقدم عام لجيش العراق، حتىٰ إن معاوية قد حدثته نفسه بترك ميدان القتال، إلا أنه صبر وتمثل بقول الشاعر:

أبت لي عفتي وأبي بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإكراهي على المكروه نفسي ... وضربي هامة البطل المشيح

---

(١) سنن سعيد بن منصور (٢/ ٣٤٤، ٣٤٥).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٩٧).
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٦٣٠).

وقـولي كلمـا جـشأت وجاشـت: مكانــك تحمــدي أو تــستريحي[(١)]

واستحث كتيبته الشهباء، واستطاعوا قتل عبد الله بن بديل، فأخذ مكانه في قيادة الميمنة الأشتر، وتماسك أهل الشام وبايع بعضهم علىٰ الموت، وكروا مرة أخرىٰ بشدة وعزيمة وقتل عدد من أبرزهم ذو الكلاع، وحوشب وعبيد الله ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وانقلب الأمر لجيش الشام، وأظهر تقدمًا، وبدأ جيش العراق في التراجع، واستحر القتل في أهل العراق وكثرت الجراحات، ولما رأىٰ علىٰ جيشه في تراجع، أخذ يناديهم ويحمسهم، وقاتل قتالًا شديدًا واتجه إلىٰ القلب حيث ربيعة، فثارت فيه الحمية وبايعوا أميرهم خالد بن المعتمر علىٰ الموت وكانوا أهل قتال[(٢)].

وكان عمّار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قد جاوز الرابعة والتسعين عامًا، وكان يحارب بحماس، يحرض الناس، ويستنهض الهمم، ولكنه بعيد كل البعد عن الغلو، فقد سمع رجلًا بجواره يقول: كفر أهل الشام. فنهاه عمار عن ذلك وقال: إنما بغوا علينا، فنحن نقاتلهم لبغيهم، فإلهنا واحد، ونبينا واحد، وقبلتنا واحدة[(٣)].

ولما رأىٰ عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تقهقر أصحابه، وتقدم خصومه، أخذ يستحثهم ويبين لهم أنهم علىٰ الحق ولا يغرنهم ضربات الشاميين الشديدة، فيقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من سره أن تكتنفه الحور العين فليقدم بين الصفين محتسبًا، فإني لأرىٰ صفًا يضربكم ضربًا يرتاب منه المبطلون، والذي نفسي بيده، لو ضربونا حتىٰ يبلغوا منا سعفات هجر، لعلمنا أنا علىٰ الحق وأنهم علىٰ الباطل، ولعلمنا أن مصلحينا علىٰ الحق وأنهم علىٰ الباطل[(٤)]. ثم أخذ في التقدم، وفي يده الحربة ترعد - لكبر

---

(١) المصدر نفسه (٥/ ٦٣٦).

(٢) الإصابة (١/ ٤٥٤)، أنساب الأشراف (٢/ ٥٦)

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٩٠)

(٤) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد: ص (٢١٩)

سنه - ويشتد على حامل الراية هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ويستحثه في التقدم ويرغبه ويطمعه فيما عند الله من النعيم، ويطمع أصحابه أيضًا فيقول: أزفت الجنة وزينت الحور العين، من سره أن تكتنفه الحور العين، فليتقدم بين الصفين محتسبًا. وكان منظرًا مؤثرًا فهو صحابي جليل مهاجري بدري جاوز الرابعة والتسعين يمتلك كل هذا الحماس وهذا العزم والروح المعنوية العالية واليقين الثابت، فكان عاملًا مهمًا من عوامل حماس جيش العراق ورفع روحهم المعنوية مما زادهم عنفًا وضراوة وتضحية في القتال، حتى استطاعوا أن يحولوا المعركة لصالحهم، وتقدم هشام بن عتبة بن أبي وقاص وهو يرتجز بقوله:

أعـــور يبغـــي أهلـــه مَحَـــلًا قـــد عـــالج الحيـــاة حتـــى مـــلاَّ
لابـــد أن يَـفـــلّ أو يُـفـــلاَّ[1]

وعمار يقول: تقدم يا هشام، الجنة تحت ظلال السيوف، والموت في أطراف الأسل[2]، وقد فتحت أبواب السماء وتزينت الحور العين:

اليـــوم ألقـــى الأحبـــة محمّـــدًا وحزبـــه[3]

وعند غروب شمس ذلك اليوم الخميس، طلب عمار شربة من لبن ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال لي: إن آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن[4]، ثم تقدم واستحث معه حامل الراية هشام بن عتبة بن أبي وقاص الزهري فلم يرجعا وقتلا[5]، رحمهما الله ورضي الله عنهما.

٣- ليلة الهرير يوم الجمعة: عادت الحرب في نفس الليلة بشدة واندفاع لم

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٦٥٢).
(٢) **الأسل**: الرماح.
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٦٥٢).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣٠٢، ٣٠٣).
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٦٥٣).

تشهدها الأيام السابقة، وكان اندفاع أهل العراق بحماس وروح عالية حتىٰ أزالوا أهل الشام عن أماكنهم، وقاتل أمير المؤمنين علىٰ قتالًا شديدًا وبايع علىٰ الموت[(١)]، وذكر أن عليًا ﵁ صلىٰ بجيشه المغرب صلاة الخوف[(٢)]، وقال الشافعي: وحفظ عن علىٰ أنه صلىٰ صلاة الخوف ليلة الهرير[(٣)]، يقول شاهد عيان: اقتتلنا ثلاثة أيام وثلاث ليال حتىٰ تكسرت الرماح ونفدت السهام ثم صرنا إلىٰ المسايفة فاجتلدنا بها إلىٰ نصف الليل حتىٰ صرنا نعانق بعضنا بعضًا، ولما صارت السيوف كالمناجل تضاربنا بعمد الحديد، فلا تسمع إلا غمغمة وهمهمة القوم، ثم ترامينا بالحجارة وتحاثينا بالتراب وتعاضينا بالأسنان وتكادمنا بالأفواه إلىٰ أن أصبحوا في يوم الجمعة وارتفعت الشمس وإن كانت لا ترىٰ من غبار المعركة وسقطت الألوية والرايات، وأنهك الجيش التعب وكلت الأيدي وجفت الحلوق[(٤)].

ويقول ابن كثير في وصف ليلة الهرير ويوم الجمعة: وتعاضوا بالأسنان يقتتل الرجلان حتىٰ يثخنا ثم يجلسان يستريحان، وكل واحد منهما ليهمر علىٰ الآخر، ويهمر عليه، ثم يقومون فيقتتلان كما كانا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولم يزل ذلك دأبهم حتىٰ أصبح الناس من يوم الجمعة وهم كذلك، وصلىٰ الناس الصبح إيماء وهم في القتال حتىٰ تضاحىٰ النهار وتوجه النصر لأهل العراق علىٰ أهل الشام[(٥)].

٤- الدعوة إلىٰ التحكيم: إن ما وصل إليه حال الجيشين بعد ليلة الهرير لم

---

(١) المستدرك (٣/ ٤٠٢) قال الذهبي: ضعيف

(٢) السنن الكبرىٰ للبيهقي (٣/ ٢٥٢) قال الألباني: رواه البيهقي بصيغة التمريض، إرواء الغليل (٣/ ٤٢).

(٣) تلخيص الحبير (٢/ ٧٨)، خلافة علي بن أبي طالب: ص (٢٢٧).

(٤) شذرات الذهب (١/ ٤٥)، وقعة صفين: ص (٣٦٩).

(٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٨٣).

يكن يحتمل مزيد قتال، وجاءت خطبة الأشعث بن قيس زعيم كندة في أصحابه ليلة الهرير فقال: قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي، وما قد فني فيه من العرب، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ؛ فما رأيت مثل هذا قط، ألا فليبلغ الشاهد الغائب، إن نحن تواقفنا غدًا إنه لفناء العرب، وضيعة الحرمات، أما والله ما أقول هذه المقالة جزعًا من الحرب، ولكني رجل مسن، وأخاف علىٰ النساء والذراري غدًا، إذا نحن فنينا، اللهم إنك تعلم أني قد نظرت لقومي ولأهل ديني فلم آلُ[(١)].

وجاء خبر ذلك إلىٰ معاوية فقال: أصاب ورب الكعبة، لئن نحن التقينا غدًا لتميلن الروم علىٰ ذرارينا ونسائنا، ولتميلن أهل فارس علىٰ أهل العراق وذراريهم، وإنما يبصر هذا ذوو الأحلام والنهي، ثم قال لأصحابه: اربطوا المصاحف علىٰ أطراف القنا[(٢)]، وهذه رواية عراقية لا ذكر فيها لعمرو بن العاص ولا للمخادعة والاحتيال، وإنما كانت رغبة كلا الفريقين، ولن يضير معاوية أو عمرًا شيء أن تأتي أحدهم الشجاعة فيبادر بذلك وينقذ ما تبقىٰ من قوىٰ الأمة المتصارعة، إنما يزعج ذلك السبئية الذين أشعلوا نيران هذه الفتنة، وتركوا لنا ركامًا من الروايات المضللة بشأنها، تحيل الحق باطلًا، وتجعل الفضل - كالمناداة لتحكيم القرآن لصون الدماء المسلمة - جريمة ومؤامرة[(٣)] وحيلة، ونسبوا لأمير المؤمنين علىٰ أقوالًا مكذوبة تعارض ما في الصحيح، علىٰ أنه قال: ما رفعوها ثم لا يرفعونها، ولا يعملون بما فيها، وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهنًا ومكيدة[(٤)]. ومن الشتائم قولهم عن رفع المصاحف: إنها مشورة

(١) وقعة صفين: ص (٤٧٩).
(٢) المصدر نفسه: ص (٨٨١ - ٨٨٤).
(٣) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين: ص (٣١٦).
(٤) الكامل (٢/ ٣٨٦).

ابن العاهرة[(١)]، ووسّعوا دائرة الدعاية المضادة علىٰ عمرو بن العاص رضي الله عنه حتىٰ لم تعد تجد كتابًا من كتب التاريخ إلا فيه انتقاص لعمرو بن العاص وأنه مخادع وماكر بسبب الروايات الموضوعة التي لفقها أعداء الصحابة الكرام، ونقلها الطبري، وابن الأثير وغيرهما، فوقع فيها كثير من المؤرخين المعاصرين مثل حسن إبراهيم حسن في تاريخ الإسلام، ومحمد الخضري بك في تاريخ الدولة الأموية، وعبد الوهاب النجار في تاريخ الخلفاء الراشدين وغيرهم كثير، مما ساهم في تشويه الحقائق التاريخية الناصعة.

إن رواية أبي مخنف تفترض أن عليًا رفض تحكيم القرآن لما اقترحه أهل الشام، ثم استجاب بعد ذلك له تحت ضغط القراء الذين عرفوا بالخوارج فيما بعد[(٢)]، وهذه الرواية تحمل سبًا من علي لمعاوية وصحبه يتنزه عنه أهل ذاك الجيل المبارك، فكيف بساداتهم وعلىٰ رأسهم أمير المؤمنين علي؟! ويكفي للرواية سقوطًا أن فيها أبا مخنف الرافضي المحترق، فهي رواية لا تصمد للبحث النزيه، ولا تقف أمام روايات أخرىٰ لا يتهم أصحابها بهوىٰ مثل ما يرويه الإمام أحمد بن حنبل عن طريق حبيب بن أبي ثابت قال: أتيت أبا وائل أحد رجال علي بن أبي طالب فقال: كنا بصفين، فلما استحر القتل بأهل الشام قال عمرو لمعاوية: أرسل إلىٰ عليّ المصحف؛ فادعه إلىٰ كتاب الله، فإنه لا يأبىٰ عليك، فجاء به رجل فقال: بيننا وبينكم كتاب الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [آل عمران:٢٣]، فقال علىٰ: نعم، أنا أولىٰ بذلك، فقام القُراء - الذين صاروا بعد ذلك خوارج - بأسيافهم علىٰ عواتقهم فقالوا: يا أمير المؤمنين ألا نمشي إلىٰ هؤلاء حتىٰ يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقام سهل بن حنيف الأنصاري رضي الله عنه فقال: أيها

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٦٦٢).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٦٦٢، ٦٦٣).

الناس اتهموا أنفسكم، لقد كنا مع رسول الله ﷺ، يوم الحديبية، ولو نرىٰ قتالًا لقاتلنا، وذلك في الصلح الذي بين رسول الله ﷺ وبين المشركين، ثم حدثهم عن معارضة عمر، رضي الله عنه، للصلح يوم الحديبية ونزول سورة الفتح علىٰ رسول الله ﷺ، فقال علىٰ: أيها الناس إن هذا فتح، فقبل القضية ورجع، ورجع الناس[١].

وأظهر سهل بن حنيف رضي الله عنه اشمئزازه ممن يدعون إلىٰ استمرار الحرب بين الإخوة وقال: أيها الناس اتهموا رأيكم علىٰ دينكم[٢]، وبين لهم أنه لا خيار عن الحوار والصلح لأن ما سواه فتنة لا تعرف عواقبها، فقد قال: ما وضعنا بسيوفنا علىٰ عواتقنا إلىٰ أمر إلا أسهلن بنا إلىٰ أمر نعرفه قبل هذا الأمر، ما نسد منها خصمًا إلا تفجر علينا خصم ما ندري كيف نأتي له[٣]. وفي هذه الروايات الصحيحة رد علىٰ دعاة الفتنة، ومبغضي الصحابة الذين يضعون الأخبار المكذوبة، ويضعون الأشعار وينسبونها إلىٰ أعلام الصحابة والتابعين الذين شاركوا في صفين؛ ليظهروهم بمظهر المتحمس لتلك الحرب ليزرعوا البغضاء في النفوس ويعملوا ما في وسعهم علىٰ استمرار[٤] الفتنة.

إن الدعوة إلىٰ تحكيم كتاب الله دون التأكيد علىٰ تسليم قتلة عثمان إلىٰ معاوية وقبول التحكيم دون التأكيد علىٰ دخول معاوية في طاعة علىٰ والبيعة له، تطور فرضته أحداث حرب صفين، إذ إن الحرب التي أودت بحياة الكثير من المسلمين، أبرزت اتجاها جماعيًا رأىٰ أن وقف القتال وحقن الدماء ضرورة تقتضيها حماية شوكة الأمة وصيانة قوتها أمام عدوها، وهو دليل علىٰ حيوية الأمة ووعيها وأثرها في اتخاذ القرارات[٥].

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٨/ ٣٣٦).
(٢) البخاري رقم (٤١٨٩).
(٣) البخاري رقم (٤١٨٩).
(٤) الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدىٰ من الخلاف: ص (٥٣٠).
(٥) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين: ص (٣٨).

إن أمير المؤمنين عليًا رضي الله عنه قَبِل وقف القتال في صفين، ورضي التحكيم وعدَّ ذلك فتحًا ورجع[1] إلىٰ الكوفة، وعلق علىٰ التحكيم آمالًا في إزالة الخلاف، وجمع الكلمة، ووحدة الصف، وتقوية الدولة، وإعادة حركة الفتوح من جديد. إن وصول الطرفين إلىٰ فكرة التحكيم والاستجابة له أسهمت فيها عدة عوامل منها:

أ- أنه كان آخر محاولة من المحاولات التي بذلت لإيقاف الصدام وحقن الدماء سواء تلك المحاولات الجماعية أو المحاولات الفردية التي بدأت بعد موقعة الجمل ولم تفلح، أما الرسائل التي تبودلت بين الطرفين لتفيد وجهات نظر كل منهما، فلم تُجد هي الأخرىٰ شيئًا، وكان آخر تلك المحاولات ما قام به معاوية في أيام اشتداد القتال حيث كتب إلىٰ علىٰ رضي الله عنه يطالبه بوقف القتال فقال: فإني أحسبك أن لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ بك ما بلغت لم نجنها علىٰ أنفسنا، فإنا إن كنا قد غُلبنا علىٰ عقولنا فقد بقىٰ منا ما ينبغي أن نندم علىٰ ما مضىٰ ونصلح ما بقىٰ[2].

ب- تساقط القتلىٰ وإراقة الدماء الغزيرة ومخافة الفناء، فصارت الدعوة إلىٰ إيقاف الحرب مطلبًا يرنو إليه الجميع.

جـ- الملل الذي أصاب الناس من طول القتال، حتىٰ وكأنهم علىٰ موعد لهذا الصوت الذي نادىٰ بالهدنة والصلح، وكانت أغلبية جيش علىٰ في اتجاه الموادعة، وكانوا يرددون: قد أكلتنا الحرب، ولا نرىٰ البقاء إلا عن الموادعة[3]. وهذا ينقض ذلك الرأي المتهافت الذي رُوِّج بأن رفع المصاحف كان خدعة من عمرو بن العاص، والحق أن فكرة رفع المصاحف لم تكن جديدة وليست من ابتكار عمرو بن العاص، بل رُفع المصحف في الجمل ورشق حامله كعب

---

(١) دراسة في تاريخ الخلفاء: ص (٣٨).
(٢) الأخبار الطوال للدينورىٰ: ص (١٨٧)، دارسات في عهد النبوة: ص (٤٣٢).
(٣) صفين: ص (٤٨٢ - ٤٨٥)، دراسات في عهد النبوة: ص (٤٣٣).

بن سور قاضي البصرة بسهم وقُتل.

د- الاستجابة لصوت الوحي الداعي للإصلاح، قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩] ويؤيد هذا ما قاله علي بن أبي طالب حينما عرض عليه الاحتكام إلىٰ كتاب الله، قال: نعم أنا أولىٰ بذلك، بيننا وبينكم كتاب الله[١].

٥- مقتل عمّار بن ياسر رضي الله عنه وأثره علىٰ المسلمين: يعد حديث رسول الله ﷺ لعمار رضي الله عنه: «**تقتلك الفئة الباغية**»[٢] من الأحاديث الصحيحة والثابتة عن النبي ﷺ، وقد كان لمقتل عمّار، رضي الله عنه - أثر في معركة صفين، فقد كان علمًا لأصحاب رسول الله يتبعونه حيث سار، وكان خزيمة بن ثابت حضر صفين وكان كافًا سلاحه، فلما رأىٰ مقتل عمار سل سيفه وقاتل أهل الشام، وذلك لأنه سمع[٣] حديث رسول الله ﷺ عن عمار: «**تقتله الفئة الباغية**». واستمر في القتال حتىٰ قُتل[٤]، وكان لمقتل عمّار أثر في معسكر معاوية، فهذا أبو عبد الرحمن السلمي دخل في معسكر أهل الشام، فرأىٰ معاوية وعمرو بن العاص وابنه عبد الله بن عمرو، وأبا الأعور السلمي، عند شريعة الماء يسقون.

وكانت هي شريعة الماء الوحيدة التي يستقي منها الفريقان، وكان حديثهم عن مقتل عَمّار بن ياسر، إذ قال عبد الله بن عمرو لوالده: لقد قتلنا هذا الرجل وقد قال فيه رسول الله ﷺ: «**تقتله الفئة الباغية**». فقال عمرو لمعاوية: لقد قتلنا الرجل وقد قال فيه رسول الله ﷺ ما قل. فقال معاوية: اسكت فوالله ما تزال

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٨/ ٣٣٦).
(٢) مسلم رقم (٢٩١٦).
(٣) مسلم رقم (٢٩١٦).
(٤) خلافة علي: ص (٢١١).

تدحض في بولك، أنحن قتلناه؟ إنما قتله من جاء به[(١)]، فانتشر تأويل معاوية بين أهل الشام انتشار النار في الهشيم، وجاء في رواية صحيحة أن عمرو ابن حزم دخل علىٰ عمرو بن العاص فقال: قتل عمار وقد قال فيه رسول الله ﷺ: «تقتله الفئة الباغية». فقام عمرو بن العاص فزعًا يرجع حتىٰ دخل علىٰ معاوية فقال له معاوية: ما شأنك؟ فقال: قُتل عمار. قال معاوية: فماذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول له: «**تقتلك الفئة الباغية**».

فقال له معاوية: دحضت في بولك، أو نحن قتلناه؟! إنما قتله علي وأصحابه، وجاءوا به حتىٰ ألقوه بين رماحنا، أو قال: بين سيوفنا[(٢)].

وفي رواية صحيحة أيضًا: جاء رجلان عند معاوية يختصمان في رأس عمّار، يقول كل واحد منهما: أنا قتلته؛ فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: ليطب به أحدكم نفسًا لصاحبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقتله الفئة الباغية**». قال معاوية: فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: «**أطع أباك ما دام حيًا ولا تعصه**». فأنا معكم ولست أقاتل[(٣)]. من الروايات السابقة نلاحظ أن الصحابي الفقيه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما حريص علىٰ قول الحق والنصح، فقد رأىٰ أن معاوية وجنده، هم الفرقة الباغية لقتلهم عمارًا، فقد تكرر منه هذا الاستنكار في مناسبات مختلفة؛ ولا شك أن مقتل عمّار رضي الله عنه قد أثر في أهل الشام بسبب هذا الحديث، إلا أن معاوية رضي الله عنه أوّل الحديث تأويلًا غير مستساغ ولا يصح في أن الذين قتلوا عمارًا هم الذين جاءوا به إلىٰ القتال[(٤)].

وقد أثر مقتل عمار كذلك علىٰ عمرو بن العاص، بل كان استشهاد عمار

---

(١) مسند أحمد (٢/ ٢٠٦).
(٢) مصنف عبد الرزاق (١١/ ٢٤٠).
(٣) مسند أحمد (١١/ ١٣٨، ١٣٩).
(٤) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد: ص (٣٢٥).

دافعًا لعمرو بن العاص للسعي لإنهاء الحرب[(١)]، وقد قال رضي الله عنه: وددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة[(٢)]، وقد جاء في البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا نحمل لبنة؛ وعمّار لبنتين لبنتين، فرآه النبي ﷺ ، فينفض التراب عنه ويقول: «**ويح عمّار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلىٰ الجنة ويدعونه إلىٰ النار**». قال عمّار: أعوذ بالله من الفتن[(٣)]، وقال ابن عبد البر: تواترت الآثار عن النبي ﷺ أنه قال: «تقتل عمارًا الفئة الباغية»، وهذا من إخباره بالغيب وإعلام نبوته ﷺ ، وهو من أصح الأحاديث[(٤)]، وقال الذهبي بعد ما ذكر الحديث: وفي الباب عن عدة من الصحابة، فهو متواتر[(٥)].

٦- فهم العلماء للحديث:

أ- قال ابن حجر: وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة وفضيلة ظاهرة لعلي وعمار، ورد علىٰ النواصب الزاعمين أن عليًا لم يكن مصيبًا في حروبه[(٦)].

وقال أيضًا: دل الحديث: تقتل عمارًا الفئة الباغية، علىٰ أن عليًا كان المصيب في تلك الحروب؛ لأن أصحاب معاوية قتلوه[(٧)].

ب- يقول النووي: وكانت الصحابة يوم صفين يتبعونه حيث توجه لعلمهم بأنه مع الفئة العادلة لهذا الحديث[(٨)].

جـ- قال ابن كثير: كان علي وأصحابه أدنىٰ الطائفتين إلىٰ الحق من

---

(١) معاوية بن أبي سفيان، الغضبان، ص (٢١٥).
(٢) أنساب الأشراف (١/ ١٧٠)، عمرو بن العاص للغضبان: ص (٦٠٣).
(٣) البخاري رقم (٤٤٧).
(٤) الاستيعاب (٣/ ١١٤٠).
(٥) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٢١).
(٦) فتح الباري (١/ ٦٤٦).
(٧) فتح الباري (١٣/ ٩٢).
(٨) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٨).

أصحاب معاوية، وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي سملة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: حدثني من هو خير مني - يعني أبا قتادة- أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «**تقتلك الفئة الباغية**»(١)، وقال أيضًا: وهذا مقتل عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب،قتلة أهل الشام، وبان وظهر بذلك سر ما أخبر به الرسول ﷺ من أنه تقتله الفئة الباغية، وبان بذلك أن عليًا محق، وأن معاوية باغ، وما في ذلك من دلائل النبوة(٢).

د- وقال الذهبي: هم طائفة من المؤمنين، بغت علىٰ الإمام علىٰ، وذلك بنص قول المصطفىٰ صلوات الله عليه لعمار: «**تقتلك الفئة الباغية**»(٣).

هـ- قال القاضي أبو بكر بن العربي: في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ﴾: هذه الآية أصل في قتال المسلمين، والعمدة في حرب المتأولين، وعليها عول الصحابة، وإليها لجأ الأعيان من هذه الملة، وإياها عنىٰ النبي ﷺ بقوله: «**تقتل عمارًا الفئة الباغية**»(٤).

ووقال ابن تيمية: وهذا يدل علىٰ صحة إمامة علىٰ ووجوب طاعته، وأن الداعي إلىٰ طاعته داع إلىٰ الجنة، والداعي إلىٰ مقاتلته داع إلىٰ النار- وإن كان متأولًا- وهو دليل علىٰ أنه لم يكن يجوز قتال علي، وعلىٰ هذا فمقاتله مخطئ - وإن كان متأولًا - أو باغ - بلا تأويل - وهو أصح القولين لأصحابنا، وهو الحكم بتخطئة من قاتل عليًا، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا علىٰ ذلك

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٢٢٠).
(٢) المصدر نفسه (٧/ ٢٧٧).
(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٠٩).
(٤) أحكام القرآن (٤/ ١٧١٧).

قتال البغاة المتأولين[١]، وقال أيضًا: مع أن عليًا أولىٰ بالحق ممن فارقه، ومع أن عمارًا قتلته الفئة الباغية - كما جاءت به النصوص - فعلينا أن نؤمن بكل ما جاء من عند الله ونقر بالحق كله، ولا يكون لنا هوىٰ، ولا نتكلم بغير علم، بل نسلك سبل العلم والعدل، وذلك هو اتباع الكتاب والسنة، فأما من تمسك ببعض الحق دون بعض، فهذا منشأ الفرقة والاختلاف[٢].

ز- وقال عبد العزيز بن باز: وقال ﷺ في حديث عمار: «**تقتل عمارًا الفئة الباغية**». فقتله معاوية وأصحابه في وقعة صفين، فمعاوية وأصحاب بغاة، لكن مجتهدون ظنوا أنهم مصيبون في المطالبة بدم عثمان[٣].

حـ- وقال سعيد حوىٰ: بعد أن قتل عمار الذي وردت النصوص مبينة أنه تقتله الفئة الباغية، تبين للمترددين أن عليًا كان علىٰ حق وأن القتال معه كان واجبًا، ولذا عبّر ابن عمر عن تخلفه بأنه يأسىٰ بسبب هذا التخلف، وما ذلك إلا أنه ترك واجبًا وهو نصرة الإمام الحق علىٰ الخارجين عليه بغير حق كما أفتىٰ بذلك الفقهاء[٤].

٧- الرد علىٰ قول معاوية رضي الله عنه: إنما قتله من جاء به[٥]. إن جل الصحابة والتابعين قد فهموا من قول رسول الله ﷺ لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»[٦] أن المقصود: جيش معاوية رضي الله عنه، مع أنهم - أي: معاوية وجيشه - معذورون في اجتهادهم، فهم يقصدون الحق ويريدونه ولكنهم لم يصيبوه، وفئة علىٰ أولىٰ بالحق منهم كما قال ﷺ، ومع أن الأئمة لم يعجبهم تأويل معاوية - كما سأنقل

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٤٣٧).
(٢) المصدر نفسه (٤/ ٤٤٩، ٤٥٠).
(٣) فتاوىٰ ومقالات متنوعة (٦/ ٨٧).
(٤) الأساس في السنة (٤/ ١٧١٠).
(٥) مسند أحمد (٢/ ٢٠٦) إسناده حسن.
(٦) مسلم رقم (٢٩١٦).

- إلا أنهم عذروه في اجتهاده، فها هو ابن حجر يقول في قوله ﷺ: «**يدعوهم إلىٰ الجنة ويدعونه إلىٰ النار**»[(١)].

فإن قيل: كان قتله بصفين وهو مع علىٰ، والذين قتلوه مع معاوية، وكان معه جماعة من الصحابة، فكيف يجوز عليهم الدعاء إلىٰ النار؟ فالجواب: أنهم كانوا ظانين أنهم يدعونه إلىٰ الجنة، وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم، فالمراد بالدعاء إلىٰ الجنة الدعاء إلىٰ سببها، وهو طاعة الإمام، وكذلك كان عمار يدعوهم إلىٰ طاعة علي، وهو الإمام الواجب الطاعة، إذ ذاك، وكانوا هم يدعونه إلىٰ خلاف ذلك، لكنهم معذورون للتأويل الذي ظهر لهم[(٢)].

وقال القرطبىٰ: وقال الإمام أبو المعالي في كتاب الإرشاد، فصل.. علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان إمامًا حقًا في توليته، ومقاتلوه بغاة، وحسن الظن بهم يقتضي أن يظن بهم قصد الخير وإن أخطأوه[(٣)]، وقال أيضًا: وقد أجاب علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن قول معاوية بأن قال: فرسول الله ﷺ إذن قتل حمزة حين أخرجه، وهذا من علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلزام، لا جواب عنه، وحجة لا اعترض عليها، قاله الإمام الحافظ أبو الخطاب بن دحية[(٤)]، وقال ابن كثير: فقول معاوية: إنما قتله من قدمه إلىٰ سيوفنا، تأويل بعيد جدًا، إذ لو كان كذلك لكان أمير الجيش هو القاتل للذين يقتلون في سبيل الله، حيث قدمهم إلىٰ سيوف الأعداء[(٥)]، وقال ابن تيمية: وهذا القول لا أعلم له قائلًا من أصحاب الأئمة الأربعة ونحوهم من أهل السنة، ولكن هو قول كثير من المروانية ومن وافقهم[(٦)]، وقال ابن القيم معلقًا علىٰ هذا

(١) البخاري رقم (٤٤٧).
(٢) التذكرة (٢/ ٢٢٢).
(٣) التذكرة (٢/ ٢٢٣).
(٤) المصدر نفسه (٢/ ٢٢٢).
(٥) البداية والنهاية (٦/ ٢٢١).
(٦) منهاج السنة (٤/ ٤٠٦).

التأويل: نعم، التأويل الباطل تأويل أهل الشام قوله ﷺ لعمار: «**تقتلك الفئة الباغية**»[١] فقالوا: نحن لم نقتله إنما قتله من جاء به حتىٰ أوقعه بين رماحنا، فهذا هو التأويل الباطل المخالف لحقيقة اللفظ وظاهره، فإن الذي قتله هو الذي باشر قتله، لا من استنصر به[٢].

٨- من هو قاتل عمّار بن ياسر؟ قال أبو الغادية الجهني وهو يحدث عن قتله لعمار: فلما كان يوم صفين، أقبل يستن أول الكتيبة رجلًا، حتىٰ إذا كان بين الصفين فأبصر رجلٌ عورة، فطعنه في ركبته بالرمح فعثر، فانكشف المغفر عنه، فضربته فإذا هو رأس عمار. ثم قُتل عمار قال الراوي: واستسقىٰ أبو الغادية، فأتىٰ بماء في زجاج، فأبىٰ أن يشرب فيها فأتىٰ بماء في قدح فشرب، فقال رجل:.. يتورع عن الشرب في الزجاج ولم يتورع عن قتل عمار[٣]، ويخبر عمرو بن العاص رضي الله عنه، الخبر فيقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قاتل عمار وسالبه في النار[٤]،قال ابن كثير: ومعلوم أن عمارًا كان في جيش علي يوم صفين، وقتله أصحاب معاوية من أهل الشام، وكان الذي تولىٰ قتله يقال له أبو الغادية، رجل من أفناد الناس، وقيل إنه صحابي[٥]، وقال ابن حجر: والظن بالصحابة في تلك الحروب أنهم كانوا متأولين، وللمجتهد المخطئ أجر، وإذا ثبت هذا في حق آحاد الناس فثبوته للصحابة بالطريق الأولىٰ[٦]، وقال الذهبي: وابن ملجم عند الروافض أشقىٰ الخلق في الآخرة، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النار، ونجوز أن الله يتجاوز عنه، لا كما يقول الخوارج والروافض، وحكمه حكم

---

(١) مسلم رقم (٢٩١٦).

(٢) الصواعق المرسلة (١/ ١٨٤، ١٨٥)

(٣) الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٦٠، ٢٦١).

(٤) السلسلة الصحيحة (٥/ ١٨، ١٩).

(٥) البداية والنهاية (٦/ ٢٢٠).

(٦) الإصابة (٧/ ٢٦٠).

قاتل عثمان، وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سعيد بن جبير وقاتل عمار وقاتل خارجة، وقاتل الحسين، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله، ونكل أمورهم إلىٰ الله عز وجل[١]. وقد وفق الألباني في تعليقه علىٰ قول ابن حجر: هذا حق، ولكن تطبيقه علىٰ كل فرد من أفرادهم مشكل؛ لأنه يلزم تناقض القاعدة المذكورة بمثل حديث الترجمة [عنوان باب (قاتل عمار وسالبه في النار)][٢]، إذ لا يمكن القول بأن أبا الغادية القاتل لعمار مأجور؛ لأنه قتله مجتهدًا، ورسول الله ﷺ يقول: قاتل عمار في النار[٣]، فالصواب أن يقال: إن القاعدة صحيحة، إلا ما دل الدليل القاطع علىٰ خلافها، فيستثنىٰ ذلك منها كما هو الشأن هنا، وهذا خير من ضرب الحديث الصحيح[٤] بها، وقد ترجم لأبي الغادية الجهني ابن عبد البر فقال: اختلف في اسمه: فقيل: يسار بن سَبُع وقيل: يسار بن أزهر، وقيل: اسمه مسلم. سكن الشام ونزل في واسط، يعد في الشاميين، أدرك النبي ﷺ وهو غلام، روُىٰ عنه أنه قال: أدركت النبي ﷺ وأنا أيفع، أرد علىٰ أهلي الغنم، وله سماع من النبي ﷺ، قوله ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[٥]، وكان محبًا لعثمان، وهو قاتل عمار بن ياسر، وكان يصف قتله إذا سئل عنه لا يباليه، وفي قصته عجبٌ عند أهل العلم[٦].

٩- المعاملة الكريمة أثناء الحرب والمواجهة: إن وقعة صفين كانت من أعجب الوقائع بين المسلمين.. كانت هذا الوقعات من الغرابة إلىٰ حد أن القارئ لا يصدق ما يقرأ ويقف مشدوهًا أمام طبيعة النفوس عند الطرفين،

---

(١) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٦٥٤).
(٢) السلسلة الصحيحة (٥/ ١٨ - ١٩).
(٣) السلسلة الصحيحة (٥/ ١٨ - ١٩).
(٤) المصدر نفسه (٥/ ١٩).
(٥) مسند أحمد (٤/ ٧٦) وسنده حسن.
(٦) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، رقم (٣٠٨٩).

فكل منهم كان يقف وسط المعركة شاهرًا سيفه وهو يؤمن بقضيته إيمانًا كاملًا، فليست معركة مدفوعة من قبل القيادة، يدفعون الجنود إلىٰ معركة غير مقتنعين بها، بل كانت معركة فريدة في بواعثها، وفي طريقة أدائها وفيما خلفتها من آثار؛ فبواعثها في نفوس المشاركين تعبر عنها بعض المواقف التي وصلت إلينا في المصادر التاريخية، فهم إخوة يذهبون معًا إلىٰ مكان الماء فيستقون جميعًا ويزدحمون وهم يغرفون الماء وما يؤذىٰ إنسان إنسانًا[١]، وهم إخوة يعيشون معًا عندما يتوقف القتال فهذا أحد المشاركين يقول: كنا إذا تواعدنا من القتال دخل هؤلاء في معسكر هؤلاء. وهؤلاء في معسكر هؤلاء.. وتحدثوا إلينا وتحدثنا إليهم[٢]، وهم أبناء قبيلة واحدة ولكل منهما اجتهاده، فيقاتل أبناء القبيلة الواحدة كل في طرف[٣] قتالًا مريرًا، وكل منهما يرىٰ نفسه علىٰ الحق وعنده الاستعداد لأن يُقْتَل من أجله، فكان الرجلان يقتتلان حتىٰ يُثْخَنا (وهنا وضعفًا) ثم يجلسان يستريحان، ويدور بينهما الكلام الكثير، ثم يقومان فيقتتلان كما كانا[٤]، وهما أبناء دين واحد يجمعها، وهو أحب إليهما من أنفسهما، فإذا حان وقت الصلاة توقفوا لأدائها[٥]، ويوم قتل عمار بن ياسر صلىٰ عليه الطرفان[٦]، ويقول شاهد عيان اشترك في صفين: تنازلنا بصفين، فاقتتلنا أيامًا فكثر القتلىٰ بيننا حتىٰ عقرت الخيل، فبعث علىٰ إلىٰ عمرو بن العاص أن القتلىٰ قد كثروا فأمسك حتىٰ يدفن الجميع قتلاهم، فأجابهم، فاختلط بعض القوم ببعض حتىٰ كانوا هكذا - وشبك بين أصابعه - وكان الرجل من أصحاب علىٰ يشد فيقتل

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٦١٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤١)، مرويات أبي مخنف، ص (٢٩٦).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٠)، دراسات في عهد النبوة، ص (٤٢٤).

(٤) دراسات في عهد النبوة، ص (٤٢٤).

(٥) تاريخ دمشق (١٨/ ٢٢٣٩)، دراسات في عهد النبوة ص (٤٢٤).

(٦) أنساب الأشراف (٦/ ٥٦).

في عسكر معاوية، فيستخرج منه، وقد مر أصحاب علىٰ بقتيل لهم أمام عمرو، فلما رآه بكىٰ وقال: لقد كان مجتهدًا أخشن في أمر الله[(١)]، وكانوا يسارعون إلىٰ التناهي عن المنكر حتىٰ في مثل هذه المواقع، فكانت هناك مجموعة عرفوا بالقراء، وكانوا من تلامذة عبد الله بن مسعود من أهل الشام معًا، فلم ينضموا إلىٰ أمير المؤمنين علىٰ، ولا إلىٰ معاوية بن أبي سفيان وقالوا لأمير المؤمنين: إنا نخرج معكم ولا ننزل عسكركم، ونعسكر علىٰ حدة حتىٰ ننظر في أمركم وأمر أهل الشام، فمن رأيناه أراد ما لا يحل له، أو بدا منه بغىٰ كنا عليه، فقال علي: مرحبًا وأهلًا، هذا هو الفقه في الدين، والعلم بالسنة من لم يرض بهذا فهو جائر خائن[(٢)].

والحقيقة أن هذه المواقف منبعثة من قناعات واجتهادات استوثقوا منها في قرارة أنفسهم وقاتلوا عليها[(٣)].

١٠- معاملة الأسرىٰ: إن المعاملة الحسنة للأسير وإكرامه في صفين من الأمور البدهية بعد ما استعرضنا المعاملة الكريمة أثناء القتال، وقد بين الإسلام معاملة الأسرىٰ، فقد حث رسول الله ﷺ علىٰ إكرام الأسير، وإطعامه أفضل الأطعمة الموجودة، هذا مع غير المسلمين فكيف إذا كان الأسير مسلمًا؟! لا شك أن إكرامه والإحسان إليه أولىٰ، ولكن الأسير في المعركة يعتبر فئة وقوة لفرقته، ولذلك كان علىٰ رضي الله عنه يأمر بحبسه، فإن بايع أخلىٰ سبيله وإن أبىٰ أخذ سلاحه ودابته أو يهبهما لمن أسره ويحلفه ألا يقاتل. وفي رواية يعطيه أربعة دراهم[(٤)]، وغرض الخليفة الراشد من ذلك واضح، وهو إضعاف جانب البغاة

(١) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد: ص (٢٤١).
(٢) صفين، ص (١١٥)، دراسات في عهد النبوة: ص (٤٢٤).
(٣) دراسات في عهد النبوة، ص (٤٢٤).
(٤) خلافة علي ابن أبي طالب، عبد الحميد، ص (٢٤٣).

وقد أتىٰ بأسير يوم صفين، فقال الأسير: لا تقتلني صبرًا. فقال علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا أقتلك صبرًا، إني أخاف الله رب العالمين، فخلىٰ سبيله ثم قال: أفيك خير تبايع[(١)]؟

١١- عدد القتلىٰ: تضاربت أقوال العلماء في عدد القتلىٰ، فذكر ابن أبي خيثمة أن القتلىٰ في صفين بلغ عددهم سبعين ألفًا، من أهل العراق خمسة وعشرون ألفًا، ومن أهل الشام خمسة وأربعون ألف مقاتل[(٢)]، كما ذكر ابن القيم أن عدد القتلىٰ في صفين بلغ سبعين ألفًا أو أكثر[(٣)]، ولا شك أن هذه الأرقام غير دقيقة، بل أرقام خيالية، فالقتال الحقيقي والصدام الجماعي استمر ثلاثة أيام مع وقف القتال بالليل إلا مساء الجمعة فيكون مجموع القتال حوالي ثلاثين ساعة[(٤)]، ومهما كان القتال عنيفًا، فلن يفوق شدة القادسية التي كان عدد الشهداء فيها ثمانية آلاف وخمسمائة[(٥)]، وبالتالي يصعب عقلًا أن نقبل تلك الروايات التي ذكرت الأرقام الكبيرة.

١٢- تفقد أمير المؤمنين علىٰ القتلىٰ وترحمه عليهم: كان أمير المؤمنين علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد نهاية الجولات الحربية يقوم بتفقد القتلىٰ، فيقول شاهد عيان: رأيت عليًا علىٰ بغلة النبي ﷺ الشهباء، يطوف بين القتلىٰ، وأثناء تفقده القتلىٰ ومعه الأشتر، مر برجل مقتول - وهو أحد القضاة والعباد المشهورين بالشام - فقال الأشتر -وفي رواية أخرىٰ عدي بن حاتم-: يا أمير المؤمنين أحابس معهم؟ عهدي والله به مؤمن، فقال علىٰ: فهو اليوم مؤمن. لعل هذا الرجل المقتول هو القاضي الذي أتىٰ عمر بن الخطاب وقال: يا أمير المؤمنين، رأيت

(١) الأم للشافعي (٤/ ٢٢٤)، (٨/ ٢٥٦).
(٢) الأنباء للقضاعي ص (٥٩) نقلًا عن خلافة علىٰ ص (٢٤٦).
(٣) الصواعق المرسلة (١/ ٣٧٧)
(٤) الدولة الأموية، ص (٣٦٠ - ٣٦٢).
(٥) تاريخ الطبري (٤/ ٣٨٨).

رؤيا أفزعتني، قال: ما هي؟ قال: رأيت الشمس والقمر يقتتلان والنجوم معهما نصفين. قال: فمع أيهما كنت؟ قال: مع القمر علىٰ الشمس، فقال عمر: قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء:١٢]، فانطلق فوالله لا تعمل لي عملًا أبدًا، قال الراوي: فبلغني أنه قتل مع معاوية بصفين[١]، وقد وقف عليٌّ علىٰ قتلاه وقتلىٰ معاوية فقال: غفر الله لكم، غفر الله لكم، للفريقين جميعًا[٢]، وعن يزيد بن الأصم قال: لما وقع الصلح بين علىٰ ومعاوية، خرج علي فمشىٰ في قتلاه فقال: هؤلاء في الجنة، ثم خرج إلىٰ قتلىٰ معاوية فقال: هؤلاء في الجنة، ويصير الأمر إليّ وإلىٰ معاوية[٣]، وكان يقول عنهم هم: المؤمنون[٤]، وقوله رضي الله عنه في أهل صفين لا يكاد يختلف عن قوله في أهل الجمل[٥].

١٣- موقف لمعاوية مع ملك الروم: استغل ملك الروم الخلاف الذي وقع بين أمير المؤمنين علي ومعاوية رضي الله عنهما وطمع في ضم بعض الأراضي التي تحت هيمنة معاوية إليه، قال ابن كثير:.. وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان أخشاه وأذله، وقهر جندهم ودحرهم، فلما رأىٰ ملك الروم اشتغال معاوية بحرب علي تدانىٰ إلىٰ بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: والله لئن لم تنته وترجع إلىٰ بلادك يا لعين لاصطلحن أنا وابن عمي عليك، ولأخرجنك مع جميع بلادك ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت، فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف، وبعث يطلب الهدنة[٦]، وهذا يدل علىٰ عظمة نفس

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١١/ ٧٤)
(٢) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (٢٥٠).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣٠٣)
(٤) تاريخ دمشق (١/ ٣٢٩، ٣٣١)، خلافة علي، ص ٢٥١.
(٥) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص ٢٥١.
(٦) البداية والنهاية (٨/ ١٢٢).

نفس معاوية وحميته للدين.

١٤- قصة باطلة في حق عمرو بن العاص بصفين: قال نصر بن مزاحم الكوفي: وحمل أهل العراق وتلقَّاهم أهل الشام فاجتلدوا وحمل عمرو بن العاص.. فاعترضه عليٌ وهو يقول:

قد علمت ذات القرون الميل   والخصر والأنامل الطفول[1]

إلىٰ أن يقول: ثم طعنه فصرعه واتقاه عمرو برجله، فبدت عورته، فصرف عليٌ وجهه عنه وارتُثَّ. فقال القوم: أفلت الرجل يا أمير المؤمنين. قال: وهل تدرون من هو؟ قالوا: لا. قال: فإنه عمرو بن العاص تلقاني بعورته فصرفت وجهي[2].

وذكر القصة أيضًا ابن الكلبي كما ذكر ذلك السهيلي في الروض الأنف. وقول علي: إنه اتقاني بعورته فأذكرني الرحِمَ إلىٰ أن قال:... ويروىٰ مثل ذلك عن عمرو بن العاص مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم صفين، وفي ذلك يقول الحارث بن النضر السهمي كما رواه ابن الكلبي وغيره:

أفي كل يوم فارس غير منته   وعورته وسط العجاجة بادية

يكف لها عنه عليّ سنانه   ويضحك منه في الخلاء معاوية[3]

والرد علىٰ هذا الافتراء والإفك المبين كالآتي: فراوي الرواية الأولىٰ نصر ابن مزاحم الكوفي صاحب وقعة صفين شيعي جلد لا يستغرب عنه كذبه وافتراؤه علىٰ الصحابة، قال عنه الذهبي في الميزان: نصر بن مزاحم الكوفي رافضي جلد، تركوه، قال عنه العقيلي: شيعي في حديثه اضطراب وخطأ كثير،

---

(١) الطفول جمع طفل، بالفتح، وهو الرخص الناعم.

(٢) وقعة صين، ص (٤٠٦ - ٤٠٨)، قصص لا تثبت، سليمان الخراشي (٦/ ١٩).

(٣) الروافض الأنف (٥/ ٤٦٢)، قصص لا تثبت (٦/ ١٩).

وقال أبو خيثمة: كان كذابًا[(١)]، وقال عنه ابن حجر: قال العجلي: كان رافضيًا غاليًا.. ليس بثقة ولا مأمون[(٢)]. وأما الكلبي؛ هشام بن محمد بن السائب الكلبي؛ فاتفقوا علىٰ غلوه في التشيع، قال الإمام أحمد: من يحدث عنه؟ ما ظننت أن أحدًا يحدث عنه. وقال الدارقطني: متروك[(٣)]، وعن طريق هذين الرافضين سارت هذه القصة في الآفاق وتلقفها من جاء بعدهم من مؤرخي الشيعة، وبعض أهل السنة ممن راجت عليهم أكاذيب الرافضة[(٤)]، وتعد هذه القصة أنموذجًا لأكاذيب الشيعة الروافض وافتراءاتهم علىٰ صحابة رسول الله، فقد اختلق أعداء الصحابة من مؤرخي الرافضة مثالب لأصحاب رسول الله ﷺ وصاغوها علىٰ هيئة حكايات وأشعار لكي يسهل انتشارها بين المسلمين، هادفين إلىٰ الغض من جناب الصحابة الأبرار رضي الله عنهم في غفلة من أهل السنة الذين وصلوا متأخرين إلىٰ ساحة التحقيق في روايات التاريخ الإسلامي، بعد أن طارت تلكم الأشعار والحكايات بين القصّاص وأصبح كثير منها من المسلمات، حتىٰ عند مؤرخي أهل السنة للأسف[(٥)].

١٥- مرور أمير المؤمنين علىٰ بالمقابر بعد رجوعه من صفين: لما انصرف علي أمير المؤمنين رضي الله عنه من صفين مرّ بمقابر، فقال: «السلام عليكم أهل الديار الموحشة، والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، أنتم لنا سلف فارط، ونحن لكن تبعٌ، وبكم عمّا قليل لاحقون، اللهم اغفر لنا ولهم، وتجاوز بعفوك عنا وعنهم، الحمد الله الذي جعل الأرض كفاتًا، أحياءً وأمواتًا، الحمد لله الذي خلقكم وعليها يحشركم، ومنها يبعثكم، وطوبي لمن

(١) ميزان الاعتدال (٤/ ٢٥٣ - ٢٥٤).

(٢) لسان الميزان (٦/ ١٥٧).

(٣) المجروحون لابن حبان (٣/ ٩١)، تذكرة الحفاظ (١/ ٣٤٣)، قصص لا تثبت (١/ ١٨).

(٤) قصص لا تثبت (١/ ٢٠).

(٥) المصدر نفسه (١/ ١٠).

ذكر المعاد وأعدّ للحساب، وقنع بالكفاء»[(١)].

١٦- إصرار قتلة عثمان رَضِوَاللَّهُعَنْهُ علىٰ أن تستمر المعركة: إن قتلة عثمان كانوا حريصين علىٰ أن تستمر المعركة بين الطرفين، حتىٰ يتفانىٰ الناس، وتضعف قوة الطرفين، فيكونوا بمنأىٰ عن القصاص والعقاب، ولذلك فإنهم فزعوا وهم يرون أهل الشام يرفعون المصاحف، وعلىٰ رَضِوَاللَّهُعَنْهُ يجيبهم إلىٰ طلبهم فيأمر يوقف القتال وحقن الدماء، فسعوا إلىٰ ثنىٰ أمير المؤمنين عن عزمه، لكن القتال توقف، فسقط في أيديهم، فلم يجدوا بدًا من الخروج علىٰ عليّ رَضِوَاللَّهُعَنْهُ، فاخترعوا مقولة (الحكم لله) وتحصنوا بعيدًا عن الطرفين، والغريب أن المؤرخين لم يركزوا علىٰ ما فعله هؤلاء في هذه المرحلة، كما فعلوا في معركة الجمل، رغم أنهم كانوا موجودين في جيش علىٰ، وعن سر إخفاق تلك المفاوضات التي دامت أشهرًا عديدة، وعن الدور الذي يمكن أن يكون قتلة عثمان قد قاموا به في معركة صفين لإفشال كل محاولة صلح بين الطرفين، لأن اصطلاح علىٰ مع معاوية هو أيضًا اصطلاح علىٰ دمائهم، لا يعقل أن يجتهدوا في الفتنة في وقعة الجمل، ويتركوا ذلك في صفين[(٢)].

١٧- نهىٰ أمير المؤمنين علىٰ عن شتم معاوية ولعن أهل الشام: روىٰ أن عليًا رَضِوَاللَّهُعَنْهُ لما بلغه أن اثنين من أصحابه يظهران شتم معاوية ولعن أهل الشام أرسل إليهما أن كفّا عما يبلغني عنكما، فأتيا فقالا: يا أمير المؤمنين، ألسنا علىٰ الحق وهم علىٰ الباطل؟ قال: بلىٰ وربّ الكعبة المسدّنة، قالا: فلم تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعّانين، ولكن قولوا: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأبعدهم من ضلالتهم حتىٰ يعرف الحقَّ من جهله ويرعوي عن الغيّ من لجج به[(٣)]. وأما ما قيل من أن عليًا كان

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ (٣/ ١٤٨)، فرائد الكلام للخلفاء الكرام، ص (٣٢٧).

(٢) أحداث وأحاديث فتنة الهرج، ص (١٤٧).

(٣) الأخبار الطوال، ص (١٦٥) نقلًا عن تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/ ٢٣٢).

يلعن في قنوته معاوية وأصحابه، وأن معاوية إذا قنت لعن عليًا وابن عباس والحسن والحسين، فهو غير صحيح، لأنّ الصحابة- رضوان الله عليهم- كانوا أكثر حرصًا من غيرهم علىٰ التقيد بأوامر الشارع الذي نهىٰ عن سباب المسلم ولعنه[1]. فقد روىٰ عن رسول الله ﷺ قوله: «**من لعن مؤمنًا فهو كقتله**»[2]، وقوله ﷺ: «**ليس المؤمن بطعّان ولا بلعّان**»[3]، وقوله ﷺ: «**لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة**»[4].

كما أن الرواية التي جاء فيها لعن أمير المؤمنين في قنوته لمعاوية وأصحابه ولعن معاوية لأمير المؤمنين وابن عباس والحسن والحسين لا تثبت من ناحية السند حيث فيها أبو مخنف لوط بن يحيىٰ الرافضي المحترق الذي لا يوثق في رواياته، كما أن في أصح كتب الشيعة عندهم جاء النهي عن سب الصحابة، فقد أنكر عليٌّ علىٰ من سب معاوية ومن معه فقال: إني أكره لكم أن تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم[5]. فهذا السب والتكفير لم يكن من هدىٰ علىٰ باعتراف أصح كتاب في نظر الشيعة[6].

■ التحكيم:

تم الاتفاق بين الفريقين علىٰ التحكيم بعد انتهاء موقعة صفين؛ وهو أن يُحكِّم كل واحد منهما رجلًا من جهته ثم يتفق الحكمان علىٰ ما فيه مصلحة

(١) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٣٢).
(٢) البخاري، ك الأدب (٧/ ٨٤).
(٣) السلسلة الصحيحة للألباني، رقم (٣٢٠)، صحيح سنن الترمذي (٢/ ١٨٩)، رقم (١١١٠).
(٤) مسلم (٤/ ٢٠٠٦) رقم (٢٥٩٨).
(٥) نهج البلاغة، ص (٣٢٣).
(٦) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٤).

المسلمين، فوكّل معاوية عمرو بن العاص ووكل عليّ أبا موسىٰ الأشعري، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا، وكُتبت بين الفريقين وثيقة في ذلك، وكان مقر اجتماع الحكمين في دومة الجندل في شهر رمضان سنة ٣٧ هـ، وقد رأىٰ قسم من جيش عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن عمله هذا ذنب يوجب الكفر، فعليه أن يتوب إلىٰ الله تعالىٰ، وخرجوا عليه فسموا الخوارج، فأرسل عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إليهم ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فناظرهم وجادلهم ثم ناظرهم علىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنفسه فرجعت طائفة منهم وأبت طائفة أخرىٰ، فجرت بينهم وبين عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حروب أضعفت من جيشه وأنهكت أصحابه، وما زالوا به حتىٰ قتلوه غيلة، وسيأتي تفصيل ذلك في محله بإذن الله تعالىٰ.

تعد قضية التحكيم من أخطر الموضوعات في تاريخ الخلافة الراشدة، وقد تاه فيها كثير من الكُتاب، وتخبط فيها آخرون وسطروها في كتبهم ومؤلفاتهم، وقد اعتمدوا علىٰ الروايات الضعيفة والموضوعة التي شوهت الصحابة الكرام وخصوصًا أبا موسىٰ الأشعري الذي وصفوه بأنه كان أبله ضعيف الرأي مخدوعًا في القول، وبأنه كان علىٰ جانب كبير من الغفلة، ولذلك خدعه عمرو بن العاص في قضيّة التحكيم، ووصفوا عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بأنه كان صاحب مكر وخداع، فكل هذه الصفات الذميمة حاول المغرضون والحاقدون علىٰ الإسلام إلصاقها بهذين الرجلين العظيمين اللذين اختارهما المسلمون ليفصلا في خلاف كبير أدّىٰ إلىٰ قتل كثير من المسلمين، وقد تعامل الكثير من المؤرخين والأدباء والباحثين مع الروايات التي وضعها خصوم الصحابة الكرام علىٰ أنها حقائق تاريخية، وقد تلقاها الناس منهم بالقبول دون تمحيص لها وكأنها صحيحة لا مرية فيها؛ وقد يكون لصياغتها القصصية المثيرة وما زعم فيها من خداع ومكر أثر في اهتمام الناس بها وعناية المؤرخين بتدوينها. وليعلم أن كلامنا هذا ينصب علىٰ التفصيلات لا علىٰ أصل التحكيم حيث إن أصله حق لا شك فيه[(١)].

---

(١) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري: ص (٣٧٨)، تنزيه خال المؤمنين معاوية: ص (٣٨).

▪ نص وثيقة التحكيم:

بسم الله الرحمن الرحيم

١- هذا ما تقاضىٰ عليه علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان وشيعتهما، فيما تراضيا فيه من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ .

٢- قضية علي علىٰ أهل العراق شاهدهم وغائبهم، وقضية معاوية علىٰ أهل الشام شاهدهم وغائبهم.

٣- إنا تراضينا أن نقف عند حُكم القرآن فيما يحكم من فاتحته إلىٰ خاتمته، نحيي ما أحيا ونميت ما أمات. علىٰ ذلك تقاضينا وبه تراضينا.

٤- وإن عليًّا وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس ناظرًا وحاكمًا، ورضي معاوية بعمرو بن العاص ناظرًا وحاكمًا.

٥- علىٰ أن عليًا ومعاوية أخذا علىٰ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله، أن يتخذا القرآن إمامًا ولا يعدوا به إلىٰ غيره في الحكم بما وجداه فيه مسطورًا، وما لم يجدا في الكتاب رداه إلىٰ سنة رسول الله الجامعة، لا يعتمدان لها خلافًا، ولا يبغيان فيها بشبهة.

٦- وأخذ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص علىٰ علي ومعاوية عهد الله وميثاقه بالرضا بما حكما به مما في كتاب الله وسنة نبيه، وليس لهما أن ينقضا ذلك ولا يخالفاه إلىٰ غيره.

٧- وهما آمنان في حكومتهما علىٰ دمائهما وأموالهما وأشعارهما وأبشارهما وأهاليهما وأولادهما، ما لم يَعْدُوَا الحق، رضىٰ به راض أو سخط ساخط، وإن الإمة أنصارهما علىٰ ما قضيا به من الحق مما في كتاب الله.

٨- فإن توفىٰ أحد الحكمين قبل انقضاء الحكومة، فلشيعته وأنصاره أن يختاروا مكانه رجلًا من أهل المعدلة والصلاح، علىٰ ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق.

٩- وإن مات أحد الأميرين قبل انقضاء الأجل المحدود في هذه القضية، فلشيعته أن يولوا مكانه رجلًا يرضون عدله.

١٠- وقد وقعت القضية بين الفريقين والمفاوضة ورفع السلاح.

١١- وقد وجبت القضية علىٰ ما سميناه في هذا الكتاب، من موقع الشرط علىٰ الأميرين والحكمين والفريقين، والله أقرب شهيد وكفىٰ به شهيدًا، فإن خالفا وتعديا، فالأمة بريئة من حكمهما، ولا عهد لهما ولا ذمة.

١٢- والناس آمنون علىٰ أنفسهم وأهاليهم وأولادهم وأموالهم إلىٰ انقضاء الأجل، والسلاح موضوعة، والسبل آمنة، والغائب من الفريقين مثل الشاهد في الأمر.

١٣- وللحكمين أن ينزلا منزلًا متوسطًا عدلًا بين أهل العراق والشام.

١٤- ولا يحضرهما فيه إلا من أحبَّا عن تراض منهما.

١٥- والأجل إلىٰ انقضاء شهر رمضان، فإن رأي الحكمان تعجيل الحكومة عجلاها، وإن رأيا تأخيرها إلىٰ آخر الأجل أخَّراها.

١٦- فإن هما لم يحكما بما في كتاب الله وسنة نبيه إلىٰ انقضاء الأجل، فالفريقان علىٰ أمرهما الأول في الحرب.

١٧- وعلىٰ الأمة عهد الله وميثافه في هذا الأمر، وهم جميعًا يد واحدة علىٰ ما أراد في هذا الأمر إلحادًا أو ظلمًا أو خلافًا.

وشهد علىٰ ما في هذا الكتاب الحسن والحسين، ابنا علي، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، والأشعث بن قيس الكندي، والأشتر ابن الحارث، وسعيد بن القيس الهمداني، والحصين والطفيل ابنا الحارث بن عبد المطلب، وأبو سعيد بن ربيعة الأنصاري، وعبد الله بن خباب بن الأرت، وسهل بن حنيف، وأبو بشر بن عمر الأنصاري، وعوف بن الحارث بن عبد المطلب، ويزيد بن عبد الله الأسلمي، وعقبة بن عامر الجهني، ورافع بن خديج

الأنصاري، وعمرو بن الحمق الخزاعي، والنعمان بن عجلان الأنصاري، وحجر بن عدي الكندي، ويزيد بن حجية الكندي، ومالك بن كعب الهمداني، وربيعة بن شرحبيل، والحارث بن مالك، وحجر بن يزيد، وعلبة بن حجية، ومن أهل الشام، حبيب بن مسلمة الفهري، وأبو الأعور السلمي، وبسر بن أرطأة القرشي، ومعاوية بن خديج الكندي، والمخارق بن الحارث الزبيدي، ومسلم بن عمرو السكسي، وعبد الله بن خالد بن الوليد، وحمزة بن مالك، وسبيع بن يزيد بن أبجر العبسي، ومسروق بن جبلة العكي، ويسر بن يزيد الحميري، وعبد الله بن عامر القرشي، وعتبة بن أبي سفيان، ومحمد بن أبي سفيان، ومحمد ابن عمرو بن العاص، وعمار بن الأحوص الكلبي، ومسعدة بن عمرو العتبي، والصباح بن جلهمة الحميري، وعبد الرحمن ابن ذي الكلاع، وتمامة بن حوشب، وعلقمة بن حكم، كتب يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين[١].

▪ قصة التحكيم المشهورة وبطلانها من وجوه:

لقد كثر الكلام حول قصة التحكيم، وتداولها المؤرخون والكتاب علىٰ أنها حقيقة ثابتة لا مرية فيها، فهم بين مطيل في سياقها ومختصر وشارح ومستنبط للدروس وبان للأحكام علىٰ مضامينها، وقلما تجد أحدًا وقف عندها فاحصًا محققًا، وقد أحسن ابن العربي في ردها إجمالًا وإن كان غير مفصل، وفي هذا دلالة علىٰ قوة حاسته النقدية للنصوص، إذ أن جميع متون قصة التحكيم لا يمكن أن تقوم أمام معيار النقد العلمي، بل هي باطلة من عدة وجوه[٢].

---

(١) **انظر**: الوثائق السياسية، ص (٥٣٧،٥٣٨)، الأخبار الطوال للدينوري، ص (١٩٦ - ١٩٩)، أنساب الأشراف (١/ ٣٨٢)، تاريخ الطبري (٥/ ٦٦٥ - ٦٦٦)، البداية والنهاية (٧/ ٢٧٦ - ٢٧٧).

(٢) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص (٤٠٤).

١- أن جميع طرقها ضعيفة، وأقوىٰ طريق وردت فيه هو ما أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند رجاله ثقات عن الزهري مرسلًا قال: قال الزهري: فأصبح أهل الشام قد نشروا مصاحفهم، ودعوا إلىٰ ما فيها، فهاب أهل العراق، فعند ذلك حكموا الحكمين، فاختار أهل العراق أبا موسىٰ الأشعري، واختار أهل الشام عمرو بن العاص، فتفرق أهل صفين حين حكم الحكمان، فاشترطا أن يرفعا ما رفع القرآن، ويخفضا ما خفض القرآن، وأن يختارا لأمة محمد ﷺ، وأنهما يجتمعان بدومة الجندل، فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح، فلما انصرف علي خالفت الحرورية وخرجت - وكان ذلك أول ما ظهرت- فآذنوه بالحرب، وردوا عليه: أن حَكَّم بن آدم في حكم الله عَزَّ وَجَلَّ، وقالوا: لا حكم إلا لله سبحانه، وقاتلوا، فلما اجتمع الحكمان بأذرح، وافاهم المغيرة بن شعبة فيمن حضر من الناس، فأرسل الحكمان إلىٰ عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير في إقبالهما في رجال كثير، ووافىٰ معاوية بأهل الشام، وأبىٰ علي وأهل العراق أن يوافوا فقال المغيرة بن شعبة لرجال من ذوي الرأي من قريش: أترون أحدًا من الناس برأي يبتدعه يستطيع أن يعلم أيجتمع الحكمان أم يتفرقان؟ قالوا: لا نرىٰ أحدًا يعلم ذلك، قال: فوالله إني لأظن أني سأعلمه منهما حين أخلو بهما وأراجعهما، فدخل عمرو بن العاص وبدأ به فقال: يا أبا عبد الله، أخبرني عما أسألك عنه، كيف ترانا معشر المعتزلة، فإنا قد شككنا في الأمر الذي تبين لكم من هذا القتال، ورأينا أن نستأنىٰ ونتثبت حتىٰ تجتمع الأمة؛ قال: أراكم معشر المعتزلة خلف الأبرار، وأمام الفجار؛ فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك، حتىٰ دخل علىٰ أبي موسىٰ فقال له مثل ما قال لعمرو فقال أبو موسىٰ: أراكم أثبت الناس رأيًا، فيكم بقية المسلمين، فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك، فلقىٰ الذين قال لهم ما قال من ذوي الرأي من قريش، فقال: لا يجتمع هذان علىٰ أمر واحد، فلما اجتمع الحكمان وتكلما قال

عمرو بن العاص: يا أبا موسىٰ، رأيت أول ما تقضي به من الحق أن تقضي لأهل الوفاء بوفائهم، وعلىٰ أهل الغدر بغدرهم، قال أبو موسىٰ: وما ذاك؟ قال: ألست تعلم أن معاوية وأهل الشام قد وفوا، وقدموا للموعد الذي واعدناهم إياه؟ قال: بلىٰ، قال عمرو: اكتبها فكتبها أبو موسىٰ، قال عمرو: يا أبا موسىٰ، أأنت علىٰ أن نسمي رجلًا يلي أمر هذه الأمة؟ فسمه لي، فإن أقدر علىٰ أن أتابعك فلك علي أن أتابعك وإلا فلي عليك أن تتابعني، قال أبو موسىٰ: أسمي لك معاوية بن أبي سفيان فلم يبرحا مجلسهما حتىٰ استبا، ثم خرجا إلىٰ الناس، فقال أبو موسىٰ: إني وجدت مثل عمرو ومثل الذين قال الله ﷻ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥].

فلما سكت أبو موسىٰ تكلم عمرو فقال: أيها الناس وجدت مثل أبي موسىٰ كمثل الذي قال الله ﷻ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة:٥]. وكتب كل واحد منهما مثله الذي ضرب لصاحبه إلىٰ الأمصار[١]. والزهري لم يدرك الحادثة فهي مرسلة، ومراسيله كأدراج الرياح لا تقوم بها حجة[٢]، كما قرر العلماء. وهناك طريق أخرىٰ أخرجها ابن عساكر بسنده إلىٰ الزهري وهي مرسلة وفيها أبو بكر بن أبي سبرة قال عنه الإمام أحمد: كان يضع الحديث[٣]، وفي سنده أيضًا الواقدي، وهو متروك[٤]، وهذا نصها:.. رفع أهل الشام المصاحف وقالوا: ندعوكم إلىٰ كتاب الله والحكم بما فيه، وكان ذلك مكيدة من عمرو بن العاص، فاصطلحوا وكتبوا بينهم كتابًا علىٰ أن يوافوا رأس الحول أذرح، وحكموا حكمين ينظران في أمور

(١) المصنف (٥/ ٤٦٣)، مرويات تاريخ الطبري، ص (٤٠٦).
(٢) المراسيل لأبي حاتم، ص (٣)، الجرح والتعديل (١/ ٢٤٦).
(٣) تهذيب التهذيب (١٢/ ٢٧)، مرويات تاريخ الطبري، ص (٤٠٦).
(٤) مرويات تاريخ الطبري، ص (٤٠٦).

الناس فيرضون بحكمهما، فحكم علي أبا موسىٰ الأشعري، وحكم معاوية عمرو بن العاص، وتفرق الناس، فرجع علي إلىٰ الكوفة بالاختلاف والدغل، واختلف عليه أصحابه فخرج عليه الخوارج من أصحابه ممن كانوا معه، وأنكروا تحكيمه وقالوا: لا حكم إلا لله، ورجع معاوية إلىٰ الشام بالألفة واجتماع الكلمة عليه. ووافىٰ الحكمان بعد الحول بأذرح في شعبان سنة ثمان وثلاثين، واجتمع الناس إليهما وكان بينهما كلام اجتمعا عليه في السر خالفه عمرو بن العاص في العلانية، فقدم أبا موسىٰ فتكلم وخلع عليًا ومعاوية، ثم تكلم عمرو بن العاص فخلع عليًا وأقر معاوية، فتفرق الحكمان ومن كان اجتمع إليهما، وبايع أهل الشام معاوية في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين[١].

وأما طرق أبي مخنف فهي معلولة به، فالأول: وهو أبو مخنف لوط بن يحيىٰ، ضعيف ليس بثقة[٢]، وإخباري تالف غالىٰ في الرفض، وأما الثاني قال فيه ابن سعد: كان[٣] ضعيفًا، وقال البخاري وأبو حاتم: كان يحيىٰ القطان يضعفه[٤]، وقال عثمان الدارمي: ضعيف[٥]، وقال النسائي: ضعيف[٦].

هذه طرق قصة التحكيم المشهورة، والمناظرة بين أبي موسىٰ وعمرو بن العاص المزعومة، أفمثل هذا تقوم به حجة؟ أو يعول علىٰ مثل ذلك في تاريخ الصحابة الكرام وعهد الخلفاء الراشدين، عصر القدوة والأسوة؛ ولو لم يكن في هذه الروايات إلا الاضطرابات في متونها لكفاها ضعفًا فكيف إذا أضيف

---

(١) تاريخ دمشق (١٦/ ٥٣).
(٢) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٢٣).
(٣) مرويات أبي مخنف، ص (٤٠٧).
(٤) التاريخ الكبير (٤/ ٢/ ٢٦٧)، الجرح والتعديل (٩/ ١٣٨).
(٥) التاريخ للدارمي، ص (٢٣٨)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٢٣).
(٦) الضعفاء والمتروكون، ص (٢٥٣).

إلىٰ ذلك ضعف أسانيدها[(١)].

٢- أهمية هذه القضية من جانب الاعتقاد والتشريع، ومع ذلك لم تنقل لنا بسند صحيح، ومن المحال أن يطبق العلماء علىٰ إهمالها مع أهميتها وشدة الحاجة إليها[(٢)].

٣- وردت رواية تنقض تلك الروايات تمامًا، وذلك فيما أخرجه البخاري في تاريخه مختصرًا بسند رجاله ثقات، وأخرجه ابن عساكر معلولًا، عن الحصين ابن المنذر أن معاوية أرسله إلىٰ عمرو بن العاص فقال له: إنه بلغني عن عمرو بعض ما أكره فأته فاسأله عن الأمر الذي اجتمع عمرو وأبو موسىٰ فيه كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس وقالوا، ولا والله ما كان ما قالوا، ولكن لما اجتمعت أنا وأبو موسىٰ قلت له: ما ترىٰ في هذا الأمر؟ قال: أرىٰ أنه من النفر الذين توفىٰ رسول الله ﷺ، وهو عنهم راض قال: فقلت: أين تجعلني من هذا الأمر أنا ومعاوية؟ قال: إن يستعن بكما ففيكما معونة، وإن يستغن عنكما فطال ما استغنىٰ أمر الله عنكما[(٣)]. وقد روىٰ أبو موسىٰ عن تورع عمرو ومحاسبته لنفسه، وتذكره سيرة أبي بكر وعمر، وخوفه من الأحداث بعدهما، قال أبو موسىٰ: قال لي عمرو بن العاص: والله لئن كان أبو بكر وعمر تركا هذا المال وهو يحل لهما، لقد غُبنا وأخطآ أو نقص رأيهما، ووالله ما كانا مغبونين ولا مخطئين ولا ناقصي الرأي، ووالله ما جاءنا الوهم والضعف إلا من قبلنا[(٤)].

٤- إن معاوية كان يقر بفضل علي عليه وأنه أحق بالخلافة منه، فلم ينازعه الخلافة ولا طلبها لنفسه في حياة علي، فقد أخرج يحيىٰ بن سليمان الجعفي

(١) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص (٤٠٨).

(٢) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص (٤٠٨).

(٣) التاريخ الكبير (٥/ ٣٩٨).

(٤) العواصم من القواصم، ص (١٧٨ - ١٨٠).

بسند جيد[١]، عن أبي مسلم الخولاني أنه قال لمعاوية: أنت تنازع عليًا في الخلافة، أو أنت مثله؟ قال: لا وإني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قُتل مظلومًا وأنا ابن عمه ووليه أطالب بدمه؟ فأتوا عليًا فقولوا له: يدفع لنا قتلة عثمان وأسلم له، فأتوا عليًا فكلموه فلم يدفعهم إليه[٢].

فهذا هو أصل النزاع بين علي ومعاوية، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ فالتحكيم من أجل حل هذه القضية المتنازع عليها لا لاختيار خليفة أو عزله[٣]، ويقول ابن حزم في هذا الصدد بأن عليًا قاتل معاوية لامتناعه عن تنفيذ أوامره في جميع أرض الشام، وهو الإمام الواجب طاعته، ولم ينكر معاوية قط فضل علي واستحقاقه الخلافة، لكن اجتهاده أداه إلىٰ أن رأىٰ تقديم أخذ القود من قتلة عثمان علىٰ البيعة، ورأىٰ نفسه أحق بطلب دم عثمان والكلام فيه من أولاد عثمان وأولاد الحكم بن أبي العاص لسنه وقوته علىٰ الطلب بذلك، وأصاب في هذا وإنما أخطأ في تقديمه ذلك علىٰ البيعة فقط[٤]، وفهم الخلاف علىٰ هذه الصورة - وهي صورته الحقيقية- بيَّن إلىٰ أي مدىٰ تخطئ الروايت السابقة عن التحكيم في تصوير قرار الحكمين، إن الحكمين كانا مفوضين للحكم في الخلاف بين علي ومعاوية، ولم يكن الخلاف بينهما حول الخلافة ومن أحق بها منهما، وإنما كان حول توقيع القصاص علىٰ قتلة عثمان، وليس هذا من أمر الخلافة في شيء، فإذا ترك الحكمان هذه القضية الأساسية، وهي ما طلب إليهما الحكم فيه، واتخذا قرارًا في شأن الخلافة كما تزعم الرواية الشائعة، فمعنىٰ ذلك أنهما لم يفضا موضوع النزاع، ولم يحيطا بموضوع الدعوىٰ، وهو أمر مستبعد جدًا[٥].

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٨٦).

(٢) سير اعلام النبلاء (٣/ ١٤٠).

(٣) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص (٤٠٩).

(٤) الفصل في الملل والنحل (٤/ ١٦٠).

(٥) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/ ٢٢٥).

٥- إن الشروط التي يجب توافرها في الخليفة هي العدالة والعلم، والرأي المفضي إلىٰ سياسة الرعية وتدبير المصالح، وأن يكون قرشيًا[1]، وقد توافرت هذه الشروط في علي رضي الله عنه، فهل بيعته منعقدة أم لا؟ فإن كانت منعقدة -ولا شك في ذلك- وقد بايعه المهاجرون والأنصار؛ أهل الحل والعقد، وخصومه يقرون له بذلك، فقول معاوية السابق يدل عليه بأن «الإمام إذا لم يخل عن صفات الأئمة، فرام العاقدون له عقد الإمامة أن يخلعوه، لم يجدوا إلىٰ ذلك سبيلًا باتفاق الأئمة، فإن عقد الإمام لازم، لا اختيار في حله من غير سبب يقتضيه، ولا تنتظم الإمامة ولا تفيد الغرض المقصود منها إلا مع القطع بلزومها، ولو تخير الرعايا في خلع إمام الخلق علىٰ حكم الإيثار والاختيار لما استتب للإمام طاعة ولما استمرت له قدرة واستطاعة ولما صح لمنصب الإمام معنىٰ»[2].

وإذن فليس الأمر بهذه الصورة التي تحكيها الروايات؛ كل من لم يرض بإمامه خلعه، فعقد الإمامة لا يحله إلا من عقده، وهم أهل الحل والعقد، وبشرط إخلال الإمام بشروط الإمامة، وهل علي رضي الله عنه فعل ذلك واتفق أهل الحل والعقد علىٰ عزله عن الخلافة وهو الخليفة الراشد حتىٰ يقال إن الحكمين اتفقا علىٰ ذلك، فما ظهر منه قط إلىٰ أن مات رضي الله عنه، شيء يوجب نقض بيعته، وما ظهر منه قط إلا العدل، والجد، والبر والتقوىٰ والخير[3].

٦- إن الزمان الذي قام فيه التحكيم زمان فتنة، وحالة المسلمين مضطربة مع وجود خليفة لهم، فكيف تنتظم حالتهم مع عزل الخليفة، لاشك أن الأحوال

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردي، الأحكام السلطانية لأبي يعلي، ص (٢٠)، غياث الأمم، ص (٧٩)، وما بعدها.

(٢) غياث الأمم، ص (١٢٨)، مرويات أبي مخنف، ص (٤١٠).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٢٣٨).

ستزداد سوءًا، والصحابة الكرام أحذق وأعقل من أن يقدموا علىٰ هذا؟ ولهذا يتضح بطلان هذا الرأي عقلًا ونقلًا[١].

٧- إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حصر الخلافة في أهل الشورىٰ: وهم الستة وقد رضي المهاجرون والأنصار بذلك، فكان ذلك إذنًا في أن الخلافة لا تعدو هؤلاء إلىٰ غيرهم ما بقىٰ منهم واحد ولم يبق منهم في زمان التحكيم إلا سعد بن أبي وقاص، وقد اعتزل الأمر ورغب عن الولاية، والإمارة، وعلي بن أبي طالب القائم بأمر الخلافة وهو أفضل الستة بعد عثمان فكيف يتخطىٰ بالأمر إلىٰ غيره.

٨- أوضحت الروايات أن أهل الشام بايعوا معاوية بعد التحكيم: والسؤال: ما المسوغ الذي جعل أهل الشام يبايعون معاوية؟ إن كان من أجل التحكيم، فالحكمان لم يتفقا ولم يكن ثمة مبرر آخر حتىٰ ينسب عنهم ذلك، مع أن ابن عساكر نقل بسند رجاله ثقات عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي، أعلم الناس بأمر الشام[٢] أنه قال: كان علي بالعراق يدعىٰ أمير المؤمنين وكان معاوية بالشام يدعىٰ الأمير، فلما مات علي دعي معاوية بالشام أمير المؤمنين[٣]، فهذا النص يبين أن معاوية لم يبايع بالخلافة إلا بعد وفاة علي، وإلىٰ هذا ذهب الطبري، فقد قال في آخر حوادث سنة أربعين: وفي هذه السنة بويع لمعاوية بالخلافة بإيلياء[٤]، وعلق علىٰ هذا ابن كثير بقوله: يعني لما مات علي قام أهل الشام فبايعوا معاوية علىٰ إمرة المؤمنين لأنه لم يبق له عندهم منازع[٥]، وكان أهل الشام يعلمون بأن معاوية ليس كفئًا لعلي بالخلافة ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان استخلاف

(١) مرويات أبي مخنف، ص (٤١١).
(٢) تهذيب التهذيب (٤/ ٦٠).
(٣) تاريخ الطبري (٦/ ٧٦).
(٤) البداية والنهاية (٨/ ١٦).
(٥) الفتاوىٰ (٣٥/ ٧٣).

علي رضي الله عنه، فإن فضل علي وسابقته وعلمه، ودينه، وشجاعته، وسائر فضائله: كانت عندهم ظاهرة ومعروفة، كفضل إخوانه، أبي بكر وعمر، وعثمان وغيرهم رضي الله عنهم[(١)]، وإضافة إلىٰ ذلك فإن النصوص تمنع من مبايعة خليفة مع وجود الأول، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**»[(٢)]، والنصوص في هذا المعنىٰ كثيرة[(٣)]. ومن المحال أن يطبق الصحابة علىٰ مخالفة ذلك.

٩- أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر قال: دخلت علىٰ حفصة قلت: قد كان من أمر الناس ما ترين فلم يجعل لي من الأمر شيء فقالت: الحق فإنهم ينتظرونك وأخشىٰ أن يكون احتباسك عنهم فرقة، فلم تدعه حتىٰ ذهب، فلما تفرق الناس خطب معاوية قال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه، فلنحن الحق به منه ومن أبيه، قال حبيب بن مسلمة: فهلا أجبته؟ قال عبد الله: فحللت حبوتي وهممت أن أقول أحق بهذا منك من قاتلك وأباك علىٰ الإسلام فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم ويحمل عني غير ذلك، فذكرت ما أعد الله في الجنان. قال حبيب: حفظت وعصمت[(٤)]، هذا الحديث قد يفهم منه مباعية معاوية بالخلافة، وليس فيه تصريح بذلك، وقد قال بعض العلماء: إن هذا الحديث كان في الاجتماع الذي صالح فيه الحسن بن علي رضي الله عنه معاوية رضي الله عنه.

وقال ابن الجوزي: إن هذه الخطبة كانت في زمن معاوية لما أراد أن يجعل ابنه يزيد ولي عهده، ويرىٰ ابن حجر أنما في التحكيم[(٥)]: دلالة النص علىٰ

---

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٤٨٠).
(٢) سنن البيهقي (٨/ ١٤٤).
(٣) مرويات أبي مخنف، ص (٤١٢).
(٤) البخاري (٥/ ٤٨).
(٥) فتح الباري (٧/ ٤٦٦).

القولين الأولين أقوىٰ. فقوله: فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم.. دليل علىٰ اجتماع الكلمة علىٰ معاوية، وأيام التحكيم أيام فرقة واختلاف لا أيام جمع وائتلاف.

١٠- حقيقة قرار التحكيم: ليس من شك في أن أمر الخلاف الذي رأىٰ الحكمان رده إلىٰ الأمة وإلىٰ أهل الشورىٰ ليس إلا أمر الخلاف بين علي ومعاوية حول قتلة عثمان، ولم يكن معاوية مدعيًا للخلافة، ولا منكرًا حق علي فيها كما تقرر سابقًا، وإنما كان ممتنعًا عن بيعته، وعن تنفيذ أوامره في الشام حيث كان متغلبًا عليها بحكم الواقع لا بحكم القانون، مستفيدًا من طاعة الناس له بعد أن بقىٰ واليًا فيها زهاء عشرين سنة (٤)، وقد قال ابن دحية الكلبي في كتابه «أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين»: قال أبو بكر محمد الطيب الأشعري -الباقلاني- في مناقب الأئمة: فما اتفق الحكمان قط علىٰ خلعه -علي بن أبي طالب- وعلىٰ أنهما لو اتفقا علىٰ خلعه لم ينخلع حتىٰ يكون الكتاب والسنة المجتمع عليهما يوجبان خلعه، أو أحد منهما علىٰ ما شرطا في الموافقة بينهما، أو إلىٰ أن يبينا ما يوجب خلعه من الكتاب والسنة، ونص كتاب علي عَلَيْهِ السَّلَامُ اشترط علىٰ الحكمين أن يحكما بما في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ من فاتحته إلىٰ خاتمته لا يجاوزان ذلك ولا يحيدان عنه، ولا يميلان إلىٰ هوىٰ ولا إدهان، وأخذ عليهما أغلظ العهود والمواثيق، وإن هما جاوزا بالحكم كتاب الله فلا حكم لهما.. والكتاب والسنة يثبتان إمامته، ويعظمانه ويثنيان عليه، ويشهدان بصدقه وعدالته، وإمامته وسابقته في الدين، وعظيم جهاده في جهاد المشركين وقرابته من سيد المرسلين، وما خص به من القدم في العلم والمعرفة بالحكم، ووفور الحلم، وأنه حقيق بالإمامة، وأهل لحمل أعباء الخلافة[(١)].

١١- مكان انعقاد المؤتمر: كان الموعد المحدد لاجتماع الحكمين -كما

(١) أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين، ص (١٧٧).

جاء في الوثيقة- في رمضان في عام ٣٧ هـ، إذا لم تحدث عوائق، في موضع وسط بين العراق والشام وهذا الموضع المختار هو دومة الجندل، في روايات موثقة، وأذرح في روايات أخرىٰ دونها في الإتقان، ولعل لقرب المكانين من بعضهما أثرًا في اختلاف الروايات، إذ يقول خليفة ابن خياط[(١)]: ويقال بأذرح وهي من دومة الجندل قريب، وقد تم الاجتماع في الموعد المحدد بدون عوائق[(٢)].

إن المكان الذي اجتمع فيه الحكمان هو دومة الجندل، وهذا بخلاف ما جزم به ياقوت الحموي من أن التحكيم حدث في أذرح، واستدل علىٰ ذلك ببعض روايات لم يبينها وبالأشعار، وبخاصة بشعر ذي الرمة في مدح بلال بن أبي بردة وهو قوله:

أبوك تلافى الدين والناس بعدما ... تشاءوا وبيت الدين منقلع الكسر

فشد إصار الدين أيام أذرح ... ورد حروبًا قد لقحن إلى عقر[(٣)]

١٢- هل حضر سعد بن أبي وقاص اجتماع الحكمين؟ اجتمع الحكمان في موعدهما المحدد، ومع كل واحد منهما بضع مئات يمثلون وفدين، وفد عن أهل العراق، والآخر يمثل أهل الشام، وطلب الحكمان من عدد من أعيان قريش وفضلائهم الحضور لمشاورتهم والاستئناس برأيهم، ولم يحضر الاجتماع عدد من كبار الصحابة كانوا قد اعتزلوا القتال منذ بدايته وأفضل هؤلاء، سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، فإنه لم يحضر التحكيم ولا أراد ذلك ولا همَّ به[(٤)]. فعن عامر بن سعد أن أخاه عمر انطلق إلىٰ سعد في غنم له خارجًا من المدينة فلما

---

(١) تاريخ خليفة، ص (١٩١،١٩٢).

(٢) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (٢٦٧).

(٣) ديوان ذي الرمة، ص (٣٦١،٣٦٢).

(٤) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (٢٧٢).

أتاه قال: يا أبة، أرضيت أن تكون أعرابيًا في غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة؟ فضرب سعد صدر عمر وقال: اسكت فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يحب العبد التقي النقي الخفي**»(١).

خامسًا: موقف أهل السنة من تلك الحروب:

إن موقف أهل السنة والجماعة من الحرب التي وقعت بين الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هو الإمساك عما شجر بينهم إلا فيما يليق بهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لما يسببه الخوض في ذلك من توليد العداوة والحقد والبغض لأحد الطرفين وقالوا: إنه يجب علىٰ كل مسلم أن يحب الجميع ويرضىٰ عنهم ويترحم عليهم، ويحفظ لهم فضائلهم، ويعترف لهم بسوابقهم، وينشر مناقبهم، وأن الذي حصل بينهم إنما كان عن اجتهاد، والجميع مثابون في حالتي الصواب والخطأ، غير أن ثواب المصيب ضعف ثواب المخطئ في اجتهاده، وأن القاتل والمقتول من الصحابة في الجنة، ولم يجوِّز أهل السنة والجماعة الخوض فيما شجر بينهم، وقبل أن أذكر طائفة من أقوال أهل السنة التي تبين موقفهم فيما شجر بين الصحابة أذكر بعض النصوص التي فيها الإشارة إلىٰ ما وقع بين الصحابة من الاقتتال بما وصفوا به فيها وتلك النصوص هي(٢):

١- قال تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات:٩].

ففي هذه الآية أمر الله تعالىٰ بالإصلاح بين المؤمنين إذا ما جرىٰ بينهم قتال لأنهم إخوة، وهذا الاقتتال لا يخرجهم عن وصف الإيمان حيث سماهم الله عَزَّ وَجَلَّ

(١) المسند (١/ ١٦٨).

(٢) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٢/ ٧٢٧) تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان من الظلم والفسق في مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان، ص (٤١).

مؤمنين وأمر بالإصلاح بينهم وإذا كان حصل اقتتال بين عموم المؤمنين، ولم يخرجهم ذلك من الإيمان، فأصحاب رسول الله ﷺ الذين اقتتلوا في موقعة الجمل وبعدها أول من يدخل في اسم الإيمان الذي ذكر في هذه الآية، فهم لا يزالون عند ربهم مؤمنين إيمانًا حقيقيًا ولم يؤثر ما حصل بينهم من شجار في إيمانهم بحال لأنه كان عن اجتهاد[(١)].

٢- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلتهم أولىٰ الطائفتين بالحق**»[(٢)]، والفرقة المشار إليها في الحديث هي ما كان من الاختلاف بين علي ومعاوية، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد وصف ﷺ الطائفتين معًا بأنهما مسلمتان، وأنهما متعلقتان بالحق، والحديث علم من أعلام النبوة: إذ وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين: أهل الشام وأهل العراق، لا كما يزعمه فرقة الرافضة والجهلة الطغام من تكفيرهم أهل الشام، وفيه أن أصحاب علي أدنىٰ الطائفتين إلىٰ الحق، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة أن عليًا هو المصيب وإن كان معاوية مجتهدًا، وهو مأجور، إن شاء الله، ولكن عليًا هو الإمام فله أجران كما ثبت في صحيح البخاري: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر»[(٣)].

٣- وعن أبي بكرة قال: بينما النبي ﷺ يخطب جاء الحسن فقال النبي ﷺ: «ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[(٤)] ففي هذا الحديث شهادة النبي ﷺ بإسلام الطائفتين أهل العراق وأهل الشام، والحديث فيه رد واضح علىٰ الخوارج الذين كفروا عليًا ومن معه، ومعاوية ومن معه بما

---

(١) العواصم من القواصم، ص (١٦٩،١٧٠)، أحكام القرآن (٤/ ١٧١٧).
(٢) مسلم (٧٤٥).
(٣) فتح الباري (١٣/ ٣١٨).
(٤) البخاري، كتاب الفتن، رقم (٧١٠٩).

تضمنه الحديث من الشهادة للجميع بالإسلام، ولذا كان يقول سفيان بن عيينة: قوله فئتين من المسلمين يعجبنا جدًا، قال البيهقي: وإنما أعجبهم لأن النبي ﷺ سماهم جميعًا مسلمين وهذا خبر من رسول الله بما كان من الحسن بن علي بعد وفاة علىٰ في تسليمه الأمر إلىٰ معاوية بن أبي سفيان[١].

فهذه الأحاديث المتقدم ذكرها فيها الإشارة إلىٰ أهل العراق الذين كانوا مع علي وإلىٰ أهل الشام الذين كانوا مع معاوية بن أبي سفيان وقد وصفهم النبي ﷺ بأنهم من أمته[٢]، كما وصفهم بأنهم جميعًا متعلقون بالحق لم يخرجوا عنه كما شهد لهم ﷺ بأنهم مستمرون علىٰ الإيمان، ولم يخرجوا عنه بسبب القتال الذي حصل بينهم، وقد دخلوا تحت عموم قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات:٩]. وقد قدمنا أن مدلول الآية ينتظمهم، رضي الله عنهم أجمعين، فلم يكفروا ولم يفسقوا بقتالهم بل هم مجتهدون متأولون، وقد بين الحكم في قتالهم ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما مر معنا. فالواجب علىٰ المسلم أن يسلك في اعتقاده فيما حصل بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم، مسلك أهل السنة والجماعة، وهو الإمساك عما حصل بينهم رضي الله عنهم، ولا يخوض فيه إلا بما هو لائق بمقامهم، وكتب أهل السنة مليئة ببيان عقيدتهم الصافية النقية في حق أولئك الصفوة المختارة، وقد حددوا موقفهم من تلك الحرب التي وقعت بينهم في أقوالهم الحسنة التي منها[٣]:

١- سئل عمر بن عبد العزيز رحمه الله، عن القتال الذي حصل بين الصحابة فقال: تلك دماء طهر الله يدي منها أفلا أطهر بها لساني، مثل أصحاب رسول الله

---

(١) الاعتقاد للبيهقي، ص (١٩٨)، فتح الباري (١٣/ ٦٦).
(٢) في صحيح مسلم (٢/ ٧٤٦) تكون في أمتي فرقتان.
(٣) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٧٤٦).

ﷺ مثل العيون، ودواء العيون ترك مسها[(١)]، قال البيهقي معلقًا علىٰ قول عمر ابن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا حسن جميل لأن سكوت الرجل عما لا يعنيه هو الصواب[(٢)].

٢- سئل الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ عن قتال الصحابة فيما بينهم فقال: قتال شهده أصحاب محمد ﷺ وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا[(٣)]. ومعنىٰ قول الحسن هذا: أن الصحابة كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا، وما علينا إلا أن نتبعهم فيما اجتمعوا عليه، ونقف عند ما اختلفوا فيه ولا نبتدع رأيًا منا، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله عَزَّوَجَلَّ إذ كانوا غير متهمين في الدين[(٤)].

٣- سئل جعفر بن محمد الصادق عما وقع بين الصحابة فأجاب بقوله: أقول ما قال الله: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾[(٥)] [طه:٥٢]. قال الإمام أحمد، رَحِمَهُ اللَّهُ، بعد أن قيل له: ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية؟ قال: ما أقول فيهم إلىٰ الحسنىٰ[(٦)]، وعن إبراهيم بن آرز الفقيه قال: حضرت أحمد بن حنبل وسأله رجل عما جرىٰ بين علي ومعاوية؟ فأعرض عنه فقيل له: يا أبا عبد الله هو رجل من بني هاشم فأقبل عليه فقال: اقرأ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٤١﴾ [البقرة:١٤١].

٤- وقال ابن أبي زيد القيرواني في صدد عرضه لما يجب أن يعتقده المسلم في أصحاب رسول الله ﷺ وما ينبغي أن يذكروا به فقال: وألا يذكر أحد من

(١) الإنصاف للباقلاني، ص (٦٩)، الطبقات (٥/ ٣٩٤).
(٢) مناقب الشافعي، ص (١٣٦).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٣٣٢).
(٤) الإنصاف للباقلاني، ص (٦).
(٥) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي، ص (١٦٤).
(٦) رسالته المشهورة مع شرحها الثمر الداني، ص (٢٣).

صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر والإمساك عما شجر بينهم وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب.

٥- وقال أبو عبد الله بن بطة أثناء عرضه لعقيدة أهل السنة والعقيدة: ومن بعد ذلك نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، فقد شهدوا المشاهد معه وسبقوا الناس بالفضل، فقد غفر الله لهم وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم، وفرض ذلك علىٰ لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم، وأنهم سيقتتلون، وإنما فضلوا علىٰ سائر الخلق لأن الخطأ والعمد وضع عنهم، وكل ما شجر بينهم مغفور لهم[1].

٦- قال أبو بكر بن الطيب الباقلاني: ويجب أن يعلم أن ما جرىٰ بين أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم، من المشاجرة نكف عنه ونترحم علىٰ الجميع ونثني عليهم ونسأل الله تعالىٰ لهم الرضوان والأمان والفوز والجنان، ونعتقد أن عليا عليه السلام أصاب فيما فعل وله أجران، وأن الصحابة رضي الله عنهم إن ما صدر منهم كان باجتهاد فلهم الأجر ولا يفسقون ولا يبدعون، والدليل عليه قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح:١٨]، وقوله ﷺ: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**».

فإذا كان الحاكم في وقتنا له أجران علىٰ اجتهاده فما ظنك باجتهاد من رضي الله عنهم ورضوا عنه؟! ويدل علىٰ صحة هذا القول: قوله ﷺ للحسن رضي الله عنه: «إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[2]، فأثبت العظمة لكل واحدة من الطائفتين وحكم لهما بصحة الإسلام، وقد وعد الله هؤلاء القوم بنزع الغل من صدورهم بقوله تعالىٰ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا

---

(١) الشرح والإبانة علىٰ أصول السنة والديانة، ص (٢٦٨).

(٢) البخاري، الفتن، رقم (٧١٠٩).

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر:٤٧]. إلىٰ أن قال: ويجب الكف عما شجر بينهم والسكوت عنه[١].

٧- وقال ابن تيمية: في صدد عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة فيما شجر بين الصحابة: ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون[٢].

٨- وقال ابن كثير: أما ما شجر بينهم بعده عليه الصلاة والسلام: فمنه ما وقع من غير قصد كيوم الجمل، ومنه ما كان عن اجتهاد كيوم صفين، والاجتهاد يخطئ ولكن صاحبه معذور وإن أخطأ ومأجور أيضًا: وأما المصيب فله أجران[٣].

٩- وقال ابن حجر: واتفق أهل السنة عليوجوب منع الطعن علىٰ أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف الحق منهم لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجرًا واحدًا، وأن المصيب يؤجر أجرين[٤].

فأهل السنة مجمعون علىٰ وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بعد قتل عثمان والترحم عليهم وحفظ فضائل الصحابة والاعتراف لهم بسوابقهم ونشر محاسنهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم[٥].

▪ موقف أمير المؤمنين علي من الخوارج والشيعة:

الخوارج:

---

(١) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص (٦٧ - ٦٩).
(٢) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص (٦٧ - ٦٩).
(٣) الباعث الحثيث، ص (١٨٢).
(٤) فتح الباري (١٣/ ٣٤).
(٥) عقيدة أهل السنة (٢/ ٧٤٠).

أولًا: نشأة الخوارج والتعريف بهم:

عرَّف أهل العلم الخوارج بتعريفات منها ما بيَّنه أبو الحسن الأشعري، أن اسم الخوارج يقع عليتلك الطائفة التي خرجت علىٰ رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبيَّن أن خروجهم علىٰ عليّ هو العلة في تسميتهم بهذا الاسم، حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: والسبب الذي سموا له خوارج خروجهم علىٰ عليّ لما حكم[1].

وأما ابن حزم: فقد بيَّن أن اسم الخارجي يتعدىٰ إليكل من أشبه أولئك النفر الذين خرجوا علىٰ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وشاركهم في معتقدهم، فقد قال: ومن وافق الخوارج من إنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر والقول بالخروج علىٰ أئمة الجور، وأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار، وأن الإمامة جائزة في غير قريش فهو خارجي وإن خالفهم، فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون وخالفهم فيما ذكرنا فليس خارجيًا[2].

وأما الشهرستاني: فقد عرف الخوارج بتعريف عام اعتبر فيه الخروج علىٰ الإمام الذي اجتمعت عليه الكلمة وعلىٰ إمامته الشرعية خروجًا في أي زمان كان، حيث قال في تعريفه للخوارج: كل من خرج علىٰ الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمىٰ خارجيًا سواء كان الخروج في أيام الصحابة علىٰ الأئمة الراشدين أم كان بعدهم علىٰ التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان.

وقال ابن حجر معرفًا لهم: والخوارج هم الذين أنكروا علىٰ عليّ التحكيم وتبرؤوا منه ومن عثمان وذريته وقاتلوهم، فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاة[3]، وقال في تعريف آخر: أما الخوارج فهم جماعة خارجة، أي: طائفة، وهم قوم

---

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ٢٠٧).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ١١٣).

(٣) هدي الساري في مقدمة فتح الباري، ص (٤٥٩).

مبتدعون سموا بذلك لخروجهم علىٰ الدين وخروجهم علىٰ خيار المسلمين[(١)].

وأما أبو الحسن الملطي: فيرىٰ أن أول الخوارج المحكمة، الذين ينادون لا حكم إلا لله ويقولون: عليٌّ كفر، يجعل الحكم إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري ولا حكم إلا لله. فرقة الخوارج، سميت خوارج لخروجهم علىٰ عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الحكمين، حين كرهوا التحكيم، وقالوا: لا حكم إلا لله[(٢)].

وأما الدكتور ناصر العقل فيقول: هم الذين يُكَفِّرون بالمعاصي، ويخرجون علىٰ أئمة الجور[(٣)]. فالخوارج هم أولئك النفر الذين خرجوا علىٰ عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد قبوله التحكيم في موقعة صفين، ولهم ألقاب أخرىٰ عرفوا بها غير لقب الخوارج، ومن تلك الألقاب الحرورية[(٤)]، والشراة[(٥)]، والمارقة، والمحكمة[(٦)]، وهم يرضون بهذه الألقاب كلها إلا بالمارقة، فإنهم ينكرونه أن يكونوا مارقين من الدين كما يمرق السهم من الرمية[(٧)].

ومن أهل العلم من يرجع بداية نشأة الخوارج إلىٰ زمن الرسول ﷺ، ويجعل أول الخوارج ذا الخويصرة الذي اعترض علىٰ الرسول ﷺ في قسمة ذهب كان قد بعث به عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من اليمن في جلد مقروظ، فقد جاء عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: بعث علي بن أبي طالب إلىٰ رسول الله ﷺ من

(١) فتح الباري (٢/ ٢٨٣).
(٢) التنبيه والرد علىٰ أهل الأهواء والبدع، ص (٤٧).
(٣) الخوارج، ناصر العقل، ص (٢٨).
(٤) سموا بهذا الاسم لنزولهم بحروراء في أول أمرهم.
(٥) **سموا شراة لقولهم**: شرينا أنفسنا في طاعة الله، **أي**: بعناها بالجنة.
(٦) سموا بهذا الاسم لإنكارهم الحكمين، **وقولهم**: لا حكم إلا لله.
(٧) مقالات الإسلاميين (١/ ٢٠٧).

اليمن بذهبة في أديم مقرظ[١]، لم تحصل من ترابها[٢]، قال: فقسمها بين أربعة نفر، بين عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة بن علاثة، وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساء»، قال: فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة[٣]، كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار، فقال: يا رسول الله اتق الله، فقال: «ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله» قال: ثم ولىٰ الرجل، فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟، فقال: «لا، لعله أن يكون يصلي»، قال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله ﷺ: «إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس[٤]، ولا أشق بطونهم»، قال: ثم نظر إليه وهو مقفٍ[٥]، فقال: «إنه يخرج من ضئضئ[٦] هذا قوم يتلون كتاب الله رطبًا، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»، قال: أظنه قال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود»[٧].

قال ابن الجوزي عند هذا الحديث: أول الخوارج وأقبحهم حالة ذو الخويصرة التميمي، وفي لفظ: أنه قال له: اعدل، فقال: «ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل»[٨]، فهذا أول خارجي خرج في الإسلام، وآفته أنه رضي برأي نفسه

---

(١) **أديم مقرظ**: في جلد مدبوغ بالقرظ.

(٢) **أي**: لم تميز ولم تصف من تراب معدنها.

(٣) **ناشز الجبهة**: مرتفع الجبهة.

(٤) **أي**: أفتش وأكشف، **ومعناه**: أني أمرت بالحكم بالظاهر والله يتولىٰ السرائر.

(٥) **مقف**: أي مولٍّ.

(٦) **ضئضئ**: هو بضادين معجمتين مكسورتين وآخره مهموز وهو أصل الشيء.

(٧) أخرجه البخاري (٢/ ٢٣٢)، ومسلم (٢/ ٧٤٢).

(٨) أخرجه مسلم (٢/ ٧٤٠).

ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله ﷺ، وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1].

وممن أشار بأن أول الخوارج ذو الخويصرة: أبو محمد ابن حزم[2]، وكذا الشهرستاني في كتابه الملل والنحل[3]، ومن العلماء من يرىٰ بأن نشأة الخوارج بدأت بالخروج علىٰ عثمان رضي الله عنه بإحداثهم الفتنة التي أدت إلىٰ قتله رضي الله عنه ظلمًا وعدوانًا، وسميت تلك الفتنة التي أحدثوها بالفتنة الأولىٰ[4]، وقال شارح الطحاوية: الخوارج والشيعة حدثوا في الفتنة الأولىٰ[5]، وقد أطلق ابن كثير علىٰ الغوغاء الذين خرجوا علىٰ عثمان وقتلوه اسم الخوارج، حيث قال في صدد ذكره لهم بعد قتلهم عثمان رضي الله عنه: وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جدًا[6].

الرأي الراجح في بداية نشأة الخوارج: وبالرغم من الارتباط القوي بين ذي الخويصرة والغوغاء الذين خرجوا علىٰ عثمان وبين الخوارج الذين خرجوا علىٰ عليّ بسبب التحكيم، فإن مصطلح الخوارج بالمعنىٰ الدقيق لهذه الكلمة لا ينطبق إلا علىٰ الخارجين بسبب التحكيم، بحكم كونهم جماعة في شكل طائفة لها اتجاهها السياسي وآراؤها الخاصة، أحدثت أثرًا فكريًا عَقَديًا واضحًا، بعكس ما سبقها من حالات[7].

ثانيًا: ذكر الأحاديث التي تتضمن ذم الخوارج:

---

(١) تلبيس إبليس، ص (٩٠).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٥٧).

(٣) الملل والنحل (١/ ١١٦).

(٤) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٣/ ١١٤١).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ص (٥٦٣).

(٦) البداية والنهاية (٧/ ٢٠٢).

(٧) فرق معاصرة للعواجي (١/ ٦٧)، خلافة علي، عبد الحميد ص (٢٩٧).

وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ في ذم الخوارج المارقة، وصفوا فيها بأوصاف ذميمة شنيعة جعلتهم في أخبث المنازل، فمن الأحاديث التي وردت الإشارة فيها إلا ذمهم، ما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسمًا، إذ أتاه ذو الخويصرة هو رجل من تميم، فقال: يا رسول الله، اعدل، فقال: «ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل»، فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: «دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم[١]، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية[٢] ينظر إلىٰ نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلىٰ رصافه[٣]، فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلىٰ نفسه، وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء، وقد سبق الفرث والدم[٤]، آيتهم رجل أسود إحدىٰ عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة[٥] تدردر[٦] ويخرجون علىٰ حين فرقة من الناس»، قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به حتىٰ نظر إليه علىٰ نعت النبي ﷺ الذي نعته[٧].

وروىٰ الشيخان أيضًا من حديث أبي سلمة وعطاء بن يسار أنهما أتيا أبا سعيد الخدري فسألاه عن الحرورية هل سمعت النبي ﷺ يقول: «**يخرج في**

---

(١) **تراقيهم**: جمع ترقوة، وهي العظم بين ثغرة النحر والعاتق، وهما ترقوتان من الجانبين.

(٢) **الرمية**: الصيد الذي ترميه فتقصده وينفذ فيه سهمك، **وقيل**: كل دابة مرمية.

(٣) **رصافة**: **يقال**: رصف السهم إذا شده بالرصاف، وهو عقب يلوي علىٰ مدخل النصل فيه.

(٤) **يعني**: مر مرًا سريعًا في الرمية، لم يعلق به شيء من الفرث والدم.

(٥) **البضعة**: القطعة من اللحم.

(٦) **تدردر**: **أي**: ترجرج تجيء وتذهب.

(٧) مسلم (٢/ ٧٤٣، ٧٤٤).

هذه الأمة - ولم يقل منها - **قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، فيقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم** - أو حناجرهم - **يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فينظر الرامي إلىٰ سهمه إلىٰ نصله، إلىٰ رصافه فيتمارىٰ في الفوقة**[(١)] **هل علقت بها من الدم شيء**»[(٢)]، وروىٰ البخاري من حديث أسيد بن عمرو قال: قلت لسهل بن حنيف: هل سمعت النبي ﷺ يقول في الخوارج شيئًا؟ قال سمعته يقول: وأهوىٰ بيده قبل العراق: «يخرج منه قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية» ففي هذه الأحاديث الثلاثة ذم واضح لفرقة الخوارج، فقد وصفهم ﷺ بأنهم طائفة مارقة، وأنهم يتشددون في الدين في غير موضع التشدد، بل يمرقون منه بحيث يدخلون فيه ثم يخرجون منه سريعًا لم يتمسكوا منه بشيء، كما اشتمل الحديث الأول في هذه الأحاديث الثلاثة أنهم يقاتلون أهل الحق، وأن أهل الحق يقتلونهم، وأن فيهم رجلًا صفة يده كذا وكذا، وكل هذا وقع وحصل كما أخبر به ﷺ، وفي قوله ﷺ: «لا يجاوز تراقيهم» احتمالان:

١- يحتمل أنه لكونه لا تفقهه قلوبهم، ويحملونه علىٰ غير المراد به.

٢- يحتمل أن يكون المراد أن تلاوتهم لا ترتفع إلىٰ الله[(٣)].

ومن صفاتهم الذميمة التي ذمهم بها الرسول ﷺ: أنهم ليس لهم من الإيمان إلا مجرد النطق به، وأنهم أصحاب عقول رديئة وضعيفة، وأنهم عندما يقرؤون القرآن يظنون لشدة ما بلغوا إليه من سوء الفهم أنه لهم وهو عليهم، فقد روىٰ البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ حديثًا، فوالله لإن أخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه، وإذا

---

(١) **الفوقة**: هي الحجر الذي يجعل فيه الوتر.

(٢) مسلم (٢/ ٧٤٣،٧٤٤).

(٣) فتح الباري (٦/ ٦١٨) ما قاله القاضي عياض في شرح النووي (٧/ ١٥٩).

حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»[(١)].

وفي هذين الحديثين ذم الخوارج بأنهم ليس لهم من الإيمان إلا مجرد النطق، فقد دل الحديث الأول علىٰ أنهم يؤمنون بالنطق لا بالقلب[(٢)]. وأما هذا الحديث الذي هو حديث زيد بن وهب الجهني عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد أطلق الإيمان فيه علىٰ الصلاة، وكلا الحديثين دل علىٰ أن إيمانهم محصور في نطقهم وأنه لا يتجاوز حناجرهم، ولا تراقيهم، وهذا أبشع الذم وأقبحه لما وصف به[(٣)].

ومن الصفات القبيحة التي ذمهم بها ﷺ: أنهم يمرقون من الدين لا يوفقون للعودة إليه، وأنهم شر الخلق والخليقة، فقد روىٰ مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «إن بعدي من أمتي - أو سيكون بعدي من أمتي- قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلاقيهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة»[(٤)]. وروىٰ من حديث أبي سعيد أن النبي ﷺ ذكر قومًا يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحالق قال: «هم شر الخلق - أو من شر الخلق- يقتلهم أدنىٰ الطائفتين إلىٰ الحق».

ومن صفاتهم التي ذموا بها علىٰ لسان رسول الله ﷺ: أنهم من أبغض الخلق إلىٰ الله، فقد جاء في صحيح مسلم من حديث عبيد الله بن أبي رافع مولىٰ

---

(١) البخاري (٢/ ٢٨١).

(٢) فتح الباري (٢/ ٢٨١).

(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٣/ ١١٨٣).

(٤) مسلم (٢/ ٧٥٠).

رسول الله ﷺ أن الحرورية لما خرجت وهو مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه قالوا: لا حكم إلا لله، قال علي رضي الله عنه: كلمة حق أريد بها باطل(١)، إن رسول الله ﷺ وصف ناسًا إني لأعرف صفتهم وهؤلاء يقولون الحق بألسنتهم لا يجوز هذا منهم -وأشار إلىٰ حلقه- من أبغض خلق الله إليه منهم أسود إحدىٰ يديه ظبي شاه(٢)، أو حلمة ثدي، فلما قتلهم علي رضي الله عنه، قال: انظروا فلم يجدوا شيئًا، فقال: ارجعوا فوالله ما كَذبت ولا كُذبت مرتين أو ثلاثًا، ثم وجدوه في خربة فأتوا به حتىٰ وضعوه بين يديه، قال عبيد الله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم وقول علي فيهم.(٣)

ومن صفاتهم القبيحة التي كانت ذمًا لهم علىٰ لسان رسول الله ﷺ: أنهم حرموا من معرفة الحق والاهتداء إليه(٤)ض، فقد روىٰ مسلم في صحيحه من حديث أسيد بن عمرو عن سهل بن حنيف عن النبي ﷺ قال: «يتيه قوم قبل المشرق محلقة رؤوسهم»(٥)، قال النووي: قوله ﷺ: «يتيه قوم قبل المشرق»، أي: يذهبون عن الصواب، وعن طريق الحق، قال: تاه إذا ذهب ولم يهتد لطريق الحق والله أعلم(٦).

ومن الصفات المذمومة التي تلبسوا بها وأخبر النبي ﷺ أنها واقعة فيهم: أنهم يتدينون بقتل أهل الإسلام وترك عبدة الأوثان والصلبان(٧)، فقد روىٰ

(١) **معناه**: أن الكلمة أصلها صدق، قال تعالىٰ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف:١٤٠]، لكنهم أرادوا بها الإنكار علىٰ علي في تحكيمه، شرح النووي (٧/ ١٧٣،١٧٤).

(٢) **المراد**: ضرع الشاة.

(٣) مسلم (٢/ ٧٤٩).

(٤) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٣/ ١١٨٤).

(٥) مسلم (٢/ ٧٥٠).

(٦) شرح النووي (٧/ ١٧٥).

(٧) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٣/ ١١٨٤).

الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري قال: بعث علي ﵁ وهو باليمن بذهبة في تربتها إلىٰ رسول الله ﷺ، فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة نفر... فجاء رجل كث اللحية مشرف الوجنتين[(١)]، ناتئ الجبين، محلوق الرأس، فقال: اتق الله يا محمد، فقال رسول الله ﷺ: «فمن يطع الله إن عصيته، أيأمنني علىٰ أهل الأرض ولا تأمنوني»، قال: ثم أدبر الرجل، فاستأذن رجل من القوم في قتله يرون أنه خالد بن الوليد ﵁، فقال رسول الله ﷺ: «إن من ضئضئ هذا قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»[(٢)].

وفي هذا معجزة بارهة للرسول ﷺ حيث وقع منهم ما أخبر به ﷺ، فإنهم كانوا يسلون سيوفهم علىٰ أهل الإسلام بالقتل، وكانوا يغمدونها عن الكفار من اليهود والنصارىٰ[(٣)].

ومن الصفات القبيحة التي كانت ذمًا وعارًا مشينًا للخوارج: أن الرسول ﷺ حرض علىٰ قتلهم إن هم ظهروا، وأخبر ﷺ أنه لو أدركهم لأبادهم بالقتل إبادة عاد وثمود، وأخبر ﷺ بأن من قتلهم له أجر عند الله تعالىٰ يوم القيامة، وقد شرف الله رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب بمقاتلتهم وقتلهم، إذ أن ظهورهم كان في زمنه ﵁ وأرضاه علىٰ وفق ما وصفهم به النبي ﷺ من العلامات الموجودة فيهم، فقد خرج ﵁ إلىٰ الخوارج بالجيش الذي كان هيأه للخروج إلىٰ الشام، فأوقع بهم بالنهروان، ولم ينج منهم إلا دون العشرة، كما سيأتي بيانه، ولم يقاتلهم حتىٰ سفكوا الدم الحرام، وأغاروا علىٰ أموال

---

(١) **مشرف الوجنتين**: أي غليظهما، **والوجنة**: ما ارتفع من لحم خده.

(٢) البخاري (٢/ ٢٣٢)، ومسلم (٢/ ٧٤١،٧٤٢).

(٣) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (٣/ ١١٨٥).

المسلمين فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم، ولما أظهروه من الشر من أعمالهم وأقوالهم وحسبنا هنا من الأحاديث الواردة في ذم الخوارج ما تقدم ذكره، إذ الأحاديث الواردة في ذمهم كثيرة قلما يخلو منها كتاب من كتب السنة المطهرة[١].

ثالثًا: انحياز الخوارج إلى حروراء ومناظرة ابن عباس لهم:

انفصل الخوارج في جماعة كبيرة من جيش علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أثناء عودته من صفين إلىٰ الكوفة، قدر عددها في رواية ببضعة عشر ألفًا، وحدد في رواية باثني عشر ألفًا[٢]، وفي رواية بثمانية آلاف[٣]، وفي رواية بأنهم أربعة عشر ألفًا[٤]، كما ذكر أنهم عشرون ألفًا[٥]، وهذه الرواية التي تذكر أنهم عشرون ألفًا، قد جاءت بدون إسناد[٦]، وقد انفصل هؤلاء عن الجيش قبل أن يصلوا إلىٰ الكوفة بمراحل، وقد أقلق هذا التفرق أصحاب علي وهالهم، وسار عليّ بمن بقي من جيشه علىٰ طاعته حتىٰ دخل الكوفة، وانشغل أمير المؤمنين بأمر الخوارج خصوصًا بعد ما بلغه تنظيم جماعتهم من تعيين أمير للصلاة وآخر للقتال، وأن البيعة لله عَزَّوَجَلَّ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما يعني انفصالهم فعليًا عن جماعة المسلمين.

وكان أمير المؤمنين عليّ حريصًا علىٰ إرجاعهم إلىٰ جماعة المسلمين، فأرسل ابن عباس إليهم لمناظرتهم، وهذا ابن عباس يروي لنا الحادثة،

---

(١) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (٣/ ١١٨).

(٢) تاريخ بغداد (١/ ١٦٠).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٨٠،٢٨١) إسناده صحيح، مجمع الزوائد (٦/ ٢٣٥).

(٤) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١٥٧ - ١٦٠)

(٥) تاريخ خليفة، ص (١٩٢).

(٦) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص ٣٠٣.

فيقول:... فخرجت إليهم ولبست أحسن ما يكون من حلل اليمن، وترجلت، ودخلت عليهم في دار في نصف النهار، وكان ابن عباس رجلًا جميلًا جهيرًا، فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عباس، ما هذه الحلة؟، قال: ما تعيبون عليّ؟، لقد رأيت علىٰ رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحلل، ونزلت: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف:٣٢] قالوا: فما جاء بك؟، قال: قد أتيتكم من عند صحابة النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار، من عند ابن عم النبي ﷺ وصهره وعليهم نزل القرآن، فهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد لأبلغكم ما يقولون، وأبلغهم ما تقولون، فانتحىٰ لي نفر منهم، قلت: هاتوا ما نقمتم علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ وابن عمه، قالوا: ثلاث، قلت: ما هن؟ قالوا: أما إحداهن: فإنه حكم الرجال في أمر الله، وقال الله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ ما شأن الرجال والحكم؟، قلت: هذه واحدة، وأما الثانية فإنه قاتل ولم يَسب ولم يغنم، فإن كانوا كفارًا لقد حل سبيهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حل سبيهم ولا قتلهم، قلت: هذه اثنتان فما الثالثة؟، قالوا: محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، قلت: هل عندكم شيء غير هذا؟، قالوا: حسبنا هذا، قلت لهم: أرأيتكم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه وسنة نبيه ﷺ ما يرد قولكم أترجعون؟، قالوا: نعم، قلت: أما قولكم: حكم الرجال في أمر الله، فإني أقرأ عليكم من كتاب الله أن قد صير الله حكمه إلىٰ الرجال في ثمن ربع درهم، فأمر الله تبارك وتعالىٰ أن يحكموا فيه، أرأيتم قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة:٩٥]، وكان من حكم الرجال، أنشدكم بالله أحكم الرجال في صلاح ذات البين، وحقن دمائهم أفضل أو في أرنب؟ قالوا: بلىٰ، بل هذا أفضل، قلت: وفي المرأة وزوجها ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء:٣٥]، فنشدتكم بالله حكم الرجال

في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في بضع امرأة، أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، قلت: وأما قولكم: قاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم، أفتسبون أمكم عائشة، تستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم؟، فإن قلتم: إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم، وإن قلتم ليست بأمنا فقد كفرتم ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ [الأحزاب:٦]، فأنتم بين ضلالتين فأتوا منها بمخرج، أفخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، فقال: وأما محا نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما تضرون، إن نبي الله ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين، فقال لعلي: «اكتب يا علي ما صالح عليه محمد رسول الله»، قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، فقال رسول الله ﷺ: «امح يا علي، اللهم إنك تعلم أني رسول الله، امح يا علي واكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله»، والله لرسول الله خير من علي، وقد محا نفسه، ولم يكن محوه نفسه ذلك محاه من النبوة، أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم، فقاتلوا علىٰ ضلالتهم، قتلهم المهاجرون والأنصار[1].

رابعًا: خروج أمير المؤمنين رضي الله عنه لمناظرة بقية الخوارج وسياسته في التعامل معهم بعد رجوعهم للكوفة ثم خروجهم من جديد بعد مناظرة ابن عباس للخوارج واستجابة ألفين منهم له: خرج أمير المؤمنين علي بنفسه إليهم فكلمهم فرجعوا ودخلوا الكوفة، إلا أن هذا الوفاق لم يستمر طويلًا، بسبب أن الخوارج فهموا من علي رضي الله عنه أنه رجع عن التحكيم وتاب من خطيئته -حسب زعمهم- وصاروا يذيعون هذا الزعم بين الناس، فجاء الأشعث بن قيس الكندي إلىٰ أمير المؤمنين، وقال له: إن الناس يتحدثون أنك رجعت لهم عن الكفر، فخطب علي رضي الله عنه يوم الجمعة، وبعد أن حمد الله وأثنىٰ عليه ذكرهم

---

(١) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ص ١٩٧

ومباينتهم الناس وأمرهم الذي فارقوه فيه[(١)]، وفي رواية: جاء رجل فقال: لا حكم إلا لله، ثم قام آخر فقال: لا حكم إلا لله، ثم قاموا نواحي المسجد يحكمون الله، فأشار عليهم بيده، اجلسوا، نعم لا حكم إلا لله، كلمة حق يبتغىٰ بها باطل، حكم الله أنتظر فيكم[(٢)]، وأخذ يسكتهم بالإشارة وهو علىٰ المنبر، فقام رجل منهم واضعًا إصبعيه في أذنيه ويقول: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥﴾ [الزمر:٦٥]، فرد أمير المؤمنين علي بقوله تعالىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠﴾ [الروم:٦٠].

وأعلن أمير المؤمنين علي سياسته الراشدة العادلة تجاه هذه الجماعة المتطرفة، فقال لهم: إن لكم عندنا ثلاثًا:

١- لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد.

٢- ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا.

٣- ولا نقاتلكم حتىٰ تقاتلونا[(٣)].

فقد سلم لهم أمير المؤمنين علي بهذه الحقوق ما داموا لم يقاتلوا الخليفة، أو يخرجوا علىٰ جماعة المسلمين، مع احتفاظهم بتصوراتهم الخاصة في إطار العقيدة الإسلامية، فهو لا يخرجهم بداية من الإسلام، وإنما يسلم لهم بحق الاختلاف دون أن يؤدي إلىٰ الفرقة وحمل السلاح[(٤)]. ولم يزج أمير المؤمنين بالخوارج في السجون أو يسلط عليهم الجواسيس، ولم يحجر علىٰ حرياتهم،

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣١٢،٣١٣)، صححه الألباني في إرواء الغليل (٨/ ١١٨،١١٩).

(٢) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص ٤٥٢.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣٢٧،٣٢٨)، والشافعي في الأم (٤/ ١٣٦)، وتاريخ الطبري (٥/ ٦٨٨) بسند ضعيف للانقطاع علىٰ أن للسند شواهد وقد توبع، قاله الألباني في إرواء الغليل (٨/ ١١٧،١١٨).

(٤) الوظيفة العقيدية للدولة الإسلامية، حامد عبد الماجد، ص ٤٧.

ولكنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حرص علىٰ إيضاح الحجة وإظهار الحق لهم ولغيرهم ممن قد ينخدع بآرائهم ومظهرهم، فقد أمر مؤذنه بأنه يدخل عليه القراء ولا يدخل أحد إلا قد حفظ القرآن، فامتلأ الدار من قراء الناس، فدعا بمصحف إمام عظيم، فطفق يصكه بيديه ويقول: أيها المصحف حدث الناس، فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين ما تسأله عنه، إنما هو مداد من ورق، ونحن نتكلم بما وعينا منه، فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله تعالىٰ في كتابه في امرأة ورجل ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ [النساء:٣٥].

فأمة محمد أعظم دمًا وحرمة من امرأة ورجل، ونقموا علي أن كاتبت معاوية، فكتبت علي بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية حين صالح قومه قريشًا، فكتب رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال سهيل: لا أكتب بسم الله الرحمن الرحيم، قال: «كيف تكتب؟» قال: اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ: «اكتب»، فكتبت، فقال: «اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله»، فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك، فكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشًا، يقول الله في كتابه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ﴾(١) [الأحزاب:٢١].

ولما أيقن الخوارج أن أمير المؤمنين عازم علىٰ إنفاذ أبي موسىٰ الأشعري حكمًا، طلبوا منه الامتناع عن ذلك، فأبىٰ علي عليهم ذلك وبين لهم أن هذا يعد غدرًا ونقضًا للأيمان والعهود، وقد كتبنا بيننا وبين القوم عهودًا، وقد قال تعالىٰ: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ [النحل:٩١].

(١) مسند أحمد (٢/ ٦٥٦).

فقرر الخوارج الانفصال عن أمير المؤمنين علي وتعيين أمير عليهم، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي، فخطبهم خطبة بليغة زهدهم في الدنيا ورغبهم في الآخرة والجنة، وحثهم علىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قال: فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلىٰ جانب هذا السواد، إلىٰ بعض كور الجبال أو بعض هذه المدائن منكرين لهذه الأحكام الجائرة، ثم قام حرقوص بن زهير فقال بعد حمد الله والثناء عليه: إن المتاع بهذه الدنيا قليل، وإن الفراق لها وشيك، فلا تدعونكم زينتها أو بهجتها إلىٰ المقام بها، ولا تلتفت بكم عن طلب الحق وإنكار الظلم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ ﴾ [النحل:١٢٨]. فقال حمزة بن سنان الأسدي: يا قوم، إن الرأي ما رأيتم وإن الحق ما ذكرتم، فولوا أمركم رجلًا منكم، فإنه لابد لكم من عماد وسنان، ومن راية تحفون بها، وترجعون إليها. فبعثوا إلىٰ زيد بن حصن الطائي -وكان من رؤوسهم- فعرضوا عليه الإمارة فأبىٰ، ثم عرضوها علىٰ حرقوص بن زهير فأبىٰ، وعرضوها علىٰ حمزة بن سنان فأبىٰ، وعرضوها علىٰ شريح بن أبي أوفىٰ العبسي فأبىٰ، وعرضوها علىٰ عبد الله بن وهب الراسبي فقبلها، وقال: أما والله لا أقبلها رغبة في الدنيا، ولا أدعها فرقًا من الموت[(١)].

واجتمعوا أيضًا في بيت زيد بن حصن الطائي السنبيسي فخطبهم وحثهم علىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتلا عليهم آيات من القرآن منها قوله تعالىٰ: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَـٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦ ﴾ [ص:٢٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ ٤٤ ﴾ [المائدة:٤٤]، والآية التي بعدها: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ٤٥ ﴾ [المائدة: ٤٥]، والآية التي بعدها: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ

(١) البداية والنهاية (٧/ ٣١٢)، تاريخ الطبري (٥/ ٦٨٩).

ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة:٤٧].

ثم قال: فأشهد علىٰ أهل دعوتنا من أهل قبلتنا، أنهم قد اتبعوا الهوىٰ ونبذوا حكم الكتاب، وجاروا في القول والأعمال، وأن جهادهم حق علىٰ المؤمنين، وبكىٰ رجل منهم يقال له: عبد الله بن شجرة السلمي، ثم حرض أولئك علىٰ الخروج علىٰ الناس وقال في كلامه: اضربوا وجوههم وجباههم بالسيوف حتىٰ يطاع الرحمن الرحيم، فإن أنتم ظفرتم وأطيع الله كما أردتم أثابكم ثواب المطيعين له العاملين بأمره، وإن فشلتم فأي شيء أفضل من المصير إلىٰ رضوان الله وجنته[(١)].

قال ابن كثير بعد أن ذكر ما أملاه الشيطان لهم مما تقدم ذكره: وهذا ضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم، فسبحان من نوَّع خلقه كما أراد وسبق في قدره العظيم، وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج: إنهم المذكورون في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٥]. والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضلال، والأشقياء في الأقوال والأفعال اجتمع رأيهم علىٰ الخروج من بين أظهر المسلمين، وتواطؤوا علىٰ المسير إلىٰ المدائن ليملكوها علىٰ الناس، ويتحصنوا بها، ويبعثوا إلىٰ إخوانهم وأضرابهم ممن هم علىٰ رأيهم ومذهبهم من أهل البصرة وغيرها فيوافوهم إليها، ويكون اجتماعهم عليها، فقال لهم زيد بن حصن الطائي: إن المدائن لا تقدرون عليها، فإن بها جيشًا لا تطيقونه وسيمنعونها منكم، ولكن واعدوا إخوانكم إلىٰ جسر نهر جوخي ولا تخرجوا من الكوفة جماعات، ولكن اخرجوا وحدانًا لئلا يفطن بكم.

(١) البداية والنهاية (٧/ ٣١٢).

فكتبوا كتابًا عامًا إلىٰ من هو علىٰ مذهبهم، ومسلكهم من أهل البصرة وغيرها، وبعثوا به إليهم ليوافوهم إلىٰ النهر ليكونوا يدًا واحدة علىٰ الناس، ثم خرجوا يتسللون وحدانًا لئلا يعلم أحد بهم فيمنعوهم من الخروج، فخرجوا من بين الآباء والأمهات، والأخوال والخالات، وفارقوا سائر القرابات يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضي رب الأرض والسماوات، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر الموبقات والعظائم والخطيئات، وأنه مما زينه لهم إبليس الشيطان الرجيم المطرود من السماوات، الذي نصب العداوة لأبينا آدم، ثم لذريته ما دامت أرواحهم في أجسادهم مترددات؛ وقد تدارك جماعة من الناس بعض أولادهم وإخوانهم، فردوهم وأنَّبوهم ووبخوهم، فمنهم من استمر علىٰ الاستقامة ومنهم من فر بعد ذلك فلحق بالخوارج فخسر إلىٰ يوم القيامة،وذهب الباقون إلىٰ ذلك الموضع ووافىٰ إليهم من كانوا يكتبون إليه من أهل البصرة وغيرها، واجتمع الجميع بالنهروان وصارت لهم شوكة ومنعة[(١)].

ولما تفرق الحكمان علىٰ غير رضا، كتب أمير المؤمنين علي إلىٰ الخوارج وهم مجتمعون بالنهروان أن الحكمين تفرقا علىٰ غير رضا، فارجعوا إلىٰ ما كنتم عليه وسيروا بنا إلىٰ قتال أهل الشام، فأبوا ذلك، وقالوا: حتىٰ تشهد علىٰ نفسك بالكفر وتتوب، فأبىٰ[(٢)].

وفي رواية كتبوا إليه: أما بعد، فإنك لم تغضب لربك، إنما غضبت لنفسك فإن شهدت علىٰ نفسك بالكفر، واستقبلت التوبة، نظرنا فيما بيننا وبينك وإلا فقد نابذناك علىٰ سواء، إن الله لا يحب الخائنين، فلما قرأ كتابهم أيس منهم، فرأىٰ أن يدعهم ويمضي بالناس إلىٰ أهل الشام حتىٰ يلقاهم فيناجزهم[(٣)].

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٣١٢،٣١٣).

(٢) أنساب الأشراف (٢/ ٦٣)

(٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص ٣١٩.

إن قضية إعلان الخوارج كُفر عليّ وطلبهم منه التوبة لا تثبت بهذه الروايات، ولكنها تتفق مع رأي الخوارج في تكفير علي وعثمان وامتحان الناس بذلك[١].

▪ معركة النهروان (٣٨ هـ):

١- سبب المعركة: كانت الشروط التي أخذها أمير المؤمنين علي علىٰ الخوارج أن لا يسفكوا دمًا، ولا يروعوا آمنًا، ولا يقطعوا سبيلًا، وإذا ارتكبوا هذه المخالفات فقد نبذ إليهم الحرب، ونظرًا لأن الخوارج يكفِّرون من خالفهم ويستبيحون دمه وماله، فقد بدؤوا بسفك الدماء المحرمة في الإسلام، وقد تعددت الروايات في ارتكابهم المحظورات، ومما صح من هذه الروايات ما حدث به شاهد عيان كان من الخوارج ثم تركهم حيث قال: صحبت أصحاب النهر، ثم كرهت أمرهم، فكتمته خشية أن يقتلوني، فبينما أنا مع طائفة منهم، إذ أتينا علىٰ قرية وبيننا وبين القرية نهر، إذ خرج رجل من القرية مذعورًا يجر رداءه، فقالوا له: كأننا روعناك؟، قال: أجل، قالوا: لا روع لك، فقلت: والله يعرفونه ولم أعرفه، فقالوا: أنت ابن خباب صاحب رسول الله ﷺ؟. قال: نعم، قالوا: عندك حديث تحدثناه عن أبيك عن النبي ﷺ؟، قال: سمعته يقول: إنه سمع النبي ﷺ ذكر فتنة فقال: «القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فإن أدركتك فكن عبد الله المقتول»، فأخذوه وسُرِّيَّة له معهم، فمر بعضهم علىٰ ثمرة ساقطة من نخلة، فأخذها فألقاها في فيه، فقال بعضهم: ثمرة معاهد فبم استحللتها؟ فألقاها من فيه ثم مروا علىٰ خنزير فنفحه بعضهم بسيفه فقال بعضهم: خنزير معاهد فبم استحللته؟، فقال عبد الله بن خباب: ألا أدلكم علىٰ ما هو أعظم عليكم حرمة من هذا؟ قالوا: نعم، قال: أنا، ولكنهم قدموه إلىٰ النهر فضربوا عنقه، يقول الراوي:

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣١٨.

فرأيت دمه يسيل على الماء، كأنه شراك نعل اندفر بالماء حتى توارى عنهم[١].

، ثم دعوا بالسرية وهي حبلى، فبقروا عما في بطنها، يقول الراوي: لم أصحب قومًا هم أبغض إليّ صحبة منهم، حتى وجدت خلوة فانفلت[٢]. أثار هذا العمل الرعب بين الناس، وأظهر مدى إرهابهم ببقر بطن هذه المرأة وذبحهم عبد الله كما تُذبح الشاة، ولم يكتفوا بهذا بل صاروا يهددون الناس قتلًا، حتى إن بعضهم استنكر عليهم هذا العمل قائلين: ويلكم ما على هذا فارقنا عليًا[٣].

بالرغم من فظاعة ما ارتكبه الخوارج من منكرات بشعة، لم يبادر أمير المؤمنين علي إلى قتالهم، بل أرسل إليهم أن يسلموا القتلة لإقامة الحد عليهم، فأجابوه بعناد واستكبار: كلنا قتلة[٤]، فسار إليهم بجيشه الذي قد أعده لقتال أهل الشام في شهر محرم من عام ٣٨ هـ[٥]، وعسكر على الضفة الغربية لنهر النهروان، والخوارج على الضفة الشرقية بحذاء مدينة النهروان[٦].

٢- تحريض أمير المؤمنين علي جيشه على القتال: كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يدرك أن هؤلاء القوم هم الخوارج الذين عناهم رسول الله ﷺ بالمروق من الدين، لذلك أخذ يحث أصحابه أثناء مسيرهم إليهم ويحرضهم على قتالهم، وكان لأحاديث رسول الله ﷺ في الخوارج أثرها لدى الصحابة وأتباع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فقد كان رضي الله عنه يحث جيشه على البدء بهؤلاء

---

(١) تاريخ بغداد (١/ ٢٠٥،٢٠٦)

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣١٠، ٣١١).

(٣) مجمع الزوائد (٦/ ٢٣٧، ٢٣٨).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣٠٨، ٣٠٩).

(٥) أنساب الأشراف (٢/ ٦٣) بسند فيه مجهول، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص (٣٢٢).

(٦) تاريخ بغداد (١/ ٢٠٥، ٢٠٦).

الخوارج، فقال: أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ : «يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن، ليس قراءتكم إلىٰ قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلىٰ صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلىٰ صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن، يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية»، لو يعلم الجيش الذي يصيبونه ما قضىٰ لهم علىٰ لسان نبيهم ﷺ لاتكلوا عن العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلًا له عضد وليس له ذراع، علىٰ رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعيرات بيض، فتذهبون إلىٰ معاوية وأهل الشام، وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم، والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا علىٰ اسم الله(١).

وقال رضي الله عنه في يوم النهروان: أمرت بقتال المارقين.. وهؤلاء المارقون.

وعسكر الجيش في مقابلة الخوارج يفصل بينهما نهر النهروان، وأمر جيشه أن لا يبدؤوا بالقتال، حتىٰ يجتاز الخوارج النهر غربًا، وأرسل علي رضي الله عنه رسله يناشدهم الله ويأمرهم أن يرجعوا، وأرسل إليهم البراء بن عازب رضي الله عنه يدعوهم ثلاثة أيام فأبوا(٢)، ولم تزل رسله تختلف إليهم حتىٰ قتلوا رسله، واجتازوا النهر(٣)، وعندما بلغ الخوارج هذا الحد وقطعوا الأمل في كل محاولات الصلح وحفظ الدماء، ورفضوا عنادًا واستكبارًا العودة إلىٰ الحق وأصروا علىٰ القتال، قام أمير المؤمنين بترتيب الجيش، وتهيئته للقتال(٤)، فجعل علىٰ ميمنته حجر بن عدي، وعلىٰ الميسرة شبث بن ربعي، ومعقل بن قيس الرياحي، وعلىٰ الخيل أبا

(١) مسلم (٧٤٨، ٧٤٩).
(٢) السنن الكبرىٰ للبيهقي (٨/ ١٩٧)، خلافة علي، عبد الحميد ص (٣٢٤).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣٢٥ - ٣٢٧).
(٤) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص (٣٢٤).

أيوب الأنصاري، وعلىٰ الرجالة أبا قتادة الأنصاري، وعلىٰ أهل المدينة -وكانوا سبعمائة- قيس بن سعد بن عبادة، وأمر علي أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان للخوارج ويقول لهم: من جاء إلىٰ هذه الراية فهو آمن، ومن انصرف إلىٰ الكوفة والمدائن فهو آمن، إنه لا حاجة لنا فيكم إلا فيمن قتل إخواننا، فانصرف منهم طوائف كثيرون، وكانوا أربعة آلاف، فلم يبق منهم إلا ألف أو أقل مع عبد الله بن وهب الراسبي، فرجعوا علىٰ عليّ وكان علىٰ ميمنتهم زيد بن حصن الطائي السنبيسي، وعلىٰ الميسرة شريح بن أوفىٰ، وعلىٰ خيالتهم حمزة بن سنان، وعلىٰ الرجالة حرقوص بن زهير السعدي، فوقفوا مقاتلين لعلي وأصحابه[(١)].

٣- نشوب القتال: وزحف الخوارج إلىٰ علي، وقدم علي بين يديه الخيل، وقدم منهم الرماة وصف الرجالة وراء الخيالة، وقال لأصحابه: كفوا عنهم حتىٰ يبدأوكم، وأقبلت الخوارج يقولون: لا حكم إلا لله، الرواح الرواح إلىٰ الجنة، فحملوا علىٰ الخيالة الذين قدمهم علي، ففرقوهم حتىٰ أخذت طائفة من الخيالة إلىٰ الميمنة، وأخرىٰ إلىٰ الميسرة فاستقبلتهم الرماة بالنبل، فرموا وجوههم، وعطفت عليهم الخيالة من الميمنة والميسرة، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف، فأناموا الخوارج فصاروا صرعىٰ تحت سنابك الخيول، وقُتل أمراؤهم: عبد الله بن وهب، وحرقوص بن زهير، وشريح ابن أوفىٰ، وعبد الله بن سخبرة السلمي، وقال أبو أيوب: وطعنت رجلًا من الخوارج بالرمح، فأنفذته من ظهره وقلت له: أبشر يا عدو الله بالنار، فقال: ستعلم أينا أولىٰ بها صليًا[(٢)].

وقد اعتزل كثير من الخوارج القتال لكلمة سمعوها من عبد الله بن وهب

---

(١) تاريخ الخلافة الراشدة، محمد كنعان، ص (٤٢٥).

(٢) أخبار الخوارج من الكامل للمبرد، ص (٢١)، خلافة علي، ص (٣٢٥).

الراسبي، كانت تدل عندهم علىٰ ضعف الاستبصار والوهن في اليقين، وهذه الكلمة قالها عندما ضرب علي رضي الله عنه رجلًا من الخوارج بسيفه، فقال الخارجي: حبذا الروحة إلىٰ الجنة، فقال عبد الله بن وهب: ما أدري إلىٰ الجنة أم إلىٰ النار[(١)]، فقال رجل من بني سعد وهو فروة ابن نوفل الأشجعي: إنما حضرت اغترارًا بهذا وأراه قد شك؟، فانعزل بجماعة من أصحابه، ومال ألف إلىٰ أبي أيوب الأنصاري، وجعل الناس يتسللون[(٢)]. وقد كانت معركة حاسمة وقصيرة أخذت وقتًا من اليوم التاسع من شهر صفر من عام ثمان وثلاثين للهجرة ٩/ ٢/ ٣٨ هـ[(٣)]، وأسفرت هذه المعركة الخاطفة عن عدد كبير من القتلىٰ في صفوف الخوارج، وكان الحال علىٰ عكس ذلك تمامًا في جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فقتلىٰ أصحاب علي فيما رواه مسلم في صحيحه، وعن زيد بن وهب: رجلان فقط[(٤)]. وفي رواية بسند حسن قال: وقتل من أصحاب علي اثنا عشر أو ثلاثة عشر[(٥)].

وجاء في رواية صحيحة أن أبا مجلز قال: ولم يقتل من المسلمين يقصد جيش علي إلا تسعة رهط، فإن شئت فاذهب إلىٰ أبي برزة، فاسأله فإنه قد شهد ذلك[(٦)]، وأما قتلىٰ الخوارج، فتذكر الروايات أنهم أصيبوا جميعًا[(٧)]، ويذكر المسعودي أن عددًا يسيرًا لا يتجاوز العشرة، فروا بعد الهزيمة الساحقة[(٨)].

---

(١) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (٣٢٥).
(٢) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (٣٢٥).
(٣) أنساب الأشراف (٢/ ٦٣) بسند فيه مجهول.
(٤) مسلم (٢/ ٧٤٨).
(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٣١١)، تاريخ خليفة ص (١٩٧) بسند حسن.
(٦) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣١٥)، تاريخ بغداد (١/ ١٨٢).
(٧) أخبار الخوارج من الكامل ص (٣٣٨)..
(٨) خلافة علي بن أبي طالب ص (٣٢٩)، تاريخ خليفة ص (١٩٧).

٤- ذو الثدية أو المخدج وأثر مقتله علىٰ جيش علي رضي الله عنه: ظهرت روايات مختلفة في تحديد شخصية ذي الثدية، وهذه الرواية منها ما هو ضعيف الإسناد ومنها ما هو قوي، وقد جاء في الأحاديث النبوية أوصاف ذو الثدية، فمن ذلك أنه أسود البشرة[(١)]، وفي رواية حبشي، وأنه مخدج اليد، أي ناقص اليد، ويده صغيرة مجتمعة، فهي من المنكب إلىٰ العضد فقط، أي بدون ذراع، وفي نهاية عضده مثل حلمة الثدي وعليها شعيرات بيض، وعضده ليست ثابتة، كأنها بلا عظم إذ إنها تدردر أي تتحرك تذهب وتجيء، أما مخدج اليد، أو مودون اليد أو مثدون اليد، فكلها بمعنىٰ واحد وهو ناقص اليد[(٢)]، وأما اسمه فقد أخطأ من قال أن ذا الثدية هو حرقوص بن زهير السعدي[(٣)]، فحرقوص رجل مشهور كان له دور في الفتوح الإسلامية، ثم خرج علىٰ عثمان رضي الله عنه، وقد فر إثر معركة الجمل الصغرىٰ التي قَتَل فيها الزبير وطلحة رضي الله عنهما قتلة عثمان بالبصرة، وقد صار حرقوص من زعماء الخوارج المميزين[(٤)]، إلا أنه قد ورد في رواية أن اسمه (حرقوس) أما أبوه فلا يعرفه أحد، وجاء في رواية أن اسمه مالك، وذلك أنهم بحثوا عنه فلما وجدوه قال علي: الله أكبر، لا يأتيكم أحد يخبركم من أبوه؟، فجعل الناس يقولون هذا مالك هذا مالك، فقال علي: ابن من[(٥)]؟ فلم يعرف أحد أباه.

وقد ورد في رواية صححها الطبري أن اسمه نافع ذو الثدية كما جاء عند ابن أبي شيبة وأبي داود، إلا أن طريقهما واحد، فيُعد ما جاء في المصادر الثلاثة

(١) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١٤٦).
(٢) النهاية في غريب الحديث (١/ ١٢،١٣)، فتح الباري (١٢/ ٢٩٤،٢٩٥).
(٣) الملل والنحل (١/ ١١٥).
(٤) فتح الباري (١٢/ ٢٩٢)، الإصابة (١/ ١٣٩).
(٥) والبداية والنهاية (٧/ ٢٩٤،٢٩٥).

رواية واحدة ذات طريق واحد[(١)]، كان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتحدث عن الخوارج منذ ابتداء بدعتهم، وكثيرًا ما كان يتعرض إلىٰ ذكر ذي الثدية، وأنه علامة هؤلاء، ويسرد أوصافه، وبعد نهاية المعركة الحاسمة أمر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أصحابه بالبحث عن جثة المخدج، لأن وجودها من الأدلة علىٰ أن عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ حق وصواب، وبعد مدة من البحث مرت علىٰ عليّ وأصحابه وجد أمير المؤمنين علي جماعة مكومة بعضها علىٰ بعض عند شفير النهر قال: أخرجوهم، فإذا المخدج تحتهم جميعًا مما يلي الأرض، فكبر عليّ ثم قال: صدق الله، وبلغ رسوله وسجد سجود الشكر، وكبر الناس حين رأوه واستبشروا[(٢)].

٥- معاملة أمير المؤمنين علي للخوارج: عامل أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخوارج قبل الحرب وبعدها معاملة المسلمين، فما أن انتهت المعركة حتىٰ أصدر أمره في جنده أن لا يتبعوا مدبرًا، أو يذففوا علىٰ جريح، أو يُمثلوا بقتيل. يقول شقيق بن سلمة المعروف بأبي وائل -أحد فقهاء التابعين وممن شهد مع علي حروبه- لم يسب علي يوم الجمل ولا يوم النهروان[(٣)]، وقد حمل رثة أهل النهر إلىٰ الكوفة وقال: من عرف شيئًا فليأخذه فجعل الناس يأخذون حتىٰ بقيت قدر فجاء رجل وأخذها، وهذه الرواية لها طرق عدة[(٤)]، ولم يقسم بين جنده إلا ما حمل عليه الخوارج في الحرب من السلاح والكراع فقط، وأمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يكفر الخوارج، إذ قبل الحرب حاول إرجاعهم إلىٰ الجماعة، وقد رجع كثير منهم، ووعظهم وخوفهم القتال، يقول ابن قدامة: وإنما كان كذلك لأن المقصود كفهم ودفع شرهم لا قتلهم، فإن أمكن لمجرد القول كان أولىٰ

---

(١) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (٣٣٤).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣١٧ - ٣١٩)
(٣) السنن الكبرىٰ للبيهقي (٨/ ١٨٢) بسند صحيح.
(٤) التلخيص الحبير (٤/ ٤٧).

من القتال، لما فيه من الضرر بالفريقين، وهذا يدل علىٰ أن الخوارج فرقة من المسلمين، كما قال بذلك كثير من العلماء(١).

وكان سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسميهم الفاسقين، فعن مصعب بن سعد قال: سألت أبي عن هذه الآية: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف:١٠٣،١٠٤] أهم الحرورية؟، قال: لا، هم أهل الكتاب اليهود والنصارىٰ، أما اليهود فكذبوا بمحمد ﷺ، وأما النصارىٰ فكفروا بالجنة، وقالوا: ليس فيها طعام ولا شراب، ولكن الحرورية ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة:٢٦،٢٧] وكان سعد يسميهم الفاسقين(٢)، وفي رواية عن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لما سئل عنهم: «هم قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم»(٣).

وقد سُئل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أكفارٌ هم؟ قال: من الكفر فروا، فقيل: منافقون؟، قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلًا، قيل: فما هم؟ قال: قوم بغوا علينا فقاتلناهم، وفي رواية: قوم بغوا علينا فنصرنا عليهم، وفي رواية: قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا(٤)، كما أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجه نصيحة لجيشه وللأمة الإسلامية من بعده فقال: إن خالفوا إمامًا عادلًا فقاتلوهم، وإن خالفوا إمامًا جائرًا فلا تقاتلوهم فإن لهم مقالًا(٥).

والملاحظ في قتال أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للخوارج وقتاله في الجمل

---

(١) فتح الباري (١٢/ ٣٠٠،٣٠١)، نيل الأوطار (٨/ ١٨٢).
(٢) فتح الباري (٥/ ٨٤٢).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣٢٤،٣٢٥)، الاعتصام للشاطبي (١/ ٦٢).
(٤) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١٥٠)، مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣٣٢)
(٥) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣٢٠)، فتح الباري (١٢/ ٣٠١)

وصفين، أن عليًا ﵁ ندم وحزن علىٰ قتاله في وقعة الجمل وصفين، أما في قتاله مع الخوارج فكان يظهر الفرح والسرور لقتالهم، قال ابن تيمية: فإن النص والإجماع فرق بين هذا وهذا، فإنه قاتل الخوارج بنص رسول الله ﷺ، وفرح بذلك، ولم ينازعه فيه أحد من الصحابة، وأما القتال يوم صفين فقد ظهر منه من كراهته والندم عليه ما ظهر[١].

سابعًا: من أهم صفات الخوارج:

إن الباحث في تاريخ فرقة الخوارج يلاحظ عدة صفات اتصف بها أتباع هذه الفرقة منها:

١- الغلو في الدين: مما لا شك فيه أن الخوارج أهل طاعة وعبادة، فقد كانوا حريصين كل الحرص علىٰ التمسك بالدين وتطبيق أحكامه، والابتعاد عن جميع ما نهىٰ عنه الإسلام، وكذلك التحرز التام عن الوقوع في أي معصية أو خطيئة تخالف الإسلام، حتىٰ أصبح ذلك سمة بارزة في هذه الطائفة لا يدانيهم في ذلك أحد، ولا أدل علىٰ ذلك من قول رسول الله ﷺ: «يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلىٰ قراءتهم بشيء، ولا صيامكم إلىٰ صيامهم بشيء»[٢]، وقال ابن عباس ﵄ يصفهم حينما دخل عليهم لمناظرتهم: دخلت علىٰ قوم لم أر قط أشد منهم اجتهادًا، جباههم قرحة من السجود وأياديهم كأنها ثفن[٣] الإبل، وعليهم قمص مرحضة[٤] مشمرين مسهمة وجوههم من السهر[٥]. وعن جندب الأزدي قال: لما عدلنا إلىٰ الخوارج ونحن مع علي بن أبي طالب ﵁،

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١٢١).

(٢) مسلم، كتاب الزكاة، شرح النووي (٧/ ١٧١).

(٣) **الثفن**: **جمع ثفنة**: ركبة البعير وغيرها مما يجعل فيه غلظ من أثر البروك.

(٤) **مرحضة**: مغسولة.

(٥) تلبيس إبليس، ص (٩١).

فانتهينا إلىٰ معسكرهم، فإذا لهم دوي كدوي النحل من قراءة القرآن[١]، فقد كانوا أهل صيام وصلاة وتلاوة للقرآن، لكنهم تجاوزوا حد الاعتدال إلىٰ درجة الغلو والتشدد، حيث قادهم هذا التشدد إلىٰ مخالفة قواعد الإسلام بما تمليه عليهم عقولهم، كالقول بتكفير صاحب الكبيرة، ومنهم من بالغ في ذلك حتىٰ علىٰ كل من ارتكب ذنبًا من الذنوب ولو كان صغيرًا فإنه كافر مشرك مخلد في النار[٢]، وكان من نتيجة هذا التشدد الذي خرج بهم عن حدود الدين وأهدافه السامية، أن كفَّروا كل من لم ير رأيهم من المسلمين ورموهم بالكفر أو النفاق، حتىٰ إنهم استباحوا دماء مخالفيهم[٣]، ومنهم من استباح قتل النساء والأطفال من مخالفيه، كالأزارقة مثلًا[٤]، ولاشك أن الخوارج بما اتصفوا به من الجهل والتشدد والجفاء قد شوهوا محاسن الدين الإسلامي تشويهًا غريبًا، فإن هذا الإغراق في التأويل والاجتهاد أخرجهم عن روح الإسلام وجماله واعتداله، وهم في تعمقهم قد سلكوا طريقًا ما قال به محمد ﷺ ولا دعا إليه القرآن الكريم، وأما التقوىٰ التي كانوا يظهرون بها فهي من قبيل التقوىٰ العمياء والصلاح الذي كانوا يتزينون به في الظاهر. كان ظاهر التأويل بادي الزخرفة، وقد طمعوا في الجنة وأرادوا السعي لها عن طريق التعمق والتشدد والغلو في الدين غلوًا أخرجهم عن الحد الصحيح[٥]، ولذلك حذر النبي ﷺ من التعمق والتشدد في الدين لأنه مخالفة للاعتدال وسماحة الإسلام، وأخبر أن المتنطع مستحق للهلاك والخسران، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «هلك المتنطعون»[٦]

---

(١) المصدر نفسه، ص (٩٣).
(٢) الفصل لابن حزم (٤/ ١٩١)، الخوارج، ناصر السعودي ص (١٨٣).
(٣) الخوارج للسعوي، ص (١٨٣).
(٤) تلبيس إبليس، ص (٩٥)، الخوارج للسعوي، ص (١٨٤).
(٥) الخوارج للسعوي، ص (١٨٤).
(٦) مسلم، كتاب العلم، شرح النووي (١٦/ ٢٢٠).

قالها ثلاثًا، فبهذا يتبين لنا شذوذ الخوارج، وكذلك من سار علىٰ منهجهم المبني علىٰ التعسف والتشدد المخالف لسماحة الإسلام ويسره، فإن الإسلام دين اليسر والسماحة، فقد قال ﷺ : «إن الدين يسر، ولن يُشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا»[1].

٢- الجهل بالدين: إن من كبرىٰ آفات الخوارج صفة الجهل بالكتاب والسُّنة، وسوء فهمهم وقلة تدبرهم وتعقلهم، وعدم إنزال النصوص منازلها الصحيحة، وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلىٰ آيات نزلت في الكفار فجعلوها علىٰ المؤمنين[2]، وكان ابن عمر إذا سُئل عن الحرورية؟، قال: يُكفرون المسلمين ويستحلون دماءهم وأموالهم، وينكحون النساء في عددهم، وتأتيهم المرأة فينكحها الرجل منهم ولها زوج، فلا أعلم أحدًا أحق بالقتال منهم[3]، ومن جهلهم بشرع الله رأوا أن التحكيم معصية تستوجب الكُفر، فيلزم من وقع فيه أن يعترف علىٰ نفسه بالكُفر ثم يستقبل التوبة[4]، وهذا ما طالبوا به عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذ طلبوا منه أن يقر علىٰ نفسه بالكفر ثم يستقبل التوبة، فتخطئة الخوارج له ولمن معه من المهاجرين والأنصار واعتقادهم أنهم أعلم منهم وأولىٰ منهم بالرأي، هي والله عين الجهل والضلال[5]، ومن جهالاتهم الشنيعة أنهم وجدوا عبد الله بن خباب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومعه أم ولد حبلىٰ، فناقشوه في أمور، ثم سألوه رأيه في عثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فأثنىٰ عليهما خيرًا، فنقموا عليه، وتوعدوه بأن يقتلوه شر قتله فقتلوه وبقروا بطن

(١) فتح الباري (١/ ٩٣).
(٢) ظاهرة الغلو في الدين، محمد عبد الحكيم ص (١١٤).
(٣) الاعتصام (٢/ ١٨٣،١٨٤).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣١٢،٣١٣)، الألباني في إرواء الغليل (٨/ ١١٨،١١٩)
(٥) الخوارج للسعوي ص (١٨٦).

المرأة[(١)]، ومر بهم خنزير لأهل الذمة فقتله أحدهم، فتحرجوا من ذلك وبحثوا عن صاحب الخنزير وأرضوه في خنزيره، فيا للعجب، أتكون الخنازير أشد حرمة من المسلمين عند أحد يدعي الإسلام[(٢)]، لكنها عبادة الجُهال، التي أملاها عليهم الهوىٰ والشيطان[(٣)]، قال ابن حجر: إن الخوارج لما حكموا بكفر من خالفهم استباحوا دماءهم وتركوا أهل الذمة فقالوا: نفي لهم بعهدهم وتركوا قتال المشركين، واشتغلوا بقتال المسلمين، وهذا كله من آثار عبادة الجُهال، الذي لم تنشرح صدورهم بنور العلم، ولم يتمسكوا بحبل وثيق منه، وكفىٰ أن رأسهم رد علىٰ رسول الله ﷺ أمره ونسبه إلىٰ الجور، نسأل الله السلامة[(٤)]، وقال عنهم ابن تيمية: هم جهال فارقوا السُّنة والجماعة عن جهل[(٥)].

وبهذا يتبين أن الجهل كان من الصفات البارزة في تلك الطائفة التي هي إحدىٰ الطوائف المنتسبة إلىٰ الإسلام، فالجهل مرض عضال يهلك صاحبه من حيث لا يشعر، بل قد يريد الخير فيقع في ضده[(٦)].

٣- شق عصا الطاعة: قال ابن تيمية رحمه الله: فهؤلاء من ضلالهم اعتقادهم في أئمة الهدىٰ وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل، وأنهم ضالون، وهذا مأخذ الخارجين عن السنة من الرافضة ونحوهم، ثم يعدون ما يرون أنه ظلم عندهم كفرًا ثم يرتبون علىٰ الكفر أحكامًا ابتدعوها[(٧)]، هذا وقد شقوا عصا الطاعة وسعوا في تفريق كلمة المسلمين.

---

(١) تلبيس إبليس ص (٩٣).
(٢) فتح الباري (١٢/ ٢٨٥).
(٣) الخوارج للسعوي ص (١٨٧).
(٤) فتح الباري (١٢/ ٣٠١).
(٥) منهاج السنة (٣/ ٤٦٤).
(٦) الخوارج للسعوي، ص (١٨٨).
(٧) الفتاوىٰ (٢٨/ ٤٩٧).

ويوضح ذلك موقفهم مع أمير المؤمنين علي، حيث تخلوا عنه وخالفوه في أحرج المواقف وعصوا أمره[١]، وظلت تلك الصفة من صفاتهم على مدار التاريخ، كل من خالفهم في أمر عادوه ونبذوه حتىٰ إنهم تفرقوا هم أنفسهم إلىٰ عدة فرق يكفر بعضها بعضًا، ولذلك كثر فيهم الغارات والشقاق والثورات[٢].

٤- التكفير بالذنوب واستحلال دماء المسلمين وأموالهم: قال ابن تيمية: والفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع، أنهم يُكفرون بالذنوب والسيئات، ويترتب علىٰ تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وأن دار الإسلام دار حرب، ودارهم هي دار الإيمان، وكذلك يقول جمهور الرافضة.. فهذا أصل البدع التي ثبتت بنص سنة الرسول ﷺ، وإجماع السلف أنها بدعة، وهو جعل العفو سيئة، وجعل السيئة كُفرًا[٣]، وقد تميز الخوارج بآراء خاصة فارقوا بها جماعة المسلمين، ورأوها من الدين الذي لا يقبل الله غيره، ومن خالفهم فيها فقد خرج من الدين في زعمهم فأوجبوا البراءة منه، بل إن منهم من غلا في ذلك، فأوجبوا قتال من خالفهم واستحلوا دماءهم[٤].

فمن ذلك أنهم قتلوا عبد الله بن خباب بغير سبب غير أنه لم يوافقهم علىٰ رأيهم[٥]، وقال ابن كثير، فجعلوا يقتلون النساء والولدان، ويبقرون بطون الحبالىٰ، ويفعلوا أفعالًا لم يفعلها غيرهم[٦]، قال ابن تيمية: وكانت البدعة الأولىٰ مثل بدعة الخوارج، إنما هي من سوء فهمهم للقرآن، لم يقصدوا

(١) الخوارج للسعوي، ص (١٩١).
(٢) المصدر نفسه، ص (١٩٢).
(٣) الفتاوىٰ (١٩/ ٧٣).
(٤) منهاج السنة (٣/ ٦٢).
(٥) الفرق بين الفرق للبغدادي، ص (٥٧)، الخوارج للسعوي، ص (١٩١).
(٦) البداية والنهاية (٣/ ٢٩٤).

معارضته لكن فهموا منه ما لم يدل عليه، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب، إذ كان المؤمن هو البر التقي، قالوا: فمن لم يكن برًا تقيًا فهو كافر وهو مُخلد في النار، ثم قالوا: وعثمان وعلي ومن والاهما ليسوا بمؤمنين؛ لأنهم حكموا بغير ما أنزل الله، فكانت بدعتهم لها مقدمتان:

الأولى: أن من خالف القرآن بعمل أو برأي أخطأ فيه فهو كافر.

والثانية: أن عثمان وعليًا ومن والاهما كانوا كذلك، ولهذا يجب الاحتراز من تكفير المؤمنين بالذنوب والخطايا، فإنها أول بدعة ظهرت في الإسلام فكفر أهلها المسلمين، واستحلوا دماءهم وأموالهم، وقد ثبت عن النبي ﷺ أحاديث صحيحة في ذمهم والأمر بقتالهم[1].

٥- تجويزهم على النبي ﷺ ما لا يجوز في حقه «كالجور»:قال ابن تيمية: والخوارج جوزوا على الرسول ﷺ نفسه أن يجور ويضل في سُنته، ولم يوجبوا طاعته ومتابعته، وإنما صدقوه فيما بلغه من القرآن دون ما شرعه من السُّنة التي تخالف -بزعمهم- ظاهر القرآن، وغالب أهل البدع والخوارج يتابعونهم في الحقيقة على هذا، فإنهم يرون أن الرسول لو قال بخلاف مقالتهم لما اتبعوه.. وإنما يدفعون عن نفوسهم الحجة، إما برد النقل، وإما بتأويل المنقول، فيطعنون تارة في الإسناد، وتارة في المتن، وإلا فهم ليسوا متبعين ولا مؤتمين بحقيقة السُّنة التي جاء بها الرسول ﷺ ، بل ولا بحقيقة القرآن[2].

٦- الطعن والتضليل: من أبرز صفات الخوارج الطعن في أئمة الهدى وتضليلهم والحكم عليهم بالخروج عن العدل والصواب، وقد تجلت هذه الصفة في موقف ذي الخويصرة مع رسول الهدى ﷺ ، حيث قال ذو

(١) الفتاوى (١٣/ ٣٠،٣١).

(٢) الفتاوى (١٩/ ٧٣).

الخويصرة: يا رسول الله اعدل[١]، فقد عَدَّ ذو الخويصرة نفسه أورع من رسول الله ﷺ، وحكم على رسول الله ﷺ بالجور والخروج عن العدل في القسمة، وإن هذه الصفة قد لازمتهم عبر التاريخ، وقد كان لها أسوأ الأثر لما ترتب عليها من أحكام وأعمال[٢].

٧- سوء الظن: هذه صفة أخرى للخوارج تجلت في حكم ذي الخويصرة الجهول على رسول الهدى ﷺ بعدم الإخلاص، حيث قال: والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله[٣]، فذو الخويصرة الجهول لما رأى رسول الله ﷺ قد أعطى السادة الأغنياء، ولم يعط الفقراء، لم يحمل هذا التصرف على المحمل الحسن، وهذا شيء عجيب خصوصًا أن دواعيه كثيرة، فلو لم يكن إلا أن صاحب هذا التصرف هو رسول الهدى ﷺ، لكفى به داعيًا إلى حسن الظن، ولكن ذا الخويصرة أبى ذلك، وأساء الظن لمرضه النفسي، وحاول أن يستر هذه العلة بستار العدل، وبذلك ضحك منه إبليس، واحتال عليه، فأوقعه في مصايده، فينبغي للمرء أن يراقب نفسه، وأن يدقق في دوافع سلوكه ومقاصده، وأن يحذر هواه، وأن يكون منتبهًا لحيل إبليس لأنه كثيرًا ما يزين العمل السيء بغلاف حسن براق، ويبرر السلوك القبيح باسم مبادئ الحق، ومما يعين المرء على وقاية نفسه، والنجاة لها من حيل الشيطان ومصايده العلم، فذو الخويصرة لو كان عنده أثارة من عِلم، أو ذرة من فهم لما سقط في هذا المزلق[٤].

٨- الشدة على المسلمين: عرف الخوارج بالغلظة والجفوة، وقد كانوا

---

(١) البخاري، كتاب استتابة المرتدين، فتح الباري (١٢/ ٢٩٠).
(٢) ظاهرة الغلو في الدين، ص (١٠٦).
(٣) البخاري، كتاب استتابة المرتدين، فتح الباري، (١٢/ ٢٩٠).
(٤) ظاهرة الغلو في الدين، ص (١٠٦،١٠٧).

شديدي القسوة والعنف علىٰ المسلمين، وقد بلغت شدتهم حدًا فظيعًا، فاستحلوا دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم فروعوهم وقتلوهم، أما أعداء الإسلام من أهل الأوثان وغيرهم فقد تركوهم ووادعوهم فلم يؤذوهم، ولقد سجل التاريخ صحائف سوداء للخوارج في هذا السبيل(١)، وما قصة عبد الله بن خباب ومقتله عنا ببعيد، فمعاملة الخوارج للمسلمين مصحوبة بالقسوة والشدة والعنف، وأما للكافرين، فلين وموادعة ولطف(٢)، فقد وصف الشارع الشريعة بأنها سهلة سمحة، وإنما ندب إلىٰ الشدة علىٰ الكفار، وإلىٰ الرأفة بالمؤمنين، فعكس ذلك الخوارج(٣)، قال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح:٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة:٥٤] فالخوارج عكسوا الآيات، فأرهبوا المسلمين وروعوهم(٤)، هذه بعض الصفات التي اشتهر بها الخوارج.

وفي «تاريخ الإسلام»: والتحم القتال من «الغوغاء» وخرج الأمر عن علي وطلحة والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ(٥). يقول الدكتور سليمان بن حمد العودة: ولنا بعد ذلك أن نقول: وما المانع أن تكون رواية الطبري المصّرحة بدور «السبئية» في الجمل، تفسّر هذا التعميم، وتحدد تلك المسميات التي وردت في نقولات هؤلاء العلماء؟ وحتىٰ لو لم تكن هذه الطوائف الغوغائية ذات صلة مباشرة بالسبئية ولم تكن لها أهداف كأهدافهم، فأي مانع يمنع القول أن هذه شكلت

---

(١) المصدر نفسه، ص (١١٠).
(٢) المصدر نفسه، ص (١١١).
(٣) فتح الباري (١٢/ ٣٠١).
(٤) ظاهرة الغلو في الدين، ص (١١١).
(٥) تاريخ الإسلام (١/ ١٥)، وعبد الله بن سبأ للعودة ص (١٩٥).

أرضية استغلها ابن سبأ وأعوانه «السبئية»؟، كما هي العادة في بعض الحركات الغوغائية التي تستغل من قبل المفسدين[(١)].

ولا ننسىٰ أن للفتنة وأجوائها دور في الإسهام بتلك الأحداث، فمما لا شك فيه أن الناس في الفتن قد تحجب عنهم أشياء يراها غيرهم رأي العين، وقد يتأولون فيها صانعين أشياء يرىٰ من سواهم حقيقتها ناصعة لا تحتاج إلىٰ عناء، وكفىٰ بسواد الفتنة حاجبًا عن التروي والإبصار[(٢)]، ولا نبعد كثيرًا فهذا الأحنف بن قيس -وهو أحد الذين عايشوا أحداث الجمل- يخرج وهو يريد نصرة علي بن أبي طالب، حتىٰ لقيه أبو بكرة، فقال: أين تريد يا أحنف؟ قال: أريد نصر ابن عم رسول الله ﷺ فقال: يا أحنف ارجع فإني سمعته ﷺ يقول: «**إذا تَوَاجَه المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار**» فقلت أو قيل: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «**إنه كان قد أراد قتل صاحبه**»[(٣)].

إن القتال مع عليّ كان حقًّا وصوابًا ومن قتل معه فهو شهيد وله أجران، ولكن أبا بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حمل حديثًا ورد في غير الحالة التي قاتل فيها علي، علىٰ حالة قتال الباغين وهو فهم منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولكنه فهم في غير محله. ومن هذه الرواية ندرك أن عقبات متعددة واجهت عليًّا في معركته مع الآخرين منها: أمثال هذه الفتاوىٰ التي هي أثر عن ورع أكثر منها أثر عن فتوىٰ تصيب محلها. هذا وقد امتنع الأحنف من الدخول مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فلم يشهد الجمل مع أحد من الفريقين، ونقترب أكثر فإذا الزبير -وهو طرف أساسي في المعركة- يكشف لنا عن حقيقة الأمر: إن هذه لهي الفتنة التي كنا نحدّث عنها، فقال له مولاه: أتسميها فتنة وتقاتل فيها؟ قال: ويحك إنا نبصر ولا نبصر، ما كان أمر قط إلا

---

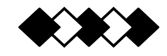
(١) عبد الله بن سبأ للعودة ص (١٩٥).

(٢) المصدر نفسه ص (١٩٦).

(٣) مسلم (٤/ ٢٢١٣)، كتاب الفتن.

علمت موضع قدمي فيه، غير هذا الأمر، فإني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر .

يشير إلىٰ ذلك طلحة فيقول: بينما نحن يد واحدة علىٰ من سوانا، إذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضًا، وفي الطرف الآخر يؤكد أصحاب علي علىٰ الفتنة فيقول عمار في الكوفة عن خروج عائشة: إنها زوجة نبيكم في الدنيا، والآخرة ولكنها مما ابتليتم.



^ +

الأيام الأخيرة من حياة
أمير المؤمنين علي بن أبي ـالب واستشهاده رضي الله عنه

أولًا: في أعقاب النهروان:

كان قتال أمير المؤمنين رضي الله عنه لهذه الفرقة الخارجة المارقة دليلا قويا وحجة ظاهرة في أنه مصيب في قتاله لأهل الشام، وأنه أولىٰ بالحق من معاوية، فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولىٰ الطائفتين بالحق»[١]، فالقارئ يتوقع أن الجيش سيكون أشد عزيمة في قتال أهل الشام لما تيقن لديهم هذه البراهين وغيرها مما سبق، كمقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه، إلا أنه بالرغم من ذلك فالذي حدث عكس ما هو متوقع منهم، فالخطة التي رسمها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه هي الذهاب إلىٰ الشام بعد الانتهاء من قتال الخوارج، لأن إدخال الشام تحت خلافته وإعادة وحدة الأمة هدف يجب تحقيقه وغاية يسعىٰ إلىٰ الوصول إليها، وما حربه للخوارج إلا تأمين للجبهة الداخلية خشية أن يقعوا بمن في العراق من الذراري أثناء غيابه -كما ذكر ذلك في خطبته- ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، إذا لم يستطع رضي الله عنه غزو الشام حتىٰ استشهد[٢]، فلقد كان لخروج الخوارج أثر في إضعاف جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، كما أن الحروب في الجمل وصفين والنهروان، تسببت في ملل أهل العراق للحرب ونفورهم منها، وخاصة أهل الشام في صفين، فإن

---

(١) مسلم (٢/ ٧٤٥، ٧٤٦).

(٢) خلافة علي بن أبي طالب، ص (٣٤٥).

حربهم ليس كحرب غيرهم، فمعركة صفين الطاحنة لم تفارق مخيلتهم، فكم يتمت أطفال ورملت نساء، بدون أن يتحقق مقصودهم، ولولا الصلح أو التحكيم الذي رحب به أمير المؤمنين علي وكثير من أصحابه لكانت مصيبة علىٰ العالم الإسلامي لا يُتخيل آثارها السيئة، فكان هذا التخاذل عن المسير مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ الشام مرة أخرىٰ أحب إليهم وتميل إليه نفوسهم، وإن كانوا يعلمون أن عليًّا علىٰ حق[١]،ومن المعضلات التي أوهنت جانب أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خروج فرقة تغالىٰ في تعظيم أمير المؤمنين علي وترفعه إلىٰ مقام الألوهية، حتىٰ بدا للبعض أن هذا رد فعل للخوارج الذين يتبرءون من علي ويكفرونه[٢]، ولكن هؤلاء كان مقصدهم سيئا وهو إدخال معتقدات فاسدة علىٰ المسلمين لهدم الدين وإضعاف المسلمين عامة، وليس جيش علي فقط[٣]، ولقد تصدىٰ لهم أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما بينا-، ولاشك أن مباينة الخوارج وقتلهم أضعف جانب علي كثيرا، ثم تتابعت الفتوق علىٰ علي من بعد، فخرج الخريت بن راشد، وقيل اسمه الحارث بن راشد في قومه من بني ناجية، وكان من ولاة علي علىٰ الأهواز، فدعا إلىٰ خلع علي، فأجابه خلق كثير واحتوىٰ علىٰ البلاد وجبىٰ الأموال، فبعث إليه جيشا بقيادة معقل بن قيس الرياحي فهزمه وقتله[٤]، وطمع أهل الخراج في ناحية علي في كسر الخراج، وانتقض أهل الأهواز، ولابد أن عليا واجه من أجل ذلك بعض الصعوبات المالية والعسكرية، وقد روىٰ عن الشعبي في هذا الخصوص قوله: لما قتل علىٰ أهل النهروان، خالفه قوم كثير، وانقضت عليه أطرافه، وخالفه بنو ناجية، وقدم ابن

(١) خلافة علي بن أبي طالب، ص (٣٤٥).
(٢) نظام الخلافة في الفكر الإسلامي، ص (١٥، ١٦) مصطفىٰ حلمي.
(٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي، ص (٣٥٠).
(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٢٧ - ٤٧).

الحضرمي البصرة وانتقض أهل الأهواز، وطمع أهل الخراج في كسره وأخرجوا سهل بن حنيف عامل علي بن أبي طالب من فارس[(١)].

وفي الجانب الآخر كان معاوية رضي الله عنه يعمل بشتىٰ الوسائل سرا وعلانية علىٰ إضعاف جانب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، واستغل ما أصاب جيشه من تفكك وخلاف، فأرسل جيشا إلىٰ مصر بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه سيطر عليها وضمها إليه، وقد ساعده علىٰ ذلك عدة عوامل منها:

- انشغال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بالخوارج.

- عامل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه علىٰ مصر محمد بن أبي بكر لم يكن علىٰ قدر من الدهاء كسلفه قيس بن سعد بن عبادة الساعدي الأنصاري، فدخل في حرب مع المطالبين بدم عثمان، ولم يسايسهم كما كان يصنع الوالي السابق فهزموه.

- اتفاق معاوية مع المطالبين بدم عثمان في مصر في الرأي ساعده في السيطرة عليها[(٢)].

- بعد مصر عن مركز أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وقربها من الشام.

- طبيعتها الجغرافية فهي متصلة بأرض الشام عن طريق سيناء وتمثل امتدادا طبيعيا، وقد أضافت مصر لمعاوية رضي الله عنه، قوة بشرية واقتصادية كبيرة، وكذلك أرسل معاوية بعوثه إلىٰ الجزيرة العربية، ومكة والمدينة وإلىٰ اليمن، ولكن لم تلبث هذه البعوث أن ردت علىٰ أعقابها عندما أرسل أمير المؤمنين علي من يصدها[(٣)]، وعمل معاوية رضي الله عنه علىٰ استمالة كبار أعيان القبائل وعمال

---

(١) المصدر نفسه (٦/ ٥٣).

(٢) مصنف عبد الرزاق، الطبقات لابن سعد (٣/ ٨٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ص (٣٥١).

(٣) تاريخ خليفة، ص (١٩٨).

علي رضي الله عنه، فقد حاول سحب قيس بن سعد رضي الله عنه، عامل علي علىٰ مصر إليه فلم يستطع، ولكنه استطاع أن يثير شك حاشية علي ومستشاريه فيه فعزله[١]، وكان عزل سعد بن قيس مكسبا كبيرا لمعاوية، كما حاول سحب زياد بن أبيه عامل علي رضي الله عنه علىٰ فارس ففشل في ذلك[٢]، وقد استطاع معاوية رضي الله عنه أن يؤثر علىٰ بعض الأعيان والولاة بسبب ما يمنيهم ويعدهم به، ولما يرونه من علو أمر معاوية، وتفرق أمر علي رضي الله عنه إذ يقول في إحدىٰ خطبه: إلا أن بسرا قد اطلع من قبل معاوية، ولا أرىٰ هؤلاء القوم إلا سيظهرون عليكم باجتماعهم علىٰ باطلهم وتفرقكم عن حقكم، وبطاعتهم أميرهم ومعصيتكم أميركم، وبأدائهم الأمانة وبخيانتكم، استعملت فلانا فغل وغدر وحمل المال إلىٰ معاوية، واستعملت فلانا آخر فخان وغدر وحمل المال إلىٰ معاوية، حتىٰ لو ائتمنت أحدهم علىٰ قدح خشيت علي علاقته، اللهم إني أبغضتهم وأبغضوني فأرحهم مني وأرحني منهم[٣].

ثانيًا: استنهاض أمير المؤمنين على همة جيشه ثم الهدنة مع معاوية:

لم يستسلم أمير المؤمنين علىٰ رضي الله عنه لهذه المصائب، وهذا التقاعس والتخاذل، فقد بذل جهده في انتهاض همة جيشه بكل ما أوتي من علم وحجة وفصاحة وبيان، فخطبه الحماسية المشهورة -التي اشتهرت عنه، تعتبر من عيون التراث- لم يقلها من فراغ أو خيال، بل من مر تجرعه وواقع أليم عاصره، فمن خطبه التي قالها لما أغير علىٰ أطرافه قال: أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوىٰ ودرع الله الحصينة

(١) ولاة مصر، ص (٤٥، ٤٦).
(٢) الاستيعاب (٢/ ٥٢٥ - ٥٢٦).
(٣) التاريخ الصغير للبخاري (١/ ١٢٥) بسند منقطع وله شواهده.

وجُنته[(١)] الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء، وديث بالصغار والقماءة[(٢)]، وضرب علىٰ قلبه بالأسداد[(٣)]، وأوديل[(٤)]، الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخس[(٥)]، ومنع النَّصف[(٦)]. ألا وإني قد دعوتكم إلىٰ قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا وإعلانا، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم في عقر دارهم[(٧)] إلا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم، حتىٰ شنت عليك الغارات، وملكت عليكم الأوطان، وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار، وقد قتل حسان البكري، وأزال خيلكم من مسالحها[(٨)]، ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل علىٰ المرأة المسلمة والأخرىٰ المعاهدة[(٩)]، فينتزع حجْلها وقُلبها وقلائدها ورغاثها[(١٠)]،ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع[(١١)]، والاسترحام، ثم انصرفوا وافرين[(١٢)]، ما نال رجل منهم كلم ولا أريق له دم، فلو أن امرًا مسلمًا مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما بل كان عندي جديرا، فيا عجبا والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم علىٰ باطلهم

---

(١) **الجنة بالضم**: الوقاية.

(٢) **ديث**: ذلل، **الصغار**: الذل والصغر، القماءة: الذل والصغار.

(٣) **الأسداد**: الحجب التي تحجب عنه الهدي والرشاد.

(٤) **أديل الحق منه**: تحول الأمر عنه إلىٰ الحق فألمت به الكوارث.

(٥) **سيم الخسف**: أصبح محل الإذلال والمهانة.

(٦) **منع النصف**: **النصف**: **العدل**: أي حرم العدل.

(٧) **عقر الدار**: وسطها وأصلها، **تواكلتم**: وكل كل منكم أمر الجهاد إلا الآخر.

(٨) **مسالح**: جمع مسلحة وهي الثغر.

(٩) **المعاهدة**: الذمية وهي غير المسلمة المقيمة في بلاد المسلمين.

(١٠) **الحجل**: الخلخل، **القلب**: السوار، **الرغاث**: جمع رغثة وهو القرط.

(١١) **الاسترجاع**: ترديد الصوت بالبكاء.

(١٢) **وافرين**: تامين لم ينقص عددهم، الكلم: الجرح.

وتفرقكم عن حقكم، فقبحا لكم وترحا[١]، حيث صرتم غرضا يرمىٰ، يغار عليكم ولا تغيرون، وتُغزون ولا تَغزون، ويعصىٰ الله وترضون فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم: هذه حمارة القيظ[٢]، أمهلنا يسبخ عنا الحر، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم: هذه صبارة القر[٣]، أمهلنا يسبخ عنا البرد، كل هذا فرارا من الحر والقر، فإذا كنتم من الحر والقر تفرون، فإذا أنتم والله من السيف أفر يا أشباه الرجال ولا رجال[٤]، حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال[٥]، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم، معرفة والله جرت ندما، وأعقبت سدما[٦]، قاتلكم الله، لقد ملأتم قلبي قيحا[٧]، وشحنتم صدري غيظا، وجرعتموني نغب التهام أنفاسا[٨]، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان حتىٰ لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب.. لله أبوهم، وهل أحد منهم أشد لها مراسا مني[٩]،وأقدم فيها مقاما؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنذا قد ذرفت علىٰ الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع[١٠].

إن هذه الخطبة كتلة نارية يصبها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قذائف ساخنة

---

(١) **ترحا**: هما أو حزنا أو فقرا.

(٢) **القيظ**: الحر، حمارة، **القيظ**: شدته، **يسبخ**: يخفف.

(٣) **صبارة الشتاء**: شدة البرد، **القر**: البرد.

(٤) يقصد أن صفات الرجولة انعدمت فيهم.

(٥) **حلوم**: عقول، **ربات الحجال**: كناية عن النساء.

(٦) **سدم**: الهم المشوب بالأسف والغيظ.

(٧) **القيح**: ما في القرحة من الصديد، **شحنتم صدري**: ملأتموه.

(٨) **النغب**: جمع نغبة (**كجرعة**): الجرعة، **التهام**: الهم.

(٩) **المراس**: **المعالجة**: المعالجة والمزاولة والمعاناة..

(١٠) البيان والتبيين للجاحظ، ص (٢٣٨، ٢٣٩).

فوق رءوس أولئك القوم، الذين حرموه من قطف ثمار جهاده، وتحقيق النصر الذي كان يسعىٰ له، وقد صاغها بأسلوب أدبي رائع، يهز بعباراتها المشاعر، ويحرك بألفاظها مكامن النفوس، بعيدا عن الغموض والإبهام، كما أنها خالية من السجع والصناعة اللفظية[١].

إن الخطب التي تثبت عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأعني بها التي تتحدث عن خلافته تعكس صورة تاريخية تتعدىٰ الوصف الظاهري لتكشف عن شعور أمير المؤمنين رضي الله عنه تجاه ما يلقاه من جيشه من تخاذل بعد معركة النهروان، ولكن معظم الخطب التي نسبت إليه رضي الله عنه لا تصح، فعدد من العلماء يقولون عن خطب علي رضي الله عنه في نهج البلاغة إنها من تأليف ووضع الشريف الرضىٰ[٢]، فلابد من إعمال منهج نقدي دقيق عند التعامل معها باعتبارها مصدرا تاريخيا، هذا ومن ناحية أخرىٰ أخذ علي رضي الله عنه يذكر أصحابه بفضائله ومناقبه ومنزلته الرفيعة في الإسلام، فيحدثنا عدد من شهود العيان أن عليا رضي الله عنه ناشد الناس في الرحبة: من سمع رسول يوم غدير خم: «ألستم تعلمون أني أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلىٰ، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» فقام اثنا عشر رجل -وفي رواية- ستة عشر رجال فشهدوا بذلك[٣]، وهذا يذكرنا بعثمان رضي الله عنه عندما كان يستشهد بالصحابة علىٰ مناقبه وفضائله عندما حصره الغوغاء، وكأنه يقول: من هذا عمله وخدمته للإسلام أهكذا يكون جزاؤه مع اختلاف المناسبات، وبالرغم من كل هذه المحاولات والجهود المضنية لم يستطع رضي الله عنه أن يحقق ما يريد، إذ لم يستطع أن يغزوا الشام بسبب

---

(١) الأدب الإسلامي، نايف معروف، ص (٥٩).

(٢) ميزان الاعتدال (٣/ ١٢٤) وله نقد جيد في هذا الموضوع، خلافة علي بن أبي طالب، ص (٣٥٥).

(٣) فضائل الصحابة (٢/ ٧٠٥) إسناده صحيح.

التفكك والتصدع الذي حدث في داخل جيشه، وتفرق كلمتهم وظهور الأهواء فاضطر أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سنة أربعين للهجرة أن يوافق لمعاوية بن أبي سفيان، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، علىٰ أن يكون العراق له، والشام لمعاوية، ولا يدخل أحدهما علىٰ صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو[(١)]،قال الطبري في تاريخه: وفي سنة -٤٠ هـ - جرت بين علي ومعاوية المهادنة بعد مكاتبات جرت بينهما يطول بذكرها الكتاب علىٰ وضع الحرب بينهما، ويكون لعلي العراق ولمعاوية الشام، فلا يدخل أحدهما علىٰ صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو[(٢)].

ثالثًا: دعاء أمير المؤمنين علي لله عَزَّ وَجَلَّ أن يعجل له بالشهادة: هادن أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معاوية، ويبدو أن هذه الهدنة لم تستمر، فمعاوية أرسل بسر بن أبي أرطأة إلىٰ الحجاز في العام الذي استشهد فيه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٣)]، ولما لم يتمكن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من تجهيز الجيش بما يصبوا ويريد، ورأىٰ خذلانهم كره الحياة وتمنىٰ الموت، وكان يتوجه إلىٰ الله بالدعاء ويطلب منه عَزَّ وَجَلَّ أن يعجل منيته، فمما روىٰ عنه أنه خطب يوما فقال: اللهم إني قد سئمتهم وسئموني، ومللتهم وملوني، فأرحني منهم وأرحهم مني، فما يمنع أشقاكم أن يخضبها بدم، ووضع يده علىٰ لحيته[(٤)]، وقد ألح علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الدعاء في أيامه الأخيرة، فعن جندب قال: ازدحموا علىٰ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتىٰ وطئوا علىٰ رجله فقال: إني قد مللتهم وملوني، وأبغضتهم وأبغضوني، فأرحني منهم وأرحهم مني[(٥)]، وفي رواية أخرىٰ عن أبي صالح قال: شهدت عليا وضع المصحف علىٰ رأسه حتىٰ تقعقع

---

(١) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (٣٥٦)..

(٢) تاريخ الطبري (٦ - ٥٦).

(٣) تاريخ الصغير للبخاري (١/ ٤١)، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (٤٣١).

(٤) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١٥٤) بإسناد صحيح، الطبقات (٣/ ٤) إسناده صحيح.

(٥) الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (١/ ٣٧) بإسناد حسن، خلافة علي، ص (٤٣٢).

الورق فقال: اللهم إني سألتهم ما فيه فمعنوني، اللهم إني قد مللتهم وملوني، وأبغضتهم وأبغضوني، وحملوني علىٰ غير أخلاقي، فأبدلهم بي شرا مني، وأبدلني بهم خيرا منهم، ومث قلوبهم ميثة الملح في الماء[١]،وفي رواية فلم يلبث إلا ثلاثا أو نحو ذلك، حتىٰ قتل رَحِمَهُ اللَّهُ[٢].

وقال الحسن بن علي: قال لي علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن رسول الله ﷺ سنح لي الليلة في منامي، فقلت: يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد؟[٣]، قال: ادع عليهم، قلت: اللهم أبدلني بهم من هو خيرا منهم، وأبدلهم من هو شر مني لهم، قال الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فخرج فضربه الرجل[٤].

رابعًا: علم أمير المؤمنين بأنه سيستشهد:

تفيد بعض أحاديث النبي ﷺ التي تعد من دلائل نبوته ﷺ إخباره بأن عليا سيكون من الشهداء، فقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ كان علىٰ حراء، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله ﷺ: «اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»[٥]، وهناك أحاديث أخص من هذا الحديث، تخبر أن عليا سيستشهد بأرض العراق وتبين كيفية اغتياله أيضا، وهذا كله يبين صدق نبوة محمد ﷺ، وبأنه لا ينطق عن الهوىٰ، وإنما يخبر بما أطلعه الله عَزَّ وَجَلَّ عليه عن طريق الوحي، وقد أطلع النبي ﷺ عليا علىٰ ما سيحدث له، وقد آمن علي بذلك وأيقن، فكان يتحدث إلىٰ الناس بذلك، فمما حدث من ذلك في العراق،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٤).

(٢) المحن، ص (٩٩) لأبي العرب، خلافة علي، عبد الحميد، ص (٤٣٢).

(٣) **الأود**: العوج، **اللدد**: الخصومة.

(٤) تاريخ الذهبي، عهد الخلفاء الرشدين، ص (٦٤٩).

(٥) مسلم (٤/ ١٨٨٠).

إذ يروي عنه أبو الأسود الدؤلي، يقول أبو الأسود: سمعت عليا يقول: أتاني عبد الله بن سلام وقد أدخلت رجلي في الغرز، فقال لي: أين تريد؟ فقلت: العراق، فقال: أما إنك إن جئتها ليصيبك بها ذباب السيف، فقال علي: وايم الله لقد سمعت رسول الله ﷺ قبله يقوله، قال أبو الأسود: فعجبت منه، وقلت: رجل محارب يحدث بمثل هذا عن نفسه[(١)]، وحدث بهذا الحديث في ينبع قبل توليه الخلافة، من عاده في مرضه، وهو أبو فضالة الأنصاري البدري، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إني لست ميتا في مرضي هذا، أو من وجعي هذا، إنه عهد إلىٰ النبي ﷺ أني لا أموت حتىٰ تخضب هذه -يعني لحيته- من هذه - يعني هامته[(٢)]، وحدث به الخوارج وحدث به أصحابه، وقد جمع البيهقي هذه الأحاديث ونحوها في كتاب (دلائل النبوة)[(٣)]، وجمعها الحافظ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية[(٤)]، وعن عبد الله بن داود قال سمعت الأعمش، عن مسلمة بن سهيل عن سالم بن أبي جعدة عن عبد الله بن سبع قال: سمعت عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ المنبر يقول: ما ننتظر إلا شقيا، عهد إلي رسول الله ﷺ لتخضبن هذه من دم هذا، قالوا: أخبرنا بقاتلك حتىٰ نبير عترته، قال: أنشد الله رجلا قتل بي غير قاتلي[(٥)]، وقد تمثل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأبيات شعر فقال:

اشـــدد حيازيمـــك للمـــوت   فـــإن المـــوت لاقيكـــا

(١) تاريخ الذهبي، عهد الخلفاء الرشدين، ص (٦٤٨).
(٢) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (٤٣٣).
(٣) دلائل النبوة (٦/ ٤٣٨ - ٤٤١)
(٤) البداية والنهاية (٧/ ٣٢٣ - ٣٢٥).
(٥) كتاب الشريعة للآجري (٤/ ٢١٠٥)

ولا تجــــزع مـــن القتـــل إذا حــــــل بواديكـــــــا[١]

وتذهب بعض الروايات إلىٰ أبعد من هذا، إذ تفيد أن عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعرف هذا الشقي الذي سيقتله، فيروىٰ عبيدة السلماني بسند صحيح إليه يقول: كان علي إذا رأىٰ ابن ملجم قال:

أريـــد حياتـــه ويـــرد قتلـــي عـذيرك مـن خليلـك مـن مـرادي[٢]

وفي رواية أخرىٰ: قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن عبد الرحمن بن ملجم: أما إن هذا قاتلي، قيل: فما يمنعك منه؟ قال: إنه لم يقتلني بعد[٣]، وقد طلب منه الناس أن يستخلف لما أخبرهم أنه مقتول، فاعتذر عن ذلك، فعن عبد الله بن واسع، قال: سمعت عليا يقول: لتخضبن هذه من هذا، فما ينتظر بي الأشقىٰ؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، فأخبرنا به نبير عترته[٤]، قال إذن تالله تقتلون بي غير قاتلي، قالوا: فاستخلف علينا، قال: لا ولكن أترككم إلىٰ ما ترككم إليه رسول الله ﷺ، قالوا: فما تقول لربك إذا أتيته؟ -وقال وكيع مرة: إذا لقيته؟ - قال: أقول: اللهم تركتني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني إليك وأنت فيهم، فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم[٥]، وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت الصادق المصدوق ﷺ يقول: «إنك ستضرب ضربة ههنا -وأشار إلىٰ صدغيه- فيسيل دمها حتىٰ يخضب لحيتك، ويكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة أشقىٰ ثمود»[٦].

---

(١) تاريخ الذهبي، عهد الخلفاء الراشدين، ص (٦٤٨).

(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٣٣، ٣٤) إسناده صحيح.

(٣) الاستيعاب (٣/ ١٢٧).

(٤) **نبير عترته:** نهلك ذريته.

(٥) مسند أحمد (٢/ ٣٢٥)

(٦) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ص (١٦٣/ ١٦٤)،

خامسًا: استشهاد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وما فيه من دروس وعبر وفوائد:

لقد تركت معركة النهروان في نفوس الخوارج جرحا غائرا لم تزده الأيام والليالي إلا إيلاما وحسرة، فاتفق نفر منهم علىٰ أن يفتكوا بعلي رضي الله عنه، ويثأروا لمن قتل من إخوانهم في النهروان، وأجمع أهل السير والمؤرخون علىٰ ذكر رواية مشهورة[1] لا تسلم من انتقادات لاحتوائها علىٰ عناصر متضاربة وأخرىٰ مختلفة، ولا نستبعد بدورنا أن تكون هذه الحادثة المهمة قد تعرضت مثل غيرها إلىٰ إضافات وزيادات في الفترات المتأخرة، ويبدو من خلال المصادر والدراسات أن هناك إجماعًا علىٰ أن عملية قتل علي تمت علي أيدي عناصر خارجية انتقاما لضحايا معركة النهروان، وإليك تفصيل مقتله رضي الله عنه.

١- اجتماع المتآمرين: كان من حديث ابن ملجم وأصحابه أن ابن ملجم والبُرك بن عبد الله وعمرو بن بكر التيمي اجتمعوا، فتذاكروا أمر الناس، وعابوا علىٰ ولاتهم، ثم ذكروا أهل النهر، فترحموا عليهم، وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئًا، إخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم، والذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، فلو شرينا أنفسهم فأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد، وثأرنا بهم إخواننا، فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب -وكان من أهل مصر- وقال البرك بن عبد الله: وأنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن أبي بكر: وأنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجل منا عن صاحبه الذي توجه إليه حتىٰ يقتله أو يموت دونه، فأخذوا

(١) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣٥)، تاريخ الطبري تاريخ (٦/ ٥٨ إلىٰ ٦٦) بسند منقطع، مروج الذهب (٣/ ٤٢٣)، الطبراني الكبير (١/ ٥٥ - ٨٥)، مجمع الزوائد (٦/ ٢٤٩)، تاريخ الإسلام والخلفاء الراشدين للذهبي، ص (٦٤٩)، وفيات الأعيان (٧/ ٢١٨)، البداية والنهاية (٧/ ٣٢٥).

أسيافهم، فسموها واتعدوا لسبع عشرة تخلو من رمضان أن يثب كل واحد منهم علىٰ صاحبه الذي توجه إليه، وأقبل كل رجل منهم إلىٰ المصر الذي صاحبه فيه يطلب[(١)].

٢- خروج ابن ملجم ولقاؤه بقطام ابنة الشجنة: فأما ابن ملجم المرادي فكان عداده في كندة، فخرج فلقي أصحابه بالكوفة وكاتمهم أمره كراهة أن يظهروا شيئا من أمره، فإنه رأىٰ ذات يوم أصحابا من تيم الرباب -وكان علي قتل منهم يوم النهر عشرة- فذكروا قتلاهم، ولقي من يومه ذلك امرأة من تيم الرباب يقال لها: قطام ابنة الشجنة - وقد قتل أبوها وأخوها يوم النهر، وكانت فائقة الجمال، فلما رآها التبست بعقله، ونسىٰ حاجته التي جاء لها، ثم خطبها، فقالت: لا أتزوجك حتىٰ تشفي لي، قال: وما يشفيك؟ قالت: ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل علي بن أبي طالب، قال: هو مهر لك، فأما قتل علي فلا أراك ذكرته لي وأنت تريديني، قالت: بلىٰ التمس غرته، فإن أصبت شفيت نفسك ونفسي، ويهنئك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينة أهلها، قال فوالله ما جاء بي إلىٰ هذا المصر إلا قتل علي، فلك ما سألت، قالت: إني أطلب لك من يسند ظهرك، ويساعدك علىٰ أمرك، فبعثت إلىٰ رجل من قومها من تيم الرباب يقال له: وردان، فكلمته فأجابها، وأتىٰ ابن ملجم رجلا من أشجع يقال له: شبيب بن بجرة فقال له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما ذاك؟ قال: قتل علي بن أبي طالب، قال: ثكلتك أمك، لقد جئت شيئا إدا، كيف تقدر علىٰ علي، قال: أكمن له في المسجد فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا، وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها، قال: ويحك لو كان غير علي لكان أهون علي، قد عرفت بلاءه في الإسلام، وسابقته مع النبي ﷺ وما أجدني أنشرح لقتله، قال: أما تعلم أنه قتل

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٥٩).

أهل النهر العباد الصالحين؟ قال: بلىٰ، قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا، فأجابه، فجاءوا قطام وهي في المسجد الأعظم معتكفة -فقالوا لها- قد أجمع رأينا علىٰ قتل علي، قالت: فإذا أردتم فأتوني، ثم عاد إليها ابن ملجم في ليلة الجمعة- التي قتل في صبيحتها علي سنة ٤٠ - فقال: هذه الليلة التي وعدت فيها صاحبي أن يقتل كل منا صاحبه، فدعت لهم بالحرير فعصبتهم به، وأخذوا أسيافهم وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي، فلما خرج ضربه شبيب بالسيف، فوقع سيفه بعضادة الباب أو الطاق، وضربه ابن ملجم في قرنه بالسيف وهرب وردان حتىٰ دخل منزله فدخل عليه رجل من بني أبيه وهو ينزع الحرير عن صدره، فقال: ما هذا الحرير والسيف؟ فأخبره لما كان وانصرف، فجاء بسيفه فعلا به وردان حتىٰ قتله، وخرج شبيب نحو أبواب كندة في الغلس، وصاح الناس، فلحقه رجل من حضرموت يقال له عويمر، وفي يد شبيب السيف، فأخذه وجثم عليه

الحضرمي فلما رأىٰ الناس قد أقبلوا في طلبه، وسيف شبيب في يده، خشي علىٰ نفسه، فتركه، ونجا شبيب في غمار الناس فشدوا علىٰ ابن ملجم، فأخذوه، إلا أن رجلا من همدان يكنىٰ أبا أدماء أخذ سيفه فضرب به رجله، فصرعه، وتأخر علي، ورفع في ظهره جعدة بن هبيرة بن أبي وهب، فصلىٰ بالناس الغداة قال علي: علي بالرجل، فأدخل عليه، ثم قال: أي عدو الله، الم أحسن إليك؟، قال: بلىٰ، قال: ما حملك علىٰ هذا؟ قال: شحذته أربعين صباحا، وسألت الله أن يقتل به شر خلقه، فقال علي رضي الله عنه لا أراك إلا مقتولا به، ولا أراك إلا من شر خلقه(١).

٣- محمد ابن الحنفية يروىٰ قصة مقتل أمير المؤمنين علي: قال ابن الحنفية: كنت والله إني لأصلي تلك الليلة التي ضرب فيها علي في المسجد

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٦٢).

الأعظم في رجال كثير من أهل المصر، يصلون قريبا من السدة، ما هم إلا قيام وركوع وسجود، وما يسأمون من أول الليل إلىٰ آخره، إذا خرج علي لصلاة الغداة، فجعل ينادي: أيها الناس الصلاة الصلاة، فما أدري أخرج من السدة، فتكلم بهذه الكلمات أم لا، فنظرت إلىٰ بريق، وسمعت: الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك، فرأيت سيفا، ثم رأيت ثانيا، ثم سمعت عليا يقول: لا يفوتنكم الرجل، وشد الناس عليه من كل جانب، قال: فلم أبرح حتىٰ أخذ ابن ملجم وأدخل علىٰ علي، فدخلت فيمن دخل من الناس، فسمعت عليا يقول: النفس بالنفس، أنا إن مت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه رأيي[(١)]، وذكر أن الناس دخلوا علىٰ الحسن فزعين لما حدث من أمر علي، فبينما هم عنده وابن ملجم مكتوف بين يديه، إذا نادته أم كلثوم بنت علي وهي تبكي: أي عدو الله، لا بأس علىٰ أبي، والله مخزيك، قال: فعلىٰ من تبكين؟ والله لقد اشتريته بألف، وسممته بألف، ولو كانت هذه الضربة علىٰ جميع أهل المصر ما بقي منهم أحد[(٢)].

٤- وصية الطبيب لعلي وميل أمير المؤمنين للشورىٰ: عن عبد الله بن مالك، قال جمع الأطباء لعلي رضي الله عنه يوم جرح، وكان أبصرهم بالطب أثير بن عمرو السكوني، وكان صاحب كسرىٰ يتطبب، فأخذ أثير رئة شاة حارة، فتتبع عرقا منها، فاستخرجه فأدخله في جراحة علي، ثم نفخ العرق فاستخرجه فإذا عليه بياض الدماغ، وإذا الضربة قد وصلت إلىٰ أم رأسه، فقال: يا أمير المؤمنين، اعهد عهدك فإنك ميت[(٣)]، وذكر أن جندب بن عبد الله دخل علىٰ علي فسأله، فقال يا أمير المؤمنين إن فقدناك - ولا نفقدك- فنبايع الحسن؟ قال: ما آمركم

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٦٢).
(٢) تاريخ الطبري (٦/ ٦٢).
(٣) الاستيعاب (٣/ ١١٢٨).

ولا أنهاكم، أنتم أبصر[1].

٥- وصية أمير المؤمنين علي لأولاده الحسن والحسين -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-:دعا أمير المؤمنين علي حسنا وحسينا، فقال: «أوصيكما بتقوىٰ الله، وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا علي شيء زوىٰ عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم، وأغيثا الملهوف، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصما وللمظلوم ناصرا، واعملا بما في الكتاب ولا تأخذكما في الله لومة لائم» ثم نظر إلىٰ محمد ابن الحنفية، فقال: هل حفظت ما أوصيت به أخويك[2]؟ قال: نعم، قال: فإني أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك، لعظم حقهما عليك، فاتبع أمرهما، ولا تقطع أمرا دونهما، ثم قال: أوصيكما به، فإنه ابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه، وقال للحسن: «أوصيك أي بني بتقوىٰ الله، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلها، وحسن الوضوء، فإنه لا صلاة إلا بطهور، ولا تقبل صلاة من مانع زكاة، وأوصيك بغفر الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمر، والتعهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش»[3].

فلما حضرته الوفاة أوصى، فكانت وصيته:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصىٰ به علي بن أبي طالب، أوصىٰ أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدىٰ ودين الحق ليظهر علىٰ الدين كله ولو كره المشركون، ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، ثم أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهلي بتقوىٰ الله ربكم، ولا

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٦٢).
(٢) المصدر نفسه (٦/ ٦٣).
(٣) تاريخ الطبري (٦/ ٦٣).

تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا، ولا تفرقوا، فإني سمعت أبا القاسم يقول: إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام، انظروا إلىٰ ذوي أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب، الله الله في الأيتام، فلا تُعنوا أفواههم، ولا يضيعن بحضرتكم، والله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم ﷺ، مازال يوصي به حتىٰ ظننا أنه سيورثه، والله الله في القرآن، فلا يسبقكم إلىٰ العمل به غيركم، والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم، والله الله في بيت ربكم فلا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم يناظر، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، والله الله في الزكاة، فإنها تطفيء غضب الرب، والله الله فيما ملكت أيمانكم، الصلاة الصلاة لا تخافن في الله لومة لائم، يكفيكم من أرادكم وبغىٰ عليكم، وقولوا للناس حسنا كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولىٰ الأمر أشراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم، وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق، وتعاونوا علىٰ البر والتقوىٰ ولا تعاونوا علىٰ الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب، حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ فيكم نبيكم، أستودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله» ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتىٰ قبض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في شهر رمضان سنة أربعين[1]، وجاء في رواية أنه قتل في صبيحة إحدىٰ وعشرين من رمضان[2]،وتحمل هذه الرواية علىٰ اليوم الذي فارق فيه الدنيا، لأنه بقي ثلاثة أيام بعد ضربة الشقي[3].

٦- نهىٰ أمير المؤمنين عن المثلة بقاتله: فقد قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ احبسوا الرجل فإن

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٦٤).
(٢) التاريخ الكبير للبخاري (١/ ٩٩)
(٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، (٤٣٩).

مت فاقتلوه، وإن أعش فالجروح قصاص[(١)]، وفي رواية أخرىٰ قال: أطعموه واسقوه وأحسنوا إساره، فإن صححت فأنا ولي دمي أعفو إن شئت وإن شئت استقدت[(٢)]، وفي رواية أخرىٰ زيادة، وهي قوله: إن مت فاقتلوه قتلتي ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين[(٣)]، وقد كان علي نهىٰ الحسن عن المثلة، وقال: يا بني عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضون في دماء المسلمين، تقولون: قتل أمير المؤمنين، قتل أمير المؤمنين، ألا لا يقتلن، انظر يا حسن، إن مت من ضربته هذه فاضربه ضربة بضربة، ولا تمثل بالرجل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إياكم والمثلة ولو أنها بالكلب العقور»[(٤)]، وقد جاء في شأن وصية أمير المؤمنين بأمر قاتله روايات كثيرة تتفاوت، منها الصحيح ومنها الضعيف، فالرواية التي فيها أمر علي رضي الله عنه بإحراق الشقي بعد قتله إسنادها ضعيف، والروايات الأخرىٰ تسير في اتجاه واحد فكلها فيها أمر علي بقتل الرجل إن مات من ضربته ونهاهم عما سوىٰ ذلك، فهذه الروايات يعضد بعضها، وتنهض للاحتجاج بها، هذا من جهة، كما أن أمير المؤمنين علىٰ لم يجعله مرتدا، فيأمر بقتله، بل نهاهم عن ذلك لما هم بعض المسلمين بقتله وقال: لا تقتلوا الرجل، فإن برئت فالجروح قصاص، وإن مت فاقتلوه[(٥)] وتذكر الرواية التاريخية المشهورة: فلما قبض علىٰ رضي الله عنه بعث الحسن إلىٰ ابن ملجم، فقال للحسن: هل لك في خصلة؟ إني والله ما أعطيت الله عهدا إلا وفيت به، إني كنت قد أعطيت الله عهدا عند الحطيم أن أقتل عليا ومعاوية أو أموت دونهما، فإن شئت خليت بيني وبينه، ولك الله علىٰ إن لم أقتله -أو قتلته- ثم بقيت أن آتيك حتىٰ أضع يدي في

---

(١) فضائل الصحابة (٢/ ٥٦٠).
(٢) المحن لأبي العرب، ص (٤)، خلافة علي بن أبي طالب، ص (٤٣٩).
(٣) الطبقات (٣/ ٣٥)
(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٦٤).
(٥) منهاج السنة (٥/ ٢٤٥،) (٤٠٥- ٤٠٦)، منهج ابن تيمية في مسألة التكفير، ص (٣٠٩)..

يدك فقال له الحسن: أما والله حتىٰ تعاين النار ثم قدمه فقتله[(١)]، ثم أن الناس أخذوه فأحرقوه بالنار ولكن هذه الرواية منقطعة[(٢)]، والصحيح من الروايات والذي يليق بالحسن والحسين وأبناء أهل البيت أنهم التزموا بوصية أمير المؤمنين عليٰ في معاملة عبد الرحمن بن ملجم، ولا تثبت الرواية التي تقول: فلما دفن أحضروا ابن ملجم، فاجتمع الناس، وجاءوا بالنفط والبواري، فقال محمد ابن الحنفية، والحسين، وعبد الله بن جعفر بن ابي طالب: دعونا نشتف منه، فقطع عبد الله يديه ورجليه، فلم يجزع ولم يتكلم، فكحل عينيه فلم يجزع، وجعل يقول إنك لتكحل عيني عمك، وجعل يقرأ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ [العلق:١]، حتىٰ ختمها، وإن عينيه لتسيلان، ثم أمر به فعولج عن لسانه ليقطع، فجزع، فقيل له في ذلك، فقال ما ذلك بجزع ولكني أكره أن أبقىٰ في الدنيا فواقا لا أذكر الله، فقطعوا لسانه، ثم أحرقوه وكان أسمر حسن الوجه، افلج، شعره من شحمة أذنيه، وفي جبهته أثر السجود[(٣)].

وقال الذهبي عن عبد الرحمن بن ملجم: قاتل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خارجي مفتر.. شهد فتح مصر، واختط بها مع الأشراف، وكان ممن قرأ القرآن والفقه، وهو أحد بني تدول وكان فارسهم بمصر، قرأ القرآن علىٰ معاذ بن جبل، وكان من العباد، ويقال: هو الذي أرسل صبيغا التميمي إلىٰ عمر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فسأله عما سأله مستعجم القرآن.. إلىٰ أن قال الذهبي ثم أدركه الكتاب، وفعل ما فعل،وهو عند الخوارج من أفضل الأمة، وفي ابن ملجم يقول عمران بن حطان الخارجي:

يا ضربة من تقي ما أراد بها   إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره حينا فأحسبه   أوفى البرية عند الله ميزانا

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٦٤).

(٢) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (٤٤٠).

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٣٩)، الأخبار الطوال، ص (٢١٥).

وابن ملجم عند الروافض أشقىٰ الخلق في الآخرة، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النار، ونجوز أن الله يتجاوز عنه، لا كما يقول الخوارج والروافض فيه، وحكمه حكم قاتل عثمان وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سعيد بن جبير، وقاتل عمار وقاتل خارجة، وقاتل الحسين، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله، ونكل أمورهم إلىٰ الله عز وجل[١]. وأما البرك بن عبد الله فإنه في تلك الليلة التي ضُرب فيها علي قعد لمعاوية، فلما خرج ليصلي الغداة شد عليه بسيفه، فوقع السيف في إليته، فأُخذ، فقال: إن عندي خبرا أسرك به الليلة فلأن أخبرتك فنافعي ذلك عندك؟ قال: نعم، قال: إن أخا لي قتل عليا في مثل هذه الليلة، قال: فلعله لم يقدر علىٰ ذلك، قال: بلىٰ، إن عليا يخرج ليس معه أحد يحرسه، فأمر به معاوية فقتل، وبعث معاوية إلىٰ الساعدي - وكان طبيبا- فلما نظر إليه قال اختر إحدىٰ خصلتين: إما أن أحمي حديدة، فأضعها موضع السيف، وإما أن أسقيك شربة تقطع منها الولد، وتبرأ منها، فإن ضربتك مسمومة، فقال معاوية أما النار فلا صبر لي عليها، وأما انقطاع الولد فإن في يزيد وعبد الله ما تقر به عيني، فسقاه تلك الشربة فبرأ، ولم يولد له بعدها، وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورات وحرس الليل وقيام الشرطة علىٰ رأسه إذا سجد، وأما عمرو بن بكر فجلس لعمرو بن العاص تلك الليلة، فلم يخرج، وكان اشتكىٰ بطنه، فأمر خارجة بن حذافة، وكان صاحب شرطته، وكان من بني عامر بن لؤي، فخرج ليصلي، فشد عليه فقتله وهو يرىٰ أنه عمرو فضربه فقتله، فأخذه الناس فانطلقوا به علىٰ عمرو يسلمون عليه بالإمرة، فقال: من هذا؟ قالوا: عمرو قال: فمن قتلت؟ قالوا خارجة بن حذافة، قال: أما والله يا فاسق وما ظننته غيرك، فقال عمرو: أردتني وأراد الله خارجة، فقدمه عمرو فقتله[٢].

---

(١) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص (٦٥٤).

(٢) تاريخ الطبري (٦/ ٦٥).

٧- مدة خلافة أمير المؤمنين علي، وموضع قبره وسنه يوم قتل: كانت مدة خلافته علىٰ قول خليفة بن خياط، أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام، ويقال ثلاثة أيام، ويقال أربعة عشر يومًا[(١)]، والذي يظهر أنها أربع سنين وتسعة أشهر وثلاثة أيام، وذلك لأنه بويع بالخلافة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عام خمس وثلاثين، وكانت وفاته شهيدا في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان عام أربعين للهجرة[(٢)].

وقد تولىٰ غسل أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، رضوان الله عليهم، وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص[(٣)]، وصلىٰ عليه الحسن ابن علي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فكبر عليه أربع تكبيرات[(٤)]، وفي رواية دون إسناد كبر عليه تسع تكبيرات[(٥)].

وأما موضع قبره فقد اختلف فيه وذكر ابن الجوزي عددا من الروايات في ذلك ثم قال: والله أعلم أي الأقوال أصح[(٦)]، ومن الروايات التي جاءت في هذا الشأن ما يلي:

- أن الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا دفنه عند مسجد الجماعة في الرحبة مما يلي أبواب كندة قبل أن ينصرف الناس من صلاة الفجر[(٧)].

- رواية مثلها أنه دفن بالكوفة عند قصر الإمارة عند المسجد الجامع ليلا

---

(١) التاريخ، ص (١٩٩).

(٢) التاريخ الكبير للبخاري (١/ ٩٩)

(٣) المنتظم (٥/ ١٧٥)، الطبقات (٣/ ٣٣٧).

(٤) الطبقات (٣/ ٣٣٧، ٣٣٨).

(٥) المنتظم (٥/ ١٧٥).

(٦) المصدر نفسه (٥/ ١٧٨).

(٧) الطبقات (٣/ ٣٨)، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (٤٤١).

وعمىٰ موضع قبره[١].

- رواية تذكر أن ابنه الحسن رضي الله عنه نقله إلىٰ المدينة[٢].

- رواية تذكر أن القبر الذي بظاهر الكوفة المشهد الذي بالنجف هو قبر علي رضي الله عنه، وأنكر بعض أهل العلم مثل شريك بن عبد الله النخعي قاضي الكوفة (ت ١٧٨هـ) ومحمد بن سليمان الحضرمي (ت٢٩٧هـ)[٣]، وفي الحقيقة فإن ابتداع ما يسمىٰ مشهد علي رضي الله عنه بالنجف كان أيام بني بويه في عهد الدولة العباسية وكانوا من الشيعة الروافض، وقد صنع الشيعة ذلك علىٰ عاداتهم في القرن الرابع، وأهل المعرفة متفقون علىٰ أنه ليس بقبر علي رضي الله عنه بل قيل، هو قبر المغيرة بن شعبة، قال ابن تيمية: وأما المشهد الذي بالنجف، فأهل المعرفة متفقون علىٰ أنه ليس بقبر علي، بل قيل: إنه قبر المغيرة بن شعبة، ولم يكن أحد يذكر أن هذا قبر علىٰ ولا يقصده أحد أكثر من ثلاثمائة سنة، مع كثرة المسلمين من أهل البيت والشيعة وغيرهم وحكمهم بالكوفة، إنما اتخذ ذلك مشهدا في ملك بني بويه - الأعاجم- بعد موت علي بأكثر من ثلاثمائة سنة[٤]، وقال: وأما مشهد علي فعامة العلماء علىٰ أنه ليس قبره، بل قد قيل: إنه قبر المغيرة بن شعبة، وذلك أنه إنما أظهر بعد نحو ثلاثمائة سنة من موت علي في إمارة بني بويه[٥].

- واختلف في سنة يوم قتل، فقال بعضهم: قتل وهو ابن تسع وخمسين سنة، وقيل وهو ابن خمس وستين سنة، وقيل وهو ابن ثلاث وستين سنة، وذلك

---

(١) المنتظم (٥/ ١٧٧)، تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء، ص (٦١٥).
(٢) تاريخ بغداد (١/ ١٣٧).
(٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص (٤٤١).
(٤) الفتاوىٰ (٤/ ٥٠٢)، دراسات في الأهواء والفرق والبدع، ص (٢٨٠).
(٥) الفتاوىٰ (٢٧/ ٤٤٦).

أصح ما قيل فيه[(١)].

٨- خطبة الحسن بن علي رضي الله عنهما بعد مقتل أبيه: عن عمرو بن حُبنشىٰ، قال: خطبنا الحسن بن علي بعد قتل علي رضي الله عنهما،فقال: لقد فارقكم رجل أمس ما سبقه الأولون بعلم ولا أدركه الآخرون، إن كان رسول الله ﷺ ليبعثه ويعطيه الراية فلا ينصرف[(٢)] حتىٰ يفتح له، ما ترك من صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه كان يرصدها لخادم أهله[(٣)].

٩- سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يثنىٰ علىٰ علي رضي الله عنه:عن ربيعة الجرشي: أنه ذكر علي عند رجل وعنده سعد بن أبي وقاص فقال له سعد: أتذكر عليا، إن له مناقب أربعًا لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلىٰ من كذا وكذا، وذكر حمر النعم قوله: لأعطين الراية، وقوله: أنت مني بمنزلة هارون من موسىٰ، وقوله: من كنت موالاه فعلي مولاه[(٤)]، ونسىٰ سفيان واحدة.

١٠- عبد الله بن عمر يثنىٰ علىٰ علي بن أبي طالب رضي الله عنه:عن سعد بن عبيدة قال: جاء رجل إلىٰ ابن عمر فسأله عن عثمان فذكر من محاسن عمله، قال: لعل ذلك يسوؤك قالك نعم قال: فأرغم الله بأنفك، ثم سأله عن علي فذكر من محاسن عمله قال: هو ذاك، بيته أوسط بيوت النبي ﷺ ، ثم قال: لعل ذاك يسوؤك؟ قال: أجل، قال فأرغم الله بأنفك، انطلق، فأجهد علىٰ جهدك[(٥)].

١١- استقبال معاوية خبر مقتل علي: ولما جاء خبر قتل علي إلىٰ معاوية جعل يبكي، فقالت له امرأته أتبكيه وقد قاتلته؟ فقال: ويحك إنك لا تدرين ما

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٦٧).
(٢) فضائل الصحابة (٢/ ٧٣٧)
(٣) المصدر نفسه (٢/ ٧٣٧)
(٤) المصدر نفسه (٢/ ٧٨)
(٥) الصحيح المسند من فضائل الصحابة، ص (١٤٠) للعدوي.

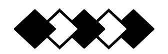
فقد الناس من الفضل والفقه والعلم[(١)]، وكان معاوية يكتب فيما ينزل به يسأل له علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك، فلما بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب، فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام، فقال له: دعني عنك[(٢)]، وقد طلب معاوية، رضي الله عنه في خلافته من ضرار الصدائي أن يصف له عليا، فقال: اعفني يا أمير المؤمنين قال: لتصفنه، قالك أما إذ لابد من وصفه فكان والله بعيد المدىٰ، شديد القوىٰ، يقول فصلا[(٣)]، ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، ويستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله - مع تقريبه إيانا وقربه منا- لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم أهل الدين ويقرب المساكين، لا يطمع القوىٰ في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد أني قد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخىٰ الليل سدوله[(٤)]، وغارت نجومه، قابضا علىٰ لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غري غيري، إلىٰ تعرضت أم إلىٰ تشوفت! هيهات هيهات، قد باينتك ثلاثا لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك قليل، آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق، فبكىٰ معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها وهو في حجرها[(٥)].

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ١٣٣).
(٢) الاستيعاب (٣/ ١١٠٨).
(٣) المصدر نفسه (٣/ ١١٠٧).
(٤) **سدوله**: سدلته.
(٥) الاستيعاب (٣/ ١١٠٨).

وعن عمر بن عبد العزيز قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وأبو بكر وعمر جالسان عنده، فسلمت عليه وجلست، فبينما أنا جالس إذ أتي بعلي ومعاوية فأدخلا بيتا وأجيف[1] الباب وأنا أنظر، فما كان بأسرع من أن خرج علي وهو يقول قضىٰ لي ورب الكعبة، فما كان بأسرع من أن خرج معاوية وهو يقول غفر لي ورب الكعبة[2].

ورویٰ ابن عساكر عن أبي زرعة الرازي أنه قال له رجل: إني أبغض معاوية فقال له: ولم؟ قال: لأنه قاتل عليًا، فقال له أبو زرعة: ويحك إن رب معاوية رحيم، وخصم معاوية خصم كريم، فإيش دخولك أنت بينهما رضي الله عنهما؟[3].



(١) **أجيف الباب**: رد وأغلق.

(٢) البداية والنهاية (٨/ ١٣٣).

(٣) البداية والنهاية (٨/ ١٣٣).